سلسلةُ إحياءِ عُلُومِ الدِّين (١)

يا محمَّد

القَوْلُ الْفَصْلُ الْمُسَدَّد

في صحَّةِ حديثِ (يا مُحمَّد)

وهو إثباتُ صحَّة حَديث ابْن عُمَرَ أنَّهُ خَدرَتْ رِجْلُهُ فَقَالَ: يا مُحمَّد
وفيه من نفَائسِ القَواعِدِ الْحَدِيثيَّةِ ما لا يُستغنَى عنه



تأليف
راجي رَحْمَةِ مَوْلاهُ الرَّؤوف
مجدي غسان معروف
غفر الله له ولمشايخه والمسلمين
آمين

مؤسسة الكتب الثقافية

مجدي غسان معروف
القَوْلُ الْفَصْلُ الْمُسَدَّد
مؤسسة الكتب الثقافية

الْقَوْلُ الفَصْلُ الْمُسَدَّد

فِي صِحَّةِ حَدِيثِ يا مُحَمَّد

هذا الكتابُ يلتزمُ طبعَهُ مؤلِّفُهُ
الطبعةُ الأولى
2010ر ــ1431هــ
للاستفسار والمراسلة:
Ihyaa.series@gmail.com
طرابلس – لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِ العالمين والصلاةُ والسلامُ على محمّـــدٍ أفضلِ العالَمين.

اللـــــــهمَّ ...

بعدَ القَبولِ أَوصِلْ ثوابَ هٰذا العملِ كلّه إلى رُوحِ صَفْوَةِ الْوُجُودِ سَيِّدِي رَسولِ اللهِ الْمَحْمُودِ وَمِنْهُ إِلَى كُلِّ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى، وإِلَى مَشَايِخِي، ثُمَّ إِلَى كُلِّ الْمُسْلِمِينَ فوقَ الأَرْضِ وتَحْتَ الأرضِ، ءامين عَسَى أنْ يَنْفَعَهُم في الْقَبْرِ ويَوْمَ الْعَرْضِ، يا مَنْ رَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَـــيْءٍ، وأنتَ حَسْبِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وأَخُـــصُّ مِـــنْهُم شَـــيْخِي وسَيِّدِي وَمَولايَ سُلْطَانَ عُلَمَاءِ الزَّمَانِ صاحِبَ الْفَضْلِ بعدَ اللهِ...

قد كنتَ عنديْ الصـــالحينَ وأُمَّةً

خضَعَتْ لِعِزَّتِها حكاياتُ الأُمَمْ

يا سيِّدي السلطانُ بَعدَكَ ليسَ لي

إلا الوفاءُ إلى المَماتِ معَ الخدَمْ

يا صفحةً بيضـــاءَ خـــيرٌ مِلْؤها

مكنُونةً في الطُهْرِ تَغْشاها النِعَمْ

يا كعـــبةَ العِـــلمِ التي طافَتْ بها

كـــلُّ الأدِلّـــةِ يا لَذَيّاكَ الحَرَم

خادمُ المسلمين الفقيرُ إلى اللهِ الرءوف

مجدي غسان معروف

مقدّمة

بسمِ اللهِ والحمدُ للهِ وصلى اللهُ وسلَّم علـــى ســيّدِنا رسولِ اللهِ .

وبعدُ فهذا كتابٌ مفيدٌ نافع، وفيما علِمتُ لمــسائِلِه جامع، أخذَ من البابِ بلُبابِه، فجاءَ مِفتاحَ الغايةِ في بابِـــه، دفاعًا عن سُنّةِ الرسولِ الأعظم، صلّى عليهِ مولانا وسلّم، وعملاً بقولِه طاهرِ الأنفاس: (حتى متى تَرِعُون عن ذكــرِ الفاجر، اذْكُرُوهُ بما فيهِ حتى يحذَرَهُ الناس) رواه الطــبراني بإسناد حسن، فحذَّرْتُ وجوبًا مِمّن خــاضَ جَهْــلاً في السُنَن، وكانَ على شَرِّ سَنَن، وبيَّنتُ فيهِ طُرُقَ الحــديثِ الثلاثة، وهي ساطعةُ الدِلالةِ على جوازِ الاستغاثة، وذكرتُ فيهِ مِن نفائسِ القواعدِ، ومن عظيم الفوائدِ، لم يكن قصيرًا فيُخِلّ، بل طويلاً دون أن يُمِلّ، بأسهلِ لفــظٍ وأوضــحِ

عبارة، وكي يَعُمَّ النفعُ لم أكتفِ بالإجمالِ والإشارة، وقد تجدُ فيهِ النَصَّ ذا التكرير، لأنّه قاعدةٌ لها مــن الأحكــامِ الكثير، إذا تكرَّر نظرُك فيه وتجدَّد، عرفتَ أنه:

﴿القَوْلُ الفَصْلُ المُسَدَّد في صِحَّةِ حَدِيثِ يا مُحَمَّد﴾

أرجو من اللهِ فيه التوفيق، والإعانةَ على عدمِ التقصيرِ في التحقيق، إنه سميعٌ قريب، مغيثٌ معينٌ مُجيب، وهــو نِعْمَ المولى والنصير، وبالنوايا خبير بصير.

أستَغفِرُ اللهَ من قولٍ بلا عَمَلٍ
لقد نسَبتُ به نَسْلاً لِذي عَقَمِ

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسمِ اللهِ خيرِ الأسماء، والحمدُ لله مـــلءَ كـــلِّ أرضٍ وسماء، ومِلْءَ ما شاء، والصلاةُ والسلامُ على شمسِ الأنبياء، ملجأِ الفقراءِ ومُغِيثِ الضُعَفاء، الذي جاء بالحقِّ فأنعم بما به جاء، وبعد:

فلم يَزَلِ المسلمونَ قديمًا وحديثًا مُبتلَيْنَ بفِرَقٍ مِن أهلِ الضلال، ولم تَزَل هذه الفرَقُ تُبطِلُ الأدلةَ الصحيحةَ على كلِّ حال، وتطعنُ فيها دِلالةً ومعنى، وتُمعِنُ في ردِّ ثابـــتِ الأحاديثِ سَنَدًا ومَتْنا، ولا تعودُ عن غَيِّهـــا، إذ كانـــتِ البدعُ وِردَ رِيِّها، ولكنّ اللهَ تعالى سخّرَ لهذا الـــدينِ مـــن يدافعون عنه ثابتين، وعلى الحقِّ إلى يومِ القيامةِ ظـــاهرين،

لا يضرُّهم انتحالُ المبطِلين، ولا تأويلُ الجاهلين، وقد قيل عند الأئمةِ المتقدِّمين:

ولِلحديثِ رجالٌ يُعرَفونَ بهِ۝وللدَّوَاوينِ كُتّابٌ وحُسّابُ

ومن جملةِ الأدلةِ التي يَستدِلُّ بها أهلُ السنةِ على جوازِ نداءِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، **حديثٌ يُعرفُ بحديثِ "ابنِ عمر" أو حديثِ "خَدَرِ الرِجلِ" أو حديثِ "يا محمد"** وهو ما رواه الإمامُ البخاري بإسنادٍ صحيحٍ في كتابِهِ "الأدب المفرد" قال: حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيانُ عن أبي إسحاقَ – أي السبيعي - عن عبدِ الرحمٰنِ بنِ سعدٍ قال: (**خَدِرَتْ رِجْلُ ابنِ عُمَرَ فقال له رَجُلٌ اذكُر أَحَبَّ الناسِ إليكَ فقال "يا محمد"**).

هذا حديثٌ صحيحُ الإسنادِ وهو إسنادٌ في صحيحِ البخاري إلى أبي إسحاق، قال الحافظ ابن رجبٍ في شرح البخاري بعد قول البخاري: أخبرنا أبو نعيم عن سفيان عن أبي إسحاق.

ومعناه: أن هذا الحديث سمعه البخاري من أبي نعيم عن سفيان (هو الثوري) بهذا الإسناد. انتهى، أي عن أبي إسحاق.

فحديثُ خَدَرِ الرِجلِ صحيحٌ، أبو نُعَيمٍ هو الإمامُ الفضلُ بنُ دُكَين الثقةُ الجبلُ، وسفيانُ جزمًا هو الثوري الإمامُ الثقة صاحبُ المذهبِ، وعادةُ الإمامِ أبي نعيم أن يُميِّزَ بين السفيانَين، فيقول عن الثوري (سفيانُ) وعن ابنِ عُيَيْنةَ (ابنُ عيينة) أو يسميه (سفيانَ بنَ عيينةَ)، وقد وقع ذلك في عدةِ مواضعَ في صحيح البخاري، فحيث يُطلِقُ أبو نعيم عن سفيانَ فإنه الثوري.

قال الذهبي في سِيَر أعلامِ النبلاء عند الكلامِ عن الحَمّادَين:

ويقع مثلُ هذا الاشتراكِ سواءً في السُفيانَين، فأصحاب سفيان الثوري كبارٌ قدماءُ وأصحابُ ابنِ عيينةَ صغارٌ لم يُدركوا الثوري، **فمتى رأيت القديمَ قد روى**

فقال: حدثنا سفيان، وأَبْهَم فهو الثوريُّ، وهم كَوَكِيعٍ وابنِ مَهديٍّ والفِريابيِّ **وأبي نُعيم**.انتهى

فهذا نصٌّ في المسئلةِ فاحفظه.

وقال شيخُ الإسلامِ الحافظُ ابنُ السُبْكيِّ في الطبقاتِ الكبرى في ذِكرِ جوابِ المِزّيِّ على سؤالٍ ورَدَه:

وأما سفيانُ الذي روى عنه عبدُ الرزاقِ فهو الثوريُّ لأنه أخصُّ به من ابنِ عيينة ولأنه إذا روى عن ابنِ عيينة ينسُبُه وإذا روى عن الثوري فتارةً ينسُبه وتارة لا ينسُبه وحينَ لا ينسُبه إما أن يكتفيَ بكونِهِ روى له عن شيخٍ لم يروِ عنه ابنُ عيينة فيَكتفي بذلك تمييزًا وهو الأكثرُ وإما أن يكتفيَ بشهرتِه واختصاصِه به، وهذه القاعدة جاريةٌ في غالبِ مَن يَروي عن سَمِيَّيْن أو يروي عنه سَمِيّان.انتهى

والسَمِيّانِ القَرينانِ يشتركانِ في الأخذ عن المَرويِّ عنه، والتمييزُ بينهما يُدرَكُ بالتسميةِ أو الاصطلاحِ أو الاختصاصِ أو معرفةِ الرواةِ المكثِرين عن أحَدِهم دونَ الآخرِ، ومثلُ قولِهما تفصيلُ الحافظ ابنِ حجرٍ في الفتح

ولا بأس بإيرادِه كاملاً لعظيم فائدتِهِ:

قولُه: حدثنا قبيصةُ هو ابن عُقبةَ وسفيانُ هو الثوري وزعم أبو نعيم في المستخرَج أن لفظَ قَبيصةَ هنا تصحيف ممن دون البخاري وأن الصواب حدثنا قُتيبة وعلى هـــذا فسفيانُ هو ابن عيينة لأن قتيبةَ لم يسمع من الثوري، لكن لا أعرف لإنكاره معنى إذ لا مانع أن يكون عند السفيانين وقد أخرجَه المصنفُ في الأدبِ من طريق يحيى القطانِ عن سفيان الثوري.انتهى

وقال أيضا في الفتح: قوله في السند (حـــدثنا أبـــو نُعَيمٍ) يريدُ الفضلَ بنَ دُكَينٍ الكوفيَّ الحافظَ المشهورَ القديمَ وليس هو الحافظَ المتأخرَ صاحبَ الحِلْيةِ والمستَخرَجِ، وقولُه (حدثنا الأعمشُ) كذا للجميع إلا لأبي عليٍ بنِ الـــسَكَن، فوقع عنده (حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان) وهو الثـــوري (حدثنا الأعمش) زاد فيه الثوري، قال أبو علي الجَيّـــانيُّ: والصوابُ قولُ مَن خالفَه من سائرِ الرواةِ، ورأيت في رواية القابِسي عن أبي زيد المَرْوَزي (حدثنا أبو نعيم) أُراهُ حدثنا

سفيان الثوري (حدثنا محمد) فحذف لفظ قال بين قولـــه أُراه وحدثنا وأراه بضم الهمزة أي أظنه، وأبو نعيمٍ سمع من الأعمش ومن السفيانَين عن الأعمـــش، **لكـــنَّ ســـفيانَ المذكورَ هنا هو الثوريُّ جزمًا**.انتهى

فقد رأيتَ هنا التمييزَ بين المُهمَلَين كيف يكونُ والله الموفق.

ومثالُ هذا الإطلاقِ عن البخاريِّ نفـــسِه في الأدبِ المفرد قولُه: حدثنا محمد بن كثير قال حدثنا سفيان عـــن عطاء بن السائب .... الحديثَ، ومحمد بن كثير العبـــدي هذا شيخُ البخاري روى عن الثوري فقط، ولم يذكروا له رواية عن ابن عيينة لا في الكمال ولا تهذيبه ولا في تهذيبِ التهذيب ولا في الجرحِ والتعديل ولا في الكاشـــف ولا في الميزانِ ولا لسانِه، وقال السَمْعانيُّ: أبو عبدِ الله محمدُ بـــن كثيرٍ العَبْدي من ثقات البصرة سمع سفيانَ الثوريَّ وشعبةَ ابنَ الحَجّاج وإسرائيلَ وعبدَ اللهِ بنَ المبارك.انتهى

وما وقع للحافظ العيني أنه محمدُ بنُ كثيرٍ عن سفيانَ بن عيينة فوهم أو تحريفٌ في النسخ، وقد صرح القسطلاني في إرشاد الساري كغيره بأنه الثوري بعينه في الموضعين، وكذلك ما وقع عند الإمام الباجي رضي الله تعالى عنه في التجريح والتعديل: محمد بن كثير أبو عبدِ اللهِ العبديُّ البصريُّ أخو سليمانَ أخرجَ عنه عن الثوريِّ والأعمش.انتهى

فالعبارةُ خطأ فإنها "عن الثوري وشعبة" أو "عن الثوري عن الأعمش" والأقربُ الأولُ لإرادتِهِ ذكرَ الثاني الذي روى عنه. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن هذا قوله في الأدب المفرد: حدثنا قَبيصةُ قال حدثنا سفيانُ عن سهيلِ بن أبي صالحٍ .... الحديث

فقبيصةُ أيضًا لم تُذكَر روايتُه إلا عن سفيانَ الثوريِّ وكان صغيرًا جدًا.

فهذا ما يطلقه الإمام أبو نُعَيمٍ الفضلُ بن دُكَينٍ ويريدُ به سفيانَ الثوريَّ، وفي كلِّ حالٍ سمع منه قبلَ ما قيلَ عنِ اختِلاطه فدَعوَى الاختلاطِ هنا باطلةٌ في كلِّ حال.

وهذا بابٌ واسعٌ اقتصَرتُ فيه على ما ذكرتُه للفائـــدةِ وحَسْمًا للباب.

أما أبو إسحاقَ السبيعيُّ فهو حافظ ثقة متين، إلا أن في روايته تفصيلاً من حيث ما قيل عن اختلاطِه وتدليسِه، وهذا هو مطعنُ المخالفين في الحديث وسيأتي الكلام عليه مفصَّلاً بإذن الله.

أما عبدُ الرحمٰنِ بنُ سعدٍ فروى عن مولاه ابنِ عمـــرَ رضي الله عنهما وهو ثقـــة، قـــال الحـــافظ في تهـــذيب التهذيب: روى عنه أبو إسحاق السبيعيُّ ومنـــصورُ بـــنُ المعتمرِ وأبو شيبةَ عبدُ الرحمٰنِ بنُ إسحاقَ الكوفي وحماد بن أبي سليمان. ذكره ابنُ حِبّانَ في الثقاتِ، قلـــت: وقـــال النسائيُّ ثقةٌ.انتهى

ويحتجُّ المخالفون بقول الإمامِ يحيى بـــنِ معـــينٍ: "لا أعرفُه"، والجوابُ أولاً أن غيرَه عرفَه، ومَن حفِظ حُجـــةٌ على من لم يحفَظْ، وهذه قاعدةٌ مقررةٌ من قواعدِ الفقهـــاءِ والمحدِّثين كما قال العَجْلُونيُّ في كشف الخفاءِ وغيرُه، لكنّ

المخالفينَ مِن ظُلمِهم يتمسكون بكلِّ طعنٍ فيما لا يوافقُ مشرَبَهم نسألُ اللهَ السلامة.

وليست هذه القصةُ صحيحةً ويظهرُ ذلك يا رعاك اللهُ بقليلٍ من التمعُّنِ إن شاء الله فيما سأقولُه:

العبارةُ بحروفِها في تاريخِ ابنِ مَعِينٍ روايةِ الدُّورِيِّ هي التالي:

سمعت يحيى يقولُ: الحديثُ الذي يَروُونَه (خَدِرَتْ رِجْلُ ابنِ عمرَ) وهو أبو إسحاقَ عن عبدِ الرحمٰنِ بنِ سعدٍ.

قيل ليحيى: مَن عبدُ الرحمٰنِ بنُ سعدٍ؟ قال: لا أدري شكَّ العباسُ سعيدٌ أو سعدٌ.انتهى

فهاتان جملتان مستقلَّتان، الثانيةُ مُستأنَفَةٌ لا تَعلُّقَ لها بالأُولى، وليس المقصودُ منها عبدَ الرحمٰنِ بنَ سعدٍ مولى ابنِ عمر، إنما هذا وهمٌ من راوي التاريخِ فظَنَّهما واحدًا فجمع بين العبارتين ودليلُه التالي:

قولُ الدارميِّ في تاريخِ ابنِ معينٍ: قلتُ **فعبدُ الرحمٰنِ**

بنُ سعدٍ المَدَنيُّ الذي يَروي عنه ابنُ وهبٍ ما حاله؟ فقال: لا أعرفه.انتهى

وقال ابن عَدِيٍّ في الكاملِ: عبدُ الرحمٰنِ بـــنُ ســـعدٍ المقعدُ مَدِيني

حدثنا محمد بن عليٍّ ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ (الـــدارمي) قلتُ: ليحيى بنِ مَعينٍ: **عبدُ الرحمٰنِ بنُ سعدٍ يروي عنـــه ابنُ وَهبٍ ما حالُه؟ فقال: لا أعرفه.**

قال الشـــيخ – أي ابنُ عَديٍّ – فقـــولُ ابـــنِ مـــعينٍ في هذه الـــحكايةِ إنّ عبدَ الرحمٰنِ بـــنَ ســـعدٍ لا أعرفه، فإن كان أراد ابنُ معينٍ بقولِه: يروي عنه ابنُ وهبٍ أي أن حديثَه يرويه ابنُ وهبٍ فنَعَم، وإنْ كانَ قولُه يروي عنه ابنُ وهبٍ نفسُه فلا شيءَ لأن عبدَ الرحمٰنِ بنَ ســـعدٍ يروي عنه الزهريُّ ويروي حديثَه.انتهى كلامُ ابنِ عدي، أي ويروي حديثَ الزهريِّ عنهُ ابنُ وهبٍ بواسطة.

وقال الحافظ المزّيُّ في تهذيب الكمال بصيغة الجـــزم: عبد الرحمٰن بن سعد الأعرج أبو حميد المدني المقعد مـــولى

بني مخزوم .... قال عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين لا أعرفه.انتهى

فروايةُ الدُوريِّ عن ابنِ معينٍ في تاريخِهِ فيهـــا وهـــم وعدمُ ضبطٍ لأمورٍ منها:

أنّ الدارمي سألَه بنفسِه عن عبدِ الرحمٰنِ بـــنِ ســـعدٍ المقعدِ المدينيِّ، بينما الدوريُّ ينقُل بـــدليلِ قولِـــه: (قيـــل ليحيى)، وهذا دليلُ عدمِ ثبوتِ سماعِهِ لها لأنه لـــو كـــان كذلك لعرف أنه المقعدُ المدِينيُّ، فالظاهر أنه عرف بعـــدَ ذلك أن ابنَ معينٍ سُئلَ عن عبدِ الرحمٰنِ بنِ سعدٍ فظنه هذا فجمع بينهما على أنهما واحدٌ، وفي مثل هذا أَلَّفَ العلماءُ في أوهام الجمعِ والتفريق أي الجمعِ بينَ متعدِّدَين فـــأكثرَ على أنه واحد، والتفريقِ بين واحدٍ بجعلِهِ أكثرَ.

ومنها شكُّ الدُوريِّ في اسمِهِ كما مرَّ (شكَّ العبـــاس سعيدٌ أم سعدٌ) دليلٌ على عدمِ ضبطِ هذه المسئلة.

ومُفادُها معرفةُ ابنِ معينٍ لحديث ابنِ عمرَ بدليلِ قولِه: الحديثُ الذي يَروُونَه (خَدِرَتْ رِجْلُ ابنِ عمرَ) وهو أبـــو

إسحاقَ عن عبدِ الرحمٰنِ بنِ سعدٍ.انتهى فهذا دليلُ معرفةٍ له، ولكنْ واللهُ المستعانُ حصل هذا الوهمُ فأُلحِقَت بها تلك العبارةُ وهي إنما في حقِّ ابنِ سعدٍ المقعدِ المديني وهو أبو حُمَيدٍ الأعرجُ.

فابنُ عَدِيٍّ أثبتَ عن ابنِ معينٍ من روايةِ الدارميِّ أنه لم يعرف عبدَ الرحمٰنِ بنَ سعدٍ المُقعدَ المديني، وهو يروي عنه الزهري وغيرُه، ومقرَّرٌ في المصطلح أنَّ التمييزَ بينَ متَّفِقَي الاِسمِ يكونُ بأمورٍ منها النسبةُ أو اللقبُ.

ويؤيد هذا قول السخاوي في التحفة اللطيفة:

عبدُ الرحمٰنِ بنُ سعدٍ الأعرجُ: أبو حُميد مولى بني مخزومٍ، المدنيُّ المقعدُ، **قال ابنُ معينٍ: لا أعرفه**.انتهى

تنبيه: أعجبُ هذه الأقوالِ هو قولُ المسمّى عبدَ الرحمٰنِ بنَ حسن بنِ قائد في تعليقِه على الوابل الصيِّبِ لابن القيِّم وهو مختصَرًا:

أبو إسحاق لم أجد مَن شيخُه، وعبدُ الرحمٰن بن سعد فيه جهالة قال الذهبي (لا يُعرَفُ)، وإن اعتبرَه ابنُ أبي حاتمٍ

مولى ابنِ عمر، إلا أنَّ جوابَ ابنِ مَعِينٍ يوردُ احتمـــالاً أن يكونَ غيرَه، ويُصدِّقُ قولَ الذهبي، راجع تاريخ ابنِ معين رواية الدوري.انتهى

والكتابُ مطبوعٌ بإشرافِ بكر بن عبد الله أبو زيد، وهم هكذا يكبِّرونَ الأسماءَ حتى كأنك تظنُّ أنـــك أمـــامَ شيخِ البخاريِّ.

قلت: هذا المحقِّقُ غيرُ محقِّقٍ وكأنه لا يدري ما يخرجُ من رأسه، فقد خلط تخليطًا عجيبًا فاضحًا، وهذا ما أكدتُه لك يا رعاكَ الله، فإنهم يحرِّفون ويزوِّرونَ عمْدًا وخطأً لقِلّةِ صدقِهم وحظِّهم في هذا العلم، أراحنا اللهُ من جهلِهـــم، فمثلُ هذا المعلقِ إما أنّه يهذي واختلطَ أو يكذبُ، فكيفَ جعلَ الثلاثةَ واحدًا، فجاءَ بالأولِ وجعلَه الثانيَ ثم ختمَهـــا بعبد الرحمٰن بنِ سعدٍ مقصودِنا فجمعَ بينَه وبينهما فـــصار الكل عنده واحدًا، والمضحكُ أنّ المشرفَ على الكتـــابِ (بكر بن عبد الله أبو زيد) قد أهلكَ نفسَه بهذا الإشراف، يظنُّ هذا المعلِّقُ زخرفةَ الكلامِ غيرَ مكشوفةٍ، ويـــستخفُّ بأهلِ العلمِ وأعمارِهم التي قضَوها في التدقيقِ والتحقيـــقِ،

وقد ذكر الذهبي عن ابن المبارَك: (مَنِ استَخَفَّ بالعلماءِ ذهبَتْ ءاخِرَتُه) والعياذ بالله، فعجبًا ما أشدَّ جرأتَه على الكذب، نسألُ اللهَ السلامةَ وحسنَ الختام.

والحمدُ للهِ على تحريرِ هذه المسئلةِ بفضلِهِ تعالى وكرمِه تباركَ كلَّ شيءٍ بخلقِهِ (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى).

شُبهتانِ للمخالفين:

الأولى: قولُهم إنَّ المِزِّيَّ لم يذكرْ توثيقَ النَسائيِّ له إنما اقتصرَ على توثيقِ ابنِ حبّان، فكيف ذكر ابنُ حجرٍ توثيقَ النسائيِّ له وأين؟

والجواب أنّ مَن حفظ حجةٌ على مَن لم يحفَظ، وابن حجرٍ فوقَ الثقةِ في نقلِه وليس مطالَبًا بذكرِ المصدرِ، وعلى كلِّ حالٍ فقد طالعَ عليهِ تتبُّعاتِ العلاّمةِ مُغلطاي، ومغلطاي استدرَكَ على المِزّيِّ ما فاته، ومن هذه الكتب التي استدركا منها على المِزّي كتابُ "التمييزِ" للنسائي، فهذا ما جعل ابن حجرٍ يستدركُ على المِزّيِّ، وهو يُكثِرُ

النقلَ عنه كثيرًا في تهذيب التهذيب.

أمَّا القولُ بأنَّ العلامةَ مغلطاي تحصلُ له أوهامٌ وابنُ حجرٍ تبعه فيها، فهيهاتَ هيهاتَ، نعم قد يجد المخالفون هذا في مشايخِهِم أما الإمامُ العَلَمُ الحافظُ ابنُ حجرٍ فليس بذاك الغافلِ والمقلِّدِ الأعمى، والدليلُ عليهِ قولُه في مقدمةِ تهذيب التهذيب:

وقد انتفعتُ في هذا الكتابِ المختصرِ بالكتابِ الذي جمعَه الإمامُ العلامةُ علاءُ الدينِ مغلطاي على تهذيبِ الكمالِ **مع عدم تقليدي له في شيءٍ مما ينقلُه** وإنما استعنتُ به في العاجلةِ **وكشفتُ الأصولَ التي عزا النقلَ إليها في الآجلةِ، فما وافق أَثبتُّهُ وما بايَنَ أَهْمَلتُه**.انتهى

فقد انهدمت شبهتُهُم بالباطلِ بهذا البيانِ من شيخِ الإسلام ابن حجرٍ، لَيْتَهُم يفقهونَ ويعترفونَ ولو في خلوةٍ أنَّ مَن غشَّنَا فليسَ مِنَّا، وأنَّ الدِّينَ المستَندَ إلى غِشِّ الناسِ ليس على الحقِّ والهدى والنجاةِ.

وهذه واللهِ شروطٌ جديدةٌ ما عُهِدَت في علم الروايةِ

والجرحِ والتعديلِ مِن قبلُ، إنما المشتَرَطُ أن يُوثِّقَ الراويَ عارِفٌ بأسبابِ الجرحِ والتعديل، فهذا الشرطُ مختَرَعٌ مُحْدَثٌ ولا يُقامُ له وزنٌ ولا يستحِقُّ واللهِ الردَّ عليه لأنه غايةٌ في السقوطِ والسذاجةِ، ولولا الخوفُ على المسلمين من تشويشِهم لكان أَوْلَى بالإهمال، وعلى كلٍّ تصرُّفُ الحفّاظِ معروفٌ وينافيه، مثالُه:

(أبو كَبْشةَ) لم يعرِفْه الحافظُ عبدُ الحقِّ الإشبيليُّ في أحكامِه وبَنَى على هذا أنه مجهولٌ فرَدَّه الحافظُ الكبيرُ ابنُ القطّان بقوله:

لكنه ثقَةٌ وثّقَهُ الكُوفِيُّ روى ذلك عنه ابنُه، ذكره المنتجالي.انتهى

وأقرَّه الذهبي في تتَبُّعاتِه له، والكوفي هو أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ العِجْلي، والمنتجالي من الحُفَّاظِ له تاريخٌ كبيرٌ في الرجالِ وغيرُه.

وقولُ الذهبيِّ في سِيَرِ أعلامِ النُبلاء:

أبو جعفرٍ يزيدُ بنُ القعقاعِ أحدُ الأئمةِ العشرةِ — أي

القراءِ – وثّقه ابنُ معينٍ والنَسائيُّ.انتهى، وسيّدُنا أبو جعفرٍ ثقةٌ جبلٌ أحدُ أئمةِ المسلمين ومن أكابرِ الأولياء وهو أحدُ أركانِ قراءةِ القرءانِ المتواترة نفعنا الله ببركاتِه ءامين، ومَن الذي يشكِّكُ في ثقتِه وعدالتِه حاشاه.

وهنا مسائلُ:

الأولى: اعتمادُ ابن القطّانِ على توثيقِ الكوفيِّ ولم يسألْ عن دليلِهِ في تعديلِه، لأنه عالمٌ عارفٌ بأسبابِ الجرحِ والتعديل، واكتفى بنقل المنتجالي وهو حافظ ثقة عن ابنِ العِجلي عن أبيه.

الثانية: في قوله: "ثقة وثَّقَه الكوفي" رد عليهم عندما قالوا لماذا لم يقل ابن حجر في التهذيب بأنه ثقة بل قال: قال النَسائي ثقة، وفي تقريب التهذيب قال: وثقه النسائي، وعبارة الحافظ ابن القطان ردٌّ عليهم وكشفٌ لجهلِهم حيث ابتدعوا شروطًا ما لها أصلٌ عند أهلِ السنة، فقد قال ابنُ القطان: "ثقة وثَّقه الكوفيُّ" ومعنى هذا أن نقله للتوثيق من غير ردٍ هو إقرارٌ وإلاّ لماذا ذكرَه.

ومثلُ هذا تفريقُهم بين قولِه "ثقة" و"وثقه فلان" حيث نسبوا إلى ابن حجرٍ أنه بالثانية يفِرُّ من عُهدَتِه، وهذا تقويلُ ابنِ حجرٍ ما لم يقُل، فقد أكثرَ من ذكر "هو ثقةٌ وثّقه فلان" في فتح الباري وغيره، ففي تعجيل المنفعةِ له عن بكار بن عبد الله الصنعاني: **وهو ثقة وثقه أحمد ويحيى**.انتهى

فإن توثيقَه إنما هو اعتمادًا على أنهم قبله وثقوه، فمن أين جاءوا بهذه القاعدةِ الجديدة.

وقال المِزّي في تهذيب الكمال في ترجمة الربيع بن حبيب الحنفي: وهو ثقة وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين.انتهى

الثالثة: إقرارُ الذهبيِّ لكلامِه في كتابِه "الرد على بيانِ الوهمِ والإيهامِ"، وهذا كلُّه صنيعُ الحفّاظ ولن تجدَ أحدًا من علماءِ الجرحِ والتعديلِ فرَّق بين قولِه "ثقة" وبين قولِه في بيان حالِه "وثقه فلان".

الرابعة: استدراكُ ابنِ حجرٍ على المِزيِّ فقد حكى عبارتَه "ذكره ابنُ حِبّان في الثقات" ثم قال: قلتُ: وقال النسائي ثقة.

فهذا من ابن حجرٍ نصٌّ على زيادةِ توثيقِه بعدمِ انفرادِ ابنِ حبانَ بالتوثيق.

الخامسة: يظهر بما مرَّ سقوطُ قولِ أحدِهم في محاولةٍ للتشكيك بتوثيق النسائي له حيث قال: أخشى أن يكون عبد الرحمٰن بن سعد هو الذي قبلَه، وقولُه "أخشى" دليلُ ضعفِ مستَنَدِه ومحاولةٌ لا وزنَ لها كالذي يحاولُ إزالةَ اليقينِ بأضعفِ الشك وهيهات، ولو كان ابنُ حجرٍ مخطئًا أو ساهيًا لما كرَّر كما قلتُ هذه العبارةَ بل هو غايةٌ في التدقيقِ لأنهُ قال:

عبدُ الرحمٰنِ بنُ سعدٍ المدنيُ مولى ابنِ سفيانَ ثقةٌ من الثالثة، ويحتمل أن يكونَ الذي بعده.

(مسلم وأبو داود وابنُ ماجه) عبدُ الرحمٰنِ بن سعد الأعرجُ أبو حُميد المدني المقعد مولى بني مخزومٍ وثقه النسائي من الثالثة.

ثم قال: عبدُ الرحمٰن بن سعد القرشي مولى ابن عمر كوفي وثقه النسائي من الثالثة.انتهى

فشتّانَ بينَ المديني مولى بني مَخْزُومٍ وبـين القرَشـيِّ الكوفيِّ مَولى ابنِ عمر، والمراد من هذا أنه لو اشتبها عليـه لقال كما قال في سابقِهِ "ولعلَّه الذي بعدَه" فـدلَّ علـى تحقيقِهِ، إلا أنّ هذا المخالفَ يريدُ أن يجعلَ الثلاثةَ واحـدًا والله حسيبُه.

ثُمَّ ألم يوثِّقْهُ النسائي، فقد وثّقه إمامٌ معتبَرٌ متـشدِّدٌ، فلماذا يغضُّون الطرفَ عنها.

ولو كان هذا القائلُ منصِفًا محافظًا على الأمانةِ العلمية التي سيُسألُ عنها يومَ القيامةِ لَما فاتَه أن ابنَ حجرٍ تعمَّـدَ الاستدراكَ على المِزّي في تهذيب التهذيب بقوله: "قلـتُ" ولما كرر حكايةَ توثيقِ النسائي له في تقريب التهذيب.

فائدةٌ: قد بقي قولُ الحافظِ ابنِ حجرٍ في عبد الرحمٰن ابن سعدٍ مهمَلاً بدونِ استدراكٍ أو تعقيبٍ عليهِ في "تحرير تقريبِ التهذيبِ": عبدُ الرحمٰن بنُ سعدٍ القرشيُّ الكـوفيُّ وثَّقه النسائيُّ. وهذا الكتابُ من تـأليف بـشار عـوّاد معروف – ولا تصِلُني به قرابةٌ – وشعيب الأرنـؤوط – وهو غير عبد القادر أرناؤوط صاحبِ الألبـاني – مـع

أخطاءٍ فيه لم أتتبعْها كلَّها - والحقُّ يقال - فيه فائدةُ زيادةِ النقلِ من أقوالِ العلماءِ وتقريبِ البعيد بدون عناءِ البحثِ، لكن كلامُهُما نفسُه يحتاج إلى تحريرٍ وأرى في الكتابِ عدمَ إنصافٍ منهما وتحاملاً واستدراكاتٍ على أميرِ المؤمنينَ في الحديث ابنِ حجرٍ شئتَ أم أَبَيتَ تجعلُك في شكٍ من حُكمِه جرحًا وتعديلاً، وهذا مردودٌ من حيثُ الإجمالُ، ومقدِّمَةُ الكتابِ تشوبُهُ عباراتٌ فيها ما يُنكَرُ عليهما قد لا يُلاحِظُه البعضُ، والله المستعان.

مثالٌ مختصَرٌ للفائدة:

اعترضا على قولِ الحافظِ رضي الله عنه في قوله عن محمد بن شداد: كوفي مقبول.

فقالا بحرفِ الإضراب: بل مجهولٌ تفرَّد بالرواية عنه الحسن بنُ عُبَيدِ الله النَخَعي، وذكره ابنُ حبان وحدَه في الثقات، ولهذا أدخله الذهبي في الميزان.انتهى

قلت: كذا قالا، وهذا خطأٌ منهما فإنّه لم يقُلْ إلا "مقبول" ولم يتعرّض لجهالتِهِ عَينًا أو حالاً، إنما هو مِمّن

روى عنهم الواحدُ وقُبِلَت روايتُه لاعتبارٍ ءاخرَ، فقد قال في مقدمة التقريب:

السادسة: من ليس له من الحديث إلا القليل، ولم يثبت فيه ما يُتْرَكُ حديثُه من أجله، وإليه الاشارة بلفظ: مقبول، حيث يتابع وإلا فلَيِّنُ الحديث.

ثم قال: التاسعة: مَن لم يروِ عنه غيرُ واحد **ولم يُوَثَّق**، وإليه الإشارة بلفظ **مجهول**.انتهى

فتوثيق ابنِ حبان مخرجٌ له، هذا هو اصطلاحُه وعلى هذا مشى وقد أَوفَى به، فعلامَ الاعتراضُ عليه.

ومن هؤلاءِ ضربٌ كثيرٌ في كتبِ الحديثِ، وفي الموطّأ غيرُ واحدٍ وكذا للنَسائيِّ وصَحَّحُوا أحاديثَهم، وهل خفيَ عليهما ذكرُ البخاريِّ له مع سكوتِه، ثم ابنِ أبي حاتمٍ في الجرحِ والتعديلِ مع سكوتِه، وهذا نافعٌ له بلا شكٍ، ثم تصحيحُ الحاكمِ لحديثِهِ ثم موافقةُ الذهبيِّ على تصحيحِ الحاكم بقوله: (صحيح)، ثم سكوتُ المزّيِّ والذهبيِ نفسهِ في الكاشف على توثيقِ ابنِ حبّان، فلأي شيءٍ اعترَضا

على الحافظِ لمجرَّدِ قولِه: "مقبول" وهذا من تَحَرِّيهِ وهـــي عبارةُ تعديلٍ خفيفةٌ كما لا يخفَى، وقد اقتدى بغيرِه مــن الأئمة قبلَه ولو أراد التساهلَ لوثَّقَه.

وأضِفْ إليهِ قولَ الحافظ السخاوي في التوضيحِ الأبْهَر شارحًا كلامَ ابنِ الملقِّنِ في مَن لم يروِ عنه إلا واحـــدٌ مـــا نصُّه:

وفائدتُه في الصحابةِ أنَّ مِمّا تثبُتُ به الصُحبةُ قـــولُ التابعيِّ الثقةِ، وفي مَن بعدَهم عدمُ زوالِ جهالةِ العين عنه، **وإن كان المختارُ خلافَه**.انتهى

فقَبولُ الأئمةِ له "وهم العُمدةُ" شيءٌ زائدٌ على انفرادِ راوٍ واحدٍ عنه، فقد صحَّحَ له الحاكمُ حديثَه ووافقه الذهبي لِمَا ظهَرَ مِن ضبطِهِ أيضًا، وهو:

أخبرنا محمدُ بنُ صالحٍ ثنا السُرِّيُّ بنُ خزيمةَ ثنا عمـــرُ بنُ حفصِ بن غِيَاثٍ ثنا أبي عن الحسن بن عبيد الله عـــن محمد بن شداد عن عبدِ الرحمٰنِ بنِ يزيدَ عن الأشتر قال : سمعت خالد بن الوليد يقول ... الحديثَ

ثم قال حدثَناه عليٌّ بن حمشادَ العدل ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ثنا عمرو بن مرزوق أنا شعبة أخبرني سلمة بن كهيل عن محمد بن عبد الرحمٰن بن يزيد عن أبيه عن الأشتر عن خالد بن الوليد قال: كان ..... الحديثَ نحوَه.

وهو رجلٌ ليس من المكثرين و لم يوجدْ في كتبِ الرجالِ راوٍ له غيرُ هذا، وقد حدَّثَ فضَبَطَ فماذا يُخشَى بعدَ ضبطِه وقَبولِهم له.

هذا مثالٌ واحدٌ، وهو مِن الوهمِ الذي نبَّه عليه الحافظ الجليلُ ابنُ القطّان في بيانِ الوهمِ والإيهامِ بقولِه:

فليس ينبغي لمن نظر في كتبِ الرجالِ فرأى مثلاً أبا كبشةَ السلوليَّ روى عنه حسانُ بنُ عطيةَ، أنْ يَظنَّ أنه لم يروِ عنه غيرُه، بل قد يوجد مِمّن يروي عنه جماعةٌ سِوى مَن ذُكِر.انتهى

أما كونُ الذهبيِّ أدخلَهُ في مِيزانِه فليس بذاك الدليلِ الصريحِ فمقدِّمتُه متجاذَبة الطرفَين لأنهُ ذكرَ أيضًا مَن في

عدالتِهِم وهنٌ، ثم المحدِّثين الضعفاء من قِبَل حفظِم فلـــهم غلطٌ وأوهامٌ و لم يُترَك حديثُهم، بل يُقبَـــلُ مـــا رَوَوه في الشواهدِ والاعتبارِ بهم لا في الأصولِ والحلالِ والحرامِ، ثم على المحدثينَ الصادقين أو الشيوخِ المستورين الذين فـــيهم لِينٌ و لم يبلُغوا رُتبةَ الأَثباتِ المتقِنين.انتهى كلامُه

فمثلاً قد أدخل خالدَ بنَ دُرَيكٍ في ميزانِه وهو ثقـــةٌ، وما أدخلَهُ إلا لبيانِ أنّ روايَتَه عن الصحابةِ مرسَلةٌ، فـــأينَ يُنقِصُ هذا من عدالتِهِ حتى يقال قد أدخلَـــهُ الـــذهبي في الميزان.

ثم أدخلَ بشيرَ بنَ طلحةَ في ميزانِهِ وهو ثقـــة غـــيرُ ضعيفٍ، وقال الحافظ بأن هذا من غلَطاتِ أبي الفتح عندما ليَّنَه بقولِه "ليس بالقوي".

فهل أضرَّ بهِ إدخالُ الذهبي له في ميزانِه حتى تجعلاها قاعدةً تحتجّان بها، نسأل الله السلامة.

وكم أدخلَ مِن رجالٍ هم أثبـــاتٌ و لم يُـــدخِلْهم إلا لأنهم قد ذُكِروا مِن قَبلُ ولو بغيرِ حُجّة.

هذا وكم عالِمٍ أخلَّ بشرطِهِ ولا يُعتبَرُ ذلكَ إلا استثناءً دونَ قدحٍ في شرطِهِ، فتنبَّه رحمك الله.

ثم حصل التناقضُ منهما عندَ ذكرِ الحافظِ في التقريبِ "عوسجةَ المكي" بقوله "ليس بالمشهور" فقالا:

بل صدوقٌ حسَنُ الحديثِ، تفرَّدَ بالروايةِ عنه عمرو بنُ دينار، ووثقه أبو زُرْعةَ الرازيّ وذكره ابنُ حبان في الثقات وحسَّنَ الترمذي حديثَه، **لكن قال أبو حاتمٍ والنسائيُّ: ليس بمشهور**، وقال البخاري لم يَصحَّ حديثُه. انتهى

ناشدتُكما اللهَ، أليس هذا أسوأ حالاً مِن الذي اعترضتما على قول الحافظ عنه "مقبول"، وليس من بابِ كوني حكَمًا إنما هو دفاعٌ ببيِّنةٍ عن حديثِ سيّدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أمير المؤمنين في الحديث ابنِ حجرٍ، وقد قلتُما عنه "تناقضَ تناقضًا عجيبًا"، فوقعتُما في ما لأجلِه ألّفتُما تحريرَكما وأشدَّ، ولا أدّعي عصمةَ الحافظِ ابنِ حجرٍ فليس هذا لأحدٍ بعد صاحبِ الشريعةِ عليه الصلاة والسلام، وكيف أدّعي عصمتَه وله كلامٌ غيرُ

محمودٍ في الفتحِ في قصةِ الغرانيقِ، لكنَّ الأمرَ الذي حصل لكما هو ما قاله القاضي عياضٌ في ترتيب المدارك وتقريب المسالك:

مَن كان أعلمَ بالأُصُولِ كانَ استِنْباطُه أصَحَّ وقياسُه أحَقَّ، وإلا فمتى اختَلَّت معرفتُه بالأصولِ قاسَ على اغتِرارٍ، وبَنَى على شَفا جُرُفٍ هارٍ.انتهى، أي فانهار به، والجُرُفُ الهارُ هو الطرفُ المشرِف على السقوطِ.

قلتُ: هذا صحيحٌ إن كان أرادَ إدخالَ الدليلِ العقليِّ، لأنّه قد يكونُ الشخصُ أعلمَ وأحفظَ إلا أنه ليس فطِنًا فيفوتُه الدليلُ بل الأدلةُ، وهذه المعرفةُ في عُمقِها على مراتبَ متفاوتةٍ - وأبعَدُ الناسِ عنها الظاهريةُ - وقد يظهرُ لَمن دونَه علمًا لفرطِ ذكائه، وذا سيّدي الإمامُ الأعظمُ أبو حنيفةَ رضي الله عنه لم يكن كالإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ رضي الله عنه في حفظِ الحديثِ، لكن لم يكنْ أحدٌ يُجاريهِ في استخراجِ الأحكامِ، وكان ءايةً من ءاياتِ الله رضي الله عن الأئمةِ الأربعةِ كلِّهم ءامين، والله تعالى أعلم.

وقد ساءني جدًا ما قرأتُه في مقدِّمةِ تحريرِ التقريبِ،

ولو طبّقاه على غيرِهما مِمّن هو أهلٌ لهذه الصَنعةِ بالشرطِ المعتبَر لكان صِدقًا، فقد قالا في المقدمة نقلاً عن أبي حاتمٍ الرازيِّ في قصّتِهِ المشهورة عن خبرةِ الأئمةِ الجهابذةِ في نقدِ الحديث:

وكذلك نحن رُزِقنا علمًا لا يتهيأُ لنا أن نُخبرَكَ كيفَ علِمنا بأن هذا الحديثَ كذبٌ، وهذا حديثٌ منكَرٌ إلا بما نعرفه.

فعقَّبا عليها بالتالي: وهذه المرحلةُ هي المرحلةُ الأكثرُ أهَميّةً في تاريخِ الجرحِ والتعديلِ، **وهي التي ينبغي أن تُتّبَعَ اليومَ، لا سيّما في المختَلَفِ فيهم، إذ يتعيَّنُ جمعُ حديثِهِم ودراستُه من عدةِ أوجه:**

ثم وضَعا قواعدَ للجرح والتعديل في هذا الزمن.

ولم أجدْ جوابًا على هذا سوى ما نقله السيوطيُّ عن شيخ الإسلامِ التاجِ بنِ السبكي في معيد النِعَم:

إنما المحدِّثُ مَن عرَفَ الأسانيدَ والعِلَلَ وأسماءَ الرجالِ والعاليَ والنازلَ، وحفِظَ مع ذلك جملةً مُستكثَرةً من المتونِ، وسمعَ الكتبَ الستةَ ومسنَدَ أحمدَ بنَ حنبلٍ وسننَ

البيهقيّ ومُعجَمَ الطبرانيِّ وضَمَّ إلى هذا القدرِ **ألفَ جُـــزءٍ من الأجزاءِ الحديثيةِ**، هذا أقلُّ درجاتِهِ، فإذا سَـــمِع مـــا ذكرناه وكتَبَ الطِباقَ ودارَ على الشيوخِ وتكلَّمَ في العِلَلِ والوَفَياتِ والمسانيدِ كان في أولِ درجـــاتِ المُحَـــدِّثين، ثم يزيدُ اللهُ مَن شاءَ ما شاء.انتهى

فعبارتُهما -نسألُ اللهَ السلامةَ- فيها ما فيها من تجويزِ مرتبةٍ خاصّةٍ بالحُفّاظِ وذَوِي درجةِ الاجتـــهادِ في الجـــرحِ والتعديلِ حيث قالا "**وهي التي ينبغي أن تُتّبَعَ اليومَ** " أي مقالةُ أبي حاتمٍ " نحن رُزِقنا علمًا لا يتهيأُ لنا أن نُخـــبرَكَ كيفَ علِمنا بأن هذا الحديثَ كذبٌ، وهذا حديثٌ منكَرٌ إلا بما نعرفُه".

بل صرَّحا في المقدمةِ بأنهما "اجتهَدا" فقالا: "لقـــد اجتهَدْنا في المختلَفِ فيهم"، فأقول واللهُ المستعان:

اليومَ اليومَ هذا أكبرُ منكما بكثيرٍ يا شيخُ شعيبُ، بل أنا وأنتما ومَن فوقَنا ومَن تحتَنا دونَها كما النجومُ دونَهـــا الأرضُ السابعةُ، وهل حصَّلَ أحدُنا عُـــشْرَ مـــا ذكـــرَهُ السيوطيُ عن السبكيِّ في أُولى درجاتِ المُحدِّثِ، حتى تأتيا

بعبارةٍ عظيمةٍ فيها التصريحِ بجوازِ الاجتهادِ لكما ولغيرِ كما في الرجال، وهَلاّ قلتُم للناسِ ما معنى كلامِ أبي حاتمٍ وأنه في المجتَهِدِ في الحديثِ الذي ينقدِحُ هذا المقصودُ في نفـــسِهِ وأنه في حقِّ الماهرِ الحاذقِ المطَّلِعِ على الحديثِ وعِلَلِه وأين أنتما من هذه المرتبةِ العظيمة، فهذه مرتبةٌ لا تجوزُ لأحـــدٍ منّا قولاً واحدًا مبتوتًا.

وكما فَعَلا قد يبحثُ الشخصُ عن قـــولِ الحـــافظ: قلتُ وثّقهُ ابن حبانَ مثلاً فلا يجِدُه، وهذا على التتبُّعِ يكونُ نقصًا في النُسَخِ التي بين أيدينا، فكما قالا في ترجمةِ رافعِ بنِ أُسَيدٍ بعد قولِ الحافظِ (قلتُ: وثقه ابنُ حِبّان) ما نصُّه:

بل مجهولٌ ولم يوَثِّقْه أحدٌ، تفرَّدَ بالروايةِ عنه جعفـــرُ بنُ عبدِ اللهِ الأنصاريُّ، قال ابنُ حجرٍ في تهذيبِ التهذيبِ: ذكرَهُ ابنُ حِبّانَ في الثقاتِ. قلنا: لم نجِدْه.انتهى

قلتُ أما التفرُّدُ فكانَ الأليَقُ بهما أن يتّبِعا الذهبيَّ بنفيه علمَه، فما أدراهُما أن غيرَه روى عنه كمـــا قـــال ابـــنُ القطّان، وعبارةُ الذهبي: ما علمتُ روى عنه سوى جعفرِ بنِ عبدِ اللهِ والدِ عبد الحميد.انتهى

أما توثيقُ ابنِ حبّانَ فقد نقلَه أيضًا الحافظ السخاويُّ في التحفةِ اللطيفةِ بقولِه: ذكرهُ ابنُ حبّانَ في الثقاتِ، وهو في التهذيب.انتهى

فهذانِ نقلانِ عن توثيقِ ابنِ حبّانَ ولا يقبَلُ قولُ قائلٍ "لعلّه" قلّدَ ابنَ حجرٍ فيه، لأنّ كلامَه دالٌّ على جَزمِهِ بأنّ ابنَ حبّان ذكرَه، ثم نبّهَ على أنهُ من رجالِ التهذيبِ لمعرفةِ أنّ له روايةً ولا يخفى هذا عليهما، وكذا فإنّ السخاويَّ حافظٌ للحديثِ مجتهدٌ فيه ولا شكَّ في كونِهِ أخذَ ثقاتِ ابنِ حبّانَ في جملةِ ما حصَّله في علومِ الحديث، ومن أمثلتِه قوله: عبد الله بن سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي، عداده في أهل المدينة، يروي عن أبي أيوب الأنصاري، وعنه خارجة بن عبد الله، **قاله ابنُ حبان في ثانيةِ ثقاتِه**.انتهى، أي في الطبقة الثانيةِ بعدَ الصحابةِ وهم الأُولى.

فهذان النصّانِ عن حافظَين ثقتَين يُثبتانِ توثيقَ ابنِ حبّانَ ويُشيرانِ بحسب الظاهر إلى نقصٍ في الموجودِ بينَ

أيدِينا كحالِ مسنَدِ الإمامِ أحمدَ وغيرِه، ويقضيانِ لابنِ حجرٍ عليهِما، وعليه فإنّ إنكارَهما منكَرٌ، ولو اكتفَيا بقول "لم نجِدْه" لكان سالمًا، إنما المُنكَرُ جزمُهما بالنفيِ، وأنّى للمقلّدِ أن يعترضَ على المجتهدِ ولو بلغت كتبُهُ عنانَ السماء.

فهذا النووي مع جلالَتِهِ بينَ الناسِ لم يبلُغ مرتبةَ الأصحابِ وليس له على سَعةِ اطّلاعِه في المذهبِ أن يستخرجَ وجهًا واحدًا من كلامِ الإمام الشافعي، وقد بلغَ مرتبةَ الترجيحِ فحسب، وقد عرَفَ حدَّه فوقَفَ عندَه، فاستفادَ وأفاد، فما هذه العبارةُ يا شيخُ شعيب.

هذا النوويُّ الذي قال فيه السبكيُّ رضي الله عنه:

عسى أَنِّي أَمَسُّ بِحُرِّ وَجهي ۞ مكانًا مسَّهُ قَدَمُ النَواوِي

وهذا الإنكارُ حقٌّ والتحذيرُ من العبارةِ بسببِ هذا واجبٌ، لأن الاجتهادَ في الرجالِ جرحًا وتعديلاً فرعٌ من الاجتهادِ في الأحاديثِ قَبولاً ورَدًّا، وكِلا الأمرين ليس لهما، وهل أنكرْنا – وشعيبٌ معنا– على الألبانِيِّ شطَحاتِه

إلا لأجلِ هذا، إلاّ أنّ الألبانيَّ فيه زيادةٌ وهي زَيغُه وأنه نذَر نفسَه للطعنِ في المقبولِ بأقسامِه الأربعةِ إن لم يوافقْ هواه.

وأنا لا أعرفُ شُعَيبًا إلا من خلالِ تحقيقِ الكتبِ ولا يسعُني سوى تحسينِ الظنِّ، ولا لي مأخذٌ عليه إلا في مسئلةِ الاجتهادِ هذه، ولولا النصيحةُ الشرعيةُ الواجبةُ لما تكلمتُ أصلاً وأرجو لي وله الخيرَ والسدادَ، وإن كنتُ قد أسأتُ في الكلامِ عنه فوقَ الحدِّ الجائزِ شرعًا فـإني أسـتغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه، وليس بِوُسْعِي سوى أن أحذِّرَ من هذه المسئلة الباطلة.

وقد قرأتُ لتلميذِه حسان المقدسي كتابَ "مناقـشة الألبانِّيينَ في الصلاةِ بين السواري" ردَّ عليهم ردًا قويًا التزمَ فيه الأدبَ وهذا يُحمَدُ عليهِ، لكن أخشى أن يكونَ حصلَ له نوعُ تعصُّبٍ من حيثُ تخريجُ الأحاديـثِ، فقـد أورد الأحاديثَ التي استدلَّ بها الألبانيونَ وبيَّنَ ضَعفَها واحـدًا تلوَ الآخَرِ، لكن لم يذكرْ مسئلةَ التقوِّي بالاعتـضادِ ولم يلتفِتْ إليها، ومعلومٌ ومقرَّرٌ أن الحديثَ يتقـوَّى بتعـدد الطُرُقِ، وإن كان الحديثُ دليلاً للخصمِ لا نأخذُ بهِ فعلينا

التزامُ القواعدِ شئنا أم أبَينا لنسلمَ في الدنيا ويومِ القيامـــة، هذا وقد يَكُونُ الحدِيثُ مردودًا مهمـــا كثـــرت طرُقـــهُ كالحديث المنسوخِ أو المخالف للإجماعِ والمصروف الظاهر المعمول بغيرِهِ مع وجودِهِ وفي سنن الترمذيِّ أمثلةٌ عليـــهِ، مع إكباري لتجنُّبِه الشتمَ والسبَّ الذي يتفاخرُ به الخصمُ كما سيأتي معنا بإذن الله.

أما بشار عواد معروف وهو بغداديٌّ على ما أظـــن، فعلى ما رأيتُ من عمَلِه في مقدمةِ سِيَرِ أعلامِ النبلاءِ وقد ذكر أتباعَ السيِّدِ أحمدَ الرفاعيِّ رضي الله عنه أبي العَلَمَينِ والعِلْمَين سلطانِ العارفين قدّس اللهُ سرَّه العظـــيم، فقـــد استنتَج بشار عواد معروف من كلام الذهبي ما كتبه هـــو من عندِ نفسِه بقوله إن الذهبي اعتبرهم من المارقين مـــن الدينِ أصحابَ أحوالٍ شيطانية.

وهذا من بشارٍ شنيعٌ وزيادةٌ في النصِّ من عندِه يفرَحُ بها قليلُ النظرِ، وقد استدلَّ بكلامِه "عبد الفتاح أبو غدة" في حاشيتِه على الرفع والتكميل وهو يدافعُ عن الـــذهبي، وهذا ما فيه عدلٌ ولا أمانة لا من بشار عواد معروف ولا

من "عبد الفتاحِ أبو غدة"، وخاصةً الأخيرَ لأنـــه علـــى اطلاعٍ ومعرفةٍ تامةٍ بنصِّ كلامِ الذهبيِّ في ســـيرِ أعـــلامِ النبلاءِ، لكنّه لم يكن يكفيهِ فاستغلّ كلامَ بـــشار عـــواد معروف، وهكذا يكون برّأَ نفسَه من تهمةِ التعدي وأنـــه مجردُ ناقلٍ لا غيرُ، فلا يُغـــضِبُ الـــصوفيةَ ولا يغـــضبُ النجديّين نسألُ اللهَ السلامةَ، وقد استخرتُ اللهَ في كتابٍ منفصلٍ بإذنِ اللهِ أردُّ فيه استنتاجَ بشار عواد معروف وما فيه من فسادٍ وضررٍ وبُهتانٍ وخطرٍ، وأفنّدُ فيه كلامَ الذهبيِّ بالبرهانِ الجليِّ إن شاءَ اللهُ السميعُ العليمُ، وقـــد أسميتُـــه **(نصبُ الأوتاد في الدفاعِ عـــن الرفاعيـــةِ والـــصوفيةِ الأسياد)**.

مثالٌ على أخطائهم الواضحة في الحديث:

جاء في الجزءِ الأولِ من سِيَرِ أعلامِ النـــبلاءِ للـــذهبيِّ ومكتوبٌ عليهِ أنّ شُعَيبًا قام بتخريجِ أحاديثِ الجزءِ الأولِ في ترجمةِ سيّدِنا خالدِ بنِ الوليدِ عند قولِه عن زِقِّ الخمـــرِ "اللهمَّ اجعلْه عسلاً، فانقَلَبَ عسلاً" ما نصُّه مِن تخـــريجِ الحديثِ:

نَسَبَه الحافظُ في "الإصابة" **إلى ابن سعدٍ من طريقين،** وإلى ابنِ أبي الدنيا، وقال: رواه ابنُ أبي الـــدنيا بإســـنادٍ صحيحٍ، عن خيثمة قال..." وانْظُـــر "الإصـــابة" ففيهـــا الروايتان.انتهى

قلتُ: هذا غيرُ صحيحٍ، ولم ينسُبْهُ الحافظُ إلى ابـــنِ سعدٍ، وهذه عبارةُ الحافظِ بحروفِها في الإصابةِ:

وقال يونسُ بنُ أبي إسحاقَ عن أبي السفر لما قَـــدِمَ خالدُ بنُ الوليدِ الحَرَّةَ أُتِيَ بِسُمٍّ فوضَعَه في راحتِهِ ثم سَمَّى وشَرِبَه فلم يَضُرَّه. **رواه أبو يعلى ورواه بن ســـعد مـــن وجهين ءاخَرين.**

وروى ابنُ أبي الدنيا بإسنادٍ صحيحٍ عن خَيثَمةَ قال أُتِيَ خالدُ بنُ الوليدِ بِرَجُلٍ معه زِقُّ خَمْرٍ، فقالَ: اللـــهُمَّ اجْعَلْهُ عَسَلاً فصارَ عَسَلاً. وفي روايةٍ له من هذا الوجهِ مرَّ رجلٌ بخالدٍ ومعه زِقُّ خمرٍ فقال ما هذا، قال: خَلٌّ، قـــال جَعَلَه اللهُ خَلاًّ، فنظروا فإذا هو خَلٌّ وقد كان خَمْرًا، وقال ابنُ سعدٍ: أخبرنا محمدُ بنُ عُبَيدِ اللهِ حدثنا إسماعيلُ بنُ أبي

خالدٍ عن زيادٍ مَولَى ءالِ خالدٍ: قال خالدٌ عندَ مَوتِــــهِ ... الخ.

وكما ترى فالحافظُ لم ينسُبْه إلى ابنِ سعدٍ، إنما ذلك حديثٌ ءاخرُ في شربِه السُمَّ، ولا أدري كيفَ يَسوغُ لهما الاجتهادُ في الرجالِ ولا يبذُل أحدُهما جهدًا في النظرِ فوقَ العبارةِ بسطرٍ واحدٍ، ولا يتكلَّفُ الرجوعَ إلى طبقاتِ ابنِ سعدٍ ليتبيَّنَ الأمرَ، فإن أخطأَ ابنُ حجرٍ أخطَئُوا معــــه وإنْ أصابَ أخطَئُوا وحدَهم، والعِلمُ أمانةٌ أعظم من هذا، والله تعالى أعلم وأحكم.

وعَوْدًا على بَدِيءٍ، فقولُ ذاكَ عن عبدِ الرحمٰنِ بـــنِ سعدٍ "أخشى" قد زال وظهَر بطلانُه بتنصيصِ ابنِ حجـــرٍ وسأنقلُ كلامَه بحروفِه:

(البخاري في الأدب المفرد) عبدُ الرحمٰنِ بـــنُ ســـعدٍ القرشي كوفي روى عن مولاه عبد الله بن عمر.

وعنه أبو إسحاق السبيعي ومنصور بن المعتمر وأبـــو شيبةَ عبدُ الرحمٰنِ بنُ إسحاقَ الكـــوفيُّ وحمـــاد بـــن أبي

سليمان.

ذكره ابن حبان في الثقات

قلت: وقال النسائي ثقة.انتهى بحروفه

وكشفُ سوءِ نيةِ القائلِ بالتشكيكِ هو أنّه لو أرادَ ابنُ حجرٍ الراويَ الذي قبلَه لما قال: **قلتُ: وقال النسائي ثقة،** لأنّه لا حاجة به إلى هذا القول وقد نقل توثيقَ المزّيِّ لـــه عن النسائيِّ نفسِه، فلماذا يقول بعد توثيق المزّي له عـــن النسائي: قلت وقال النسائي ثقة. هل هذا إلا حشوٌ، وهل كان ابنُ حجرٍ في رأيِهم على هذه الدرجة مـــن الغفلـــةِ والبلادةِ حتى يقول ردًّا على رجل قال: (قال النسائي ثقة) قلت: وقال النسائي ثقة؟ حاشاه رضي الله عنه وحسابُهم على الله.

فالمسئلةُ ليست فقط سوءَ فهمٍ بل سوءُ نيةٍ والعيـــاذ بالله من هوى النفوس، والمصيبةُ أنّ البعضَ صار يعُدُّ كـــلَّ ضربٍ من ضروبِ الطعنِ بحقٍ وبباطلٍ من الذكاءِ، فيؤدّي بهم الأمرُ إلى التنقيصِ كما حصل مع ابنِ تيميةَ من تنقيصِ

سيّدِنا عليٍّ عليه السلامُ في محاولاتِه الردَّ على الرافضي بكلِّ طريقةٍ، وهذا ظلمٌ وخيانةٌ منهم كما هو جَلِيٌّ، والساعةُ ءاتيةٌ لا ريب، نسألُك السترَ الجميلَ يا رحمٰن.

والأدهى من هذا أن أحدَهم حاولَ التشكيك بقولهِ: (ولم يذكُرِ الخزرَجيُّ في خلاصةِ تذهيبِ التهذيبِ – والتذهيبُ للذهبي – حكايةَ توثيقِ النسائي له).

قلت: هذا ابتلاه اللهُ بداءِ الطعنِ بغيرِ حقٍّ والعياذ باللهِ، فما علاقةُ التذهيبِ بتهذيبِ التهذيب، وأينَ الخزرجيُّ من ابنِ حجر في سَعةِ الاِطّلاعِ والحفظ، هذه واللهِ قواعدُ منكَرَةٌ جديدةٌ على المسلمينَ ابتدَعَها هؤلاءِ بحُجّةِ محاربَةِ البِدَع، فكانوا كمَن بنى قصرًا وهدم مِصْرًا وحسابُهم على الله فإنّ هذا حرامٌ من الكبائرِ واللهُ المستعان.

وهل يستطيع هذا أن يخبرَنا لماذا اقتصر الحافظ في لسان الميزان على قوله في الدفاع عن بشير بن طلحة "وثّقه ابنُ حبان"، ثم وجدنا الحسينيَّ في إكمال الكمال يقول مستدرِكًا: قال الإمامُ أحمدُ ليس به بأس.انتهى

فهل سيردُّ على الحسينيِّ بأن ابنَ حجرٍ لم يذكر هذا، هذا والله لَمِن الأعاجيب.

تنبيهٌ: وقع في تاريخ الإسلامِ للذهبي: عبدُ الرحمٰنِ بنُ سعدٍ الكوفيُّ **مولى عبدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ العــاص**، روى عن مولاه وعن أخيهِ عبد الله، وعنه: منصور وأبو إسحاق وحماد بن أبي سليمان وأبو شيبة عبدُ الرحمٰنِ بنُ إسحاقَ، ذكره ابن أبي حاتم.انتهى وهذا خطأٌ واضحٌ، مع اختلافٍ يسير بينها وبين عبارة ابن أبي حاتم في كتابه، والغريب أنه ذكره في تذهيبِ التهذيبِ فقال بأنه مولى ابن عمر، فتنبه، والله تعالى أعلم

فالإسنادُ الأولُ بحمد اللهِ صحيحٌ ما فيه علــة علــى خلافِ ما يدَّعِيه نُفاةُ التوسِّلِ هداهم الله ءامين.

طريقٌ ءاخرُ صحيحٌ عن أبي إسحاق

روى الإمام الحربي بإسناد صحيحٍ من طريقٍ ءاخــرَ فقال في كتابه "غريب الحديث":

حدثنا عفّانُ "حدثنا شُعْبَةُ" عن أبي إسحاقَ السبيعي

عمّن سمع ابنَ عمر قال خدِرَت رجلُه فقيلَ: اذْكُرْ أحبَّ الناسِ قال: (يا محمد).

حدثنا أحمدُ بن يونسَ حدثنا زهيرٌ عن أبي إســحاق عن عبدِ الرحمٰن بنِ سعد: جئتُ ابنَ عمــرَ فخــدِرَت رجلُه. فقلت: ما لرِجْلِك؟ قال: اجتمع عصَبُها قلــت: (اُدْعُ) أحبَّ الناس إليك قال: (يا محمدُ، فبسطها).انتهى كلامُ الإمامِ الحربي

قلتُ فينبغي بعدَ هذا البيانِ إلجامُ المخالفينَ بروايــةِ الإمامِ إبراهيمَ الحربيِّ لِمَا سيأتي في الكلامِ على التدليسِ، فهي روايةٌ صحيحة ما فيها علة والحمد لله.

تنبيهٌ: الْمُخالِفونَ كعادتِهِم طعنوا برواية زهيرٍ بأنــه روى عن أبي إسحاق بعد ما قيل من اختلاطِهِ، وهذا جهلٌ وغِشٌّ للمسلمين فإنّ الإشكال الذي وضعوهُ وتــصورُوهُ زال بموافقة رواية زهير لرواية الإمام الثوري قبل الاختلاط الذي تمسكوا به، والعنعنةُ زائلةٌ أيضا برواية الإمام شعبة،

وهذا يعرفه صغار طلبة الحديث الذين تلقَّوه من أهلِه الثقاتِ، بخلافِ المخالفين، فقولهم مردودٌ فاضح.

وهذا من فطنة الإمام الحربي رضي الله عنه فقد أتْبَعَ رواية شعبة برواية زهير لبيانِ أنه عبدُ الرحمٰنِ بنُ سعد مولى ابن عمر رضي الله عنهما، ومثلُ هذا الإبهامِ لا يضر مطلقا إذا جاء مسمًى من طريق ءاخر، وقد **قال الإمامُ شعبةُ: قد كفيتُكم تدليسَ ثلاثةٍ: الأعمشِ وأبي إسحاقَ وقتادةَ**.انتهى، فالإسنادُ بحمد الله صحيح بالشرطِ المعتبَر.

وقد أمِنَّا برواية الإمامِ شعبةَ تدليسَ أبي إسحاق فدل على أنه سمعه ممن رأى القصةَ ولله الحمد والمنة.

فائدةٌ: روايةُ الإمامِ الحربيِّ عن شعبةَ ليس فيها "إليك" إنما لفظُها "اذكر أحبَّ الناسِ"، ذكرتُها حتى لا يروِيَها أحدٌ عن شعبةَ ويزيدَ "إليك" فذلك ليس من كمالِ الضبط، والله تعالى أعلم.

وتصرفُ الإمام الحربي جيدٌ جليلٌ في مسئلتِنا لأنه صار كالمستخرَج يزيل الكثير من الإشكالات حول الاختلاط والتدليس والإبهام، ولتمام الفائدة أذكر بعضا

من فوائد المستخرجاتِ التي هي كمسئلتنا هنا من النكت الوفية للبرهان البقاعيِّ تلميذِ الحافظ ابن حجرٍ قال:

فمنها: أن يكونَ مصنّفُ الصحيحِ روى عن مخـــتلطٍ ولم يُبَيّن هل سماعُ ذلكَ الحديثِ منه في هذهِ الروايةِ قبـــلَ الاختلاط أو بعده؟ فيبينهُ المستخرجُ إما تصريحًا أو بـــأن يرويَهُ عنهُ مِن طريقِ مَنْ لم يسمعْ منهُ إلا قبلَ الاخــتلاطِ، ومنها: أَن يُروَى في "الصحيحِ" عن مدلِّسٍ بالعنعنةِ، فيرويهِ المستخرِجُ بالتصريحِ بالسماعِ فهاتانِ فائدتان جليلتان وإن كنا لا نتوقفُ في صحةِ ما رُوِيَ في الصحيحِ مِن ذلكَ غيرَ مبينٍ ونقولُ: لو لم يطّلع مصنّفُه مِن البخاريّ أو مسلمٍ أنهُ روى عنهُ قبلَ الاختلاطِ، وأَنَّ المدلسَ سمعَ لم يُخرِجاهَ.

ومنها: أَن يرويَ عن مبهمٍ كأن يقول: حدثنا فـــلانٌ أو رجلٌ أو فلانٌ وغيرهُ أو غيرُ واحدٍ أو نحوُ ذلك فيعينـــهُ المستخرجُ.

ومنها: أَن يرويَ عن مهمَلٍ نحوَ حدثنا محمدٌ مِن غيرِ ذكرِ ما يميزهُ عن غيرهِ منَ المحمَّدِينَ ويكونُ في مشايخِ مَنْ رواهُ كـــذلكَ مَـــن يـــشاركهُ في الاســـمِ، فيميـــزهُ

المستخرِجُ.انتهى وهو كلام نافع جدًا ومثلُه في تـــدريبُ الراوي وغيرِه، هناك زياداتٌ عليها ليس هذا محلَّها.

أما عدمُ ورودِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ سعد مسمًى في رواية الإمامِ شعبةَ فيحتمل أمرين، إما لأنه لم يحفظ اسمَه وإمـــا لأنه أراد الكثرة بحيث يكون سمعه منه عن عبد الرحمٰن بن سعد والهيثمِ بن حنش وغيرهما، كما سيأتي الكلام علـــى رواية الهيثمِ بن حنش مفصلا إن شاء الله.

وضعّف المخالفونَ هذا الحديثَ ظُلمًا بما لا يحق لهـــم وليسوا أهلَه، وهذا حرام من الكبائرِ المجمَعِ عليها، فادّعَوا أنه ضعيفٌ لأجلِ أبي إسحاق السَبيعي، فهو كما يقولون اختلط بآخرةٍ أي في ءاخر أمرِه وعمره، وأنـــه مـــدلِّسٌ معروفٌ بهذا الأمر.

وهذا مردودٌ والجوابُ عليه بمسائلَ، منها:

أن الحافظ الذهبي أنكر اختلاطه وقال: ثقة حجة بلا نزاع، من أئمة التابعين بالكوفة وأثباتهم إلا أنـــه **شـــاخ ونسيَ ولم يختلط**.انتهى

وفي كتابه "الرواة المتكلَّم فيهم بما لا يوجب الـــرد" ذكره قائلا:

أبو إسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله (ع) ثقة تغير قبل موته من الكِبَر وساء حفظه.انتهى، ورمز له بحـــرف (ع) أي روى حديثَه الجماعة.

وسلّم له الحافظ العراقي في عدم اختلاطــه قـــال في التقييد والإيضاح:

قوله أبو إسحاق السبيعيُّ اختلط أيضا ويقال إن سماع سفيان بن عيينة منه بعد ما اختلط ذكر ذلك أبـــو يعلـــى الخليليُّ انتهى

وفيه أمورٌ:

أحدُها: أن صاحب الميزان أنكر اختلاطه فقال شاخ ونسيَ و لم يختلط قال وقد سمع منه سفيان بن عيينة وقـــد تغير قليلا.

ثانيها: أن المصنفَ ذكرَ كونَ سماعِ ابنِ عيينةَ منه بعد ما اختلط بصيغة التمريض وهو حسن فإن بعض أهلِ العلمِ

أخذ ذلك من كلام لابن عيينة ليس صريحا فى ذلك قـــال يعقوب الفسوي قال ابن عيينة ثنا أبو إسحاق فى المسجد ليس معنا ثالث قال الفَسَوي: فقال بعض أهل العلم كان قد اختلط وإنما تركوه مع ابن عيينة لاختلاطه انتهى كلام الحافظ العراقي.

وهذا الاختلاطُ المنسوبُ إليه كما ترى ليس معمولا به، بل العلماءُ محتجون به، فقد قال الإمامُ الحافظُ الجليـــلُ أبو سعيدٍ صلاحُ الدينِ العلائيُّ في كتاب المختلِطين:

ولم يعتبر أحدٌ من الأئمةِ ما ذُكر من اخـــتلاطِ أبي إسحاقَ، احتجوا به مطلقًا وذلك يدل على أنه لم يختلطْ في شيءٍ من حديثهِ فهو من القسم الأول.انتهى

والقسمُ الأوّل من المختلِطين عند العلائيّ هم: من لم يوجِبْ ذلك له ضعفًا أصلا و لم يَحُطَّ من مرتبته إمّا لقِصر مدةِ الاختلاطِ وقلته وإمّا لأنه لم يرو شيئًا حال اختلاطه، فسلم حديثُه من الوهم.

وقال الإمام السيوطيُّ في تدريب الراوي:

(ومنهم أبو إسحاق) عمرو بن عبد الله (السبيعي) اختلط أيضا وأنكر ذلك الذهبي وقال شاخ ونسي ولم يختلط (ويقال سماع) سفيان (بن عيينة منه بعد اختلاطه) قاله الخليلي ولذلك لم يخرج له الشيخان من روايته عنه شيئا وقال الذهبي سمع منه وقد تغير قليلا.انتهى

وقال الإِبْناسي في الشذا الفياح من علومِ ابنِ الصلاح:

وأنكر صاحبُ الميزان اختلاطَه فقال شاخ ونسي ولم يختلط قال وقد سمع منه سفيانُ بنُ عيينة وقد تغير قليلا.انتهى

تنبيهٌ: (الإبناسي) قال العجمي في ذيل لُبّ اللُباب بأنه بفتح الهمزة نسبة إلى قريةٍ بمصرَ، لكن نصَّ في تاجِ العروسِ بأنها بالكسر وأصلها إبنَهْس.

قلت: ويقع التساهلُ في مثلِ هذا، كاختلافِهم في "القَسطلاني" والله أعلم.

فكما ترى فالعلماء لم يعملوا بدعوى اختلاطه بل احتجوا به مطلقا كما قال الإمامُ الحافظُ العلائي، وما قيل لا يضرُّ فمسئلة الاختلاط قد زالت بعد رواية الإمام شعبةَ عنه وهو ممن سمع منه قديمًا وفي هذا فوائد:

الأولى: انتفاءُ خشيةِ الاختلاطِ في هذه الرواية لثبوتها عنه قبل دعوى اختلاطه، فبطَلَت أولى حُججِ المخالفين.

الثانية: أن روايةَ الإمامِ شعبة الثابتةَ تصحيحٌ للروايات التي فيها سماعُ مَن قيل إنه سمع منه بعدَ اختلاطه لأنها دلت على ضبطه وبهذا يزول عنها التوقف أو الشك وتصير كغيرها صحيحةً معمولا بها، كمسئلة الحسن لذاته يتقوى بالصحيح لذاته فيرتقي ويصير صحيحا لغيره، وهكذا ومع هذا فروايةُ البخاريِّ في الأدب المفرد صحيحة لأن الثوري قد سمع منه قديما، فبطَلَت ثاني حُججِ المخالفين.

وأبو إسحاق كما قال الذهبي من أئمة التابعين وكان ثقة ضابطا بل قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب: وقال العلاءُ بن سالم: **كان الأعمش يتعجب من حفظ أبي إسحاقَ لرجالِه الذين يروي عنهم**.

الثالثة: أن ما يُذكرُ عن تدليسِه فمردود بأمرين:

الأول: أنه ثبت من رواية شعبة عنه، وقد قال شعبة: كفيتُكم تدليسَ ثلاثة الأعمشِ وأبي إسحاقَ وقتادةَ، فبطَلَت ثالثُ حُججِ المخالفين.

قال الحافظ ابن حجر: قلت فهذه قاعدة حسنةٌ في أحاديث هؤلاء الثلاثة أنها إذا جاءت من طريق شعبة دلت على السماع ولو كانت معنعنة.انتهى

قولُه: معنعنةً أي رواها بلفظ "عن" وهي التي يتمسك بها المخالفون بحجة عدمِ تصريحِهِ بالسَماعِ وقد ردَّ الإمامُ شعبةُ شبهَتَهم وأنه لا تدليسَ فيها.

الثاني: أن التدليسَ يُرَدُّ إجمالاً إلى أمرين هما: تدليسُ الشيوخ وتدليسُ الإسنادِ ذكرهما البَيقُوني من دون تفصيلٍ بقوله:

الأولُ الإسقاطُ للشيخِ وأنْ
يرويَ عمّن فوقَهُ بعَنْ وأن
والثانِ لا يُسقِطُهُ لكن يَصِفْ
أوصافَهُ بما بهِ لا يَنعرِفْ

فالنوعُ الأولُ وهو حذْفُه الشيخَ الـــذي سمـــع منـــه وروايتُه عن شيخِه الذي روى عنه المحذوفُ "بشرط علـــمِ اللُقِيّ" أما إن لم يلقَه إنما عاصره فقط فيصيرُ مرسَلاً خفيًّا.

وهذا غير واقع في رواية أبـــي إسحـــاق عـــن عبـــــدِ الرحمٰنِ بنِ سعدٍ لأن عبدَ الرحمٰنِ بنَ سعدٍ إنما روى عنـــه أربعةٌ فقط وهم:

منصور بن المعتمر، وحماد بن أبي ســـليمان، وأبـــو شيبة عبدُ الرحمٰنِ بنُ إسحاقَ الكوفيُّ، وأبـــو إســـحاق السبيعي.

أما منصورُ بنُ المعتمر وهو ثقة فعلى ما رأيتُ لا تُعلم لأبي إسحاقَ روايةٌ عنه، و لم أجدْ مَن ذكرَ أنه روى عـــن منصورٍ في كتب الطبقات، إنما روى منـــصورٌ عـــن أبي إسحاق، ثم روى عن منصورٍ الطبقةُ التي سمعت مـــن أبي إسحاقَ كإسرائيلَ بنِ يونسَ بنِ أبي إســـحاقَ والثـــوريّ والأعمشِ وابنِ عيينة.

وكذلك حماد بن أبي سليمان لا تُعلم لأبي إسحاق رواية عنه ولا له رواية عن أبي إسحاق وقد كان صاحب فقه قليل الرواية، قال الذهبي في السِيَر: وليس هو بالمكثر من الرواية، لانه مات قبل أوان الرواية.انتهى

وكذلك أبو شيبة عبدُ الرحمٰنِ بنُ إسحاقَ لم يرو عنه أبو إسحاق ولم يروِ أبو شيبةَ عنه.

فعلى هذا لا وجهَ لتدليسه إذن بحمد الله، وعبد الرحمٰن بن سعد ليس مكثرا من الحديث بل هو قليل الرواية فلو أراد أبو إسحاق التدليسَ لدلَّس عن غيرِه أي لكان حذف عبدَ الرحمٰن نفسَه وروى عمَّن سمع منه عبدُ الرحمٰنِ بنُ سعد مِنَ المشهورين.

تنبيه: من حيثُ الإجمالُ في الرواةِ، قد يكونُ هناك راوٍ روى عن رجلٍ، لكن لا يذكرونَه لأنه قليلٌ جدًا، وهذا يدخلُ أيضًا في الاحتمالِ العقليِّ، ولا يفيدُنا شيئًا هنا، لأنه مقامُ نفيٍ وإثباتٍ، ويقال في الحالين: إن كنتَ ناقلاً فالصحة، أو مُدَّعِيًا فالدليل، وهذه قاعدةٌ مقرَّرةٌ

تجدُها في كتب الأصولِ وكتب الجـــدل والمنـــاظرة، والله أعلم.

ويكفي بعدَ حصرِهم عن عبدِ الرحمٰن بنِ سعد بثلاثةٍ غيرِ أبي إسحاق أن يقال: قد عرَفنا بهذا مخرَجَهُ سواءٌ دلّسَهُ أم لا، فزالت شبهةُ التدليس.

وهذا كلُّه دونَ الكلامِ على إثباتِ الإمامِ شعبةَ سماعَ أبي إسحاقَ للحديثِ دونَ تدليس.

وتدليسُ الإسناد له أسباب منها ضـــعفُ الـــراوي، ومنها طلب علو الإسناد وهذانِ كما هو ظاهر لم يقعا من إبي إسحاق إذ لا مجال للتدليس هنا.

أما النوع الثاني للتدليس فهو تدليس الشيوخ وهـــو أن يصف شيخه بوصف لا يُعرف به ويريد بـــذلك إمـــا الإكثارُ من الرواية بحيث يَظهرُ تعدد الشيوخ ويكـــون في الحقيقة شيخا واحدا، وإما أن يغير وصفه بسبب ضـــعفه ولو كان ثقة عنده فيظن السامع أنه راوٍ ءاخر، أو بسبب صِغَرِه وهذا النوع قطعا لم يقع من أبي إسحاق السبيعي.

والحمد لله على تحرير هذه المسئلة التي بها يزول كل إشكال حول ما قيل عن تدليس أبي إسحاق.

فائدة مهمة:

هناك قواعدُ في علمِ الحديث تُذكَر عموما لكن يكون فيها استثناءات، وهذا أمر معروف عند أهل هذا الفـــن، فمثلا تدليسُ الأعمش معروف لكن يستثنى من ذلك مـــا أثبته البخاريُّ ومسلم في الصحيحين فيدل على السماعِ، أو ما نص حافظ على صحته، وكذلك يستثنى في شيوخٍ له كما قاله الذهبي في الميزان: متى قال "عن" تطـــرق إلى احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم: كـــإبراهيم، وأبي وائل، وأبي صالح السمان، فإن روايتـــه عـــن هـــذا الصَنف محمولة على الاتصال.انتهى

فلا يغرَّنـــّك قولهم "فلان مدلس" فتحملَه مطلقا لرد ما رواه هذا الراوي المدلسُ بلفظِ "عن" و"أن"، بل عليك أن تنظرَ في أقوال أهل العلم في مروياتِه وما يُستثنى منها.

وما نحن فيه واللهِ مصيبةٌ في هذا الزمن فقد تجرأ من قرأ بعضَ الكتب على التصحيحِ والتضعيفِ، فينظرُ في الميزان مثلاً فيرى أن هذا الراوي مدلِّسٌ، فيردُّ روايتَه بهذه الدعوى ولا يدري المسكينُ أنه في روايتِه عن فلانٍ لا يدلِّسُ، لأنه مثلاً روى عنه حديثًا أو حديثين، أو أنه في نفسِه غيرُ مشهورٍ بالروايةِ بل قد يكونُ هو أشهرَ الرواةِ عنه والناس إذا أرادت حديثَه تأتي إلى هذا المدلِّس، فأنَّى لهذا التدليسُ عنه، وإنّا للّه وإنا إليه راجعون على هذه المصيبة.

ففرق كبير بين القاعدةِ عمومًا وبين ما يستثنى منها، فأبو إسحاق – ولو سلّمنا تنزُّلا أنه اختلط – فيُستثنى منها كما قال الإمامُ الحافظُ العلائيُّ والحافظُ الذهبيُّ، وقال بعدهما ابن الكيال في الكواكب النيرات:

أطلق يحيى بنُ معين والنَسائيُّ والعِجْلي وأبو حاتمٍ القول بتوثيقه.انتهى

وهو معدود في أئمة التابعين وحفاظهم، وقد ثبت بحمد الله بكل حالٍ روايته لهذا الحديث قبل ما قيل عن اختلاطه وهي رواية شعبة والثوري، فدعوى اختلاطه باطلةٌ بعد هذا البيان.

روايةُ الهيثمِ بْنِ حَنَشٍ

قال الإمامُ ابنُ السُنِّيِّ رضي الله عنه في كتابِ عملِ اليومِ والليلةِ:

حدثنا محمد بن خالد البَرذَعي ثنا حاجب بن سليمان ثنا محمد بن مُصعَب ثنا إسرائيلُ عن أبي إسحاقَ عن الهيثم بن حنش قال: (كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك، فقال: يا محمد صلى الله عليه وسلم. قال: فقام فكأنما نُشِطَ مِن عِقال) انتهى

قلت: هذا على القواعد الحديثية لا ينزل عن رتبة الحسن، وقد ضعفه المخالفون بحاجبِ بن سليمانَ الثقة الحافظ ثم بمحمد بن مصعب القرقساني وأبي إسحاق

والهيثم بن حنش، وهذا تضعيف غير مقبول بالتالي:

حاجبُ بن سليمان ثقةٌ قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: الحافظ الرحّال، ولم يذكروا له إلا حديثًا رواه عن وكيع فحكم الدارقطني بوهمِهِ، وأنه انفردَ عن البعضِ كعبد المجيد بن أبي رواد بأحاديث لا يرويها غيرُه، وهذا واقعٌ في أغلبِ الرواةِ، وقد وثقه النسائي مطلقًا وقال الذهبي في الكاشف: ثقة، فلا يصح التمسك بعبارة الحافظ: صدوق يهِم، قال ابن مَعين: لستُ أعجبُ ممّن يحدِّثُ فيخطئُ، إنما العجبُ ممَّن يحدِّثُ فيُصيبُ، وقال في تاريخِه: من زعم أنّه يحدِّثُ ولا يخطئُ فهو كذّاب.انتهى، وقد صحّح له شيخُهم الألباني خمسةَ أحاديثَ في سنن النسائي، فسبحان الله العظيم، هؤلاءِ جماعةٌ ما فيهم واحدٌ أهلٌ للتصحيحِ والتضعيف.

وأمّا محمدُ بنُ مُصعبٍ صدوقٌ يخطئُ، قال الذهبي: فيه ضَعف. وهذه من عبارات التضعيف الخفيفة، فيه ضَعفٌ أي ليس ضعيفًا مطلقًا، ليس من أهل الدرجة

الوسطى فما دونها في الضعف بل هو فوق ذلـــك، بـــل صحّح له الترمذي.

لكن أليس من العجبِ أن يذكرَ المخالفونَ من ضعَّفَه فقط دون ذكرِ المعدِّلينَ له، وهذه العادةُ ليست جديـــدةً فطالما فعلوا نفس الشيء.

وقال ابن عدي: لمحمد بن مصعب عن الأَوزاعيِّ وعن غيره أحاديثُ صالحةٌ وعندي أنه ليس بروايتِه بأسٌ.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: لا بأس به.

قلت: بل احتج به الإمام البخاري في تاريخه في عدة مواضع، منها في ترجمة سحيم بن هانئ، قال:

سحيم بن هانئ، قال لي ابن أبي عتاب حدثني محمد بن مصعب القرقساني حدثنا سحيم بن هانئ وكان يجالس الاوزاعيَّ **وكان ثقةً**.انتهى

وهذا يثبت عدالتَه لأن إمامَ المـــسلمين في الحـــديثِ احتجّ به واعتمد عليه في توثيق رجلٍ، وتوثيقُ الضعيف لا يُقبَل فدلّ على أنه ثقة، وأنعِم به تعديلا.

وأوسط الأقوال فيه التي حكاها الحافظ ابن حجر في التقريب أنه صدوق كثير الخطأ. وقال الإمام البخاري: كان يحيى بنُ معين يُسيءُ الرأي فيه.

قلت: والإمام يحيى بن معين من المتشددين كما هو معروف.

وقال ابن أبي حاتم: قلت لأبي زرعةَ: محمدُ بن مُصعبٍ وعليٌّ بن عاصمٍ أيُّهما أحبُّ إليك قال محمدُ بن مصعب.

وروى له الحاكم في مستدركه وقال: ومحمد بن مصعب ثقة، ثم صحح له عدة أحاديث فخالفه الذهبي في تلخيصه وضعفه كما مر سابقا تضعيفا خفيفا، وهو فوق ذلك لما مرَّ عن الإمام البخاري وسيأتي تفصيلُه إن شاء الله.

وروى له الترمذي عن الأوزاعي حديثَ الاصطفاء وفيه: واصطفى من قريشٍ بني هاشم واصطفاني من بني هاشمٍ.

وقال: هذا حديث حسن صحيح

وصحح له شيخُهم الألبانيُّ واحتج به ابـــنُ تيميـــة إمامُهم وأقرَّ تصحيحَ الترمذي.

وقال الحافظ مغلَطاي في شرح سنن ابنِ ماجه عـــن حديث:

هذا حديث حسنٌ، للاختلافِ في حال "كثيرٍ" فإنّـــه ممَّن صحَّح له الترمذيُّ حديثًا.انتهى

فهذا الرجل حديثُه حسنٌ صدوقٌ يخطئُ، والمختلـــفُ فيه مثلُه يكونُ حديثُه حسنًا كما سيأتي لاحقًا بـــإذن الله، فمتى ما وافق غيره زال الضعف كما هو مقرر عند أئمـــة هذا العلم ولا جدال في هذا، ولا فرق بين كونِه وافقَ غيرَه في المتابعات أو في الشواهد.

مثاله قول الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد مُخَرِّجًـــا: رواه أحمد وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل وهـــو ســـيئ الحفظ قال الترمذي: صدوق وقد تكلم فيه بعض أهـــل العلم من قبل حفظه وسمعت محمد بن إسماعيـــل – يعـــني البخاري – يقول: كان أحمد بن حنبل وإســـحاق بـــن

إبراهيم والحميدي يحتجون بحديث ابن عقيل. قلت: (فالحديث حسن) والله أعلم.انتهى

وقال عن حديث: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وفيه سلمة بن الفضل وثقه ابن حبان وقال: يخطئ وضعفه جماعة وقد تابعه ابن لهيعة (فالحديث حسن).انتهى

قلت ولله الحمد فهذا عينُ ما نحن فيه، فهنا لا ينزل عن الحُسْن في هذه الحال لثبوت حفظه لما روى، ولا أراه إلا ضبطه بكل حال إذ قد صرح بالتحديث عن إسرائيل وهو عن أبي إسحاق لا محالة لأنه لا تُعلم للهيثم بن حنش رواية إلا من طريقِ أبي إسحاق وسلمةَ بن كُهَيل، وبالبديهة لا وجه لرواية محمد بن مصعب عن سلمة بن كُهيل، فروايته بهذا الإسناد مضبوطة، وهذا مما يدل بقليلِ النظر بعين الإنصاف على كونه عن إبي إسحاق عن الهيثم بن حنش.

ولو كان عن سلمة بن كهيل لكان لنا لأنه يكون ازداد قوةً وعلِمنا عِزّتَه أي اثنينيَّةَ الرواةِ عن ابنِ عمر رضي

الله عنهما ويكون متابعةً تغنينا عن كل هـــذا التفـــصيل، سبحان الله.

وعلى سبيل التنـــزُّل إن قلنا بكونه مخطئا عن الهيـــثم بن حنش فقد عرفنا مخرجه وأنه عن عبد الرحمٰن بن سعد على الصواب، ولله الحمدُ والمنة.

أما الهيثم بن حنش فهو ثقة بلا ريب، فـــسيأتيك ردُّ العلماءِ عليه، والهيثمُ أخذ عن ابن عمر رضي الله عنـــهما وحج معه وروى عنه وأخذ عنه فقها، وروى كذلك عن الصحابي حنظلة الكاتب رضي الله عنه، وسترى توثيقـــه بإذن الله وهذا ما سيُظهِرُ جهلَ المخالفين الخائضين في هذا العلم بغير علم ولا هدى، وسترى كيف خانوا أمانةَ العلمِ واقتصروا على تجهيلِ الخطيبِ البغداديِّ لعينه وهم يعلمون أنه ليس كذلك.

وقلَّدَ الخطيبَ جماعةٌ ممَّن ليسوا من أهلِ الحفـــظِ لا حاجةَ بنا إلى ذكرِهم.

والهيثمُ بن حنش روى عنه **أبو إســـحاق الـــسبيعيُّ وسلمةُ بن كُهَيلٍ، وشعبة** – على الثابت – كذلك كما

ستراهُ بإذن الله.

قال ابن أبي حاتم: **الهيثم بن حنش النَخَعي كوفي** روى عن ابن عمر، روى عنه أبو إسحاق الهَمْداني –أي السبيعي– وسلمةُ بنُ كُهَيلٍ سمعت أبي يقول ذلك.انتهى

وقال الإمامُ الدارقطنيُّ في المؤتلِف والمختلِف: الهيثم بن حنش يروي عن حنظلة الكاتب حدث عنه سلمة بن كهيل.انتهى

فابتداءً هو ليس مجهولَ العين كما تمسك به المخالفون أخذًا بقول الإمام الخطيب البغدادي إنه لم يرو عنه إلا أبو إسحاق، فهذا خطأ من الإمام الخطيب ولهذا رده العلماء في كتبهم، وبعضُ المختصرين لمقدمةِ ابن الصلاح حذف اسمَ الهيثمِ بنِ حنشٍ ممن انفرد بالرواية عنهم أبو إسحاق على قول الخطيب.

مثاله: قول الإمام العراقي في فتح المغيث: وكذلك الهيثم بن حنش روى عنه أيضا سلمة بن كهيل، قاله أبو حاتم الرازي.انتهى

وقول الإمامُ ابنُ الملقِّن في كتابه المقنِع:

وذكر الخطيب أيضا أنه لم يرو "عن الهيثم بن حنش" غيرُ أبي إسحاق هذا وليس كما قال فقد روى عنه أيضا سلمة ابن كهيل.انتهى

وقال الإمامُ أبو نُعيم في معرفةِ الصحابةِ: حنظلةُ بنُ الربيعِ بنِ المُرَقَّعِ بنِ صَيفِيٍّ الأسيديُّ التميميُّ كاتبُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وهو ابنُ أخي أَكثَمَ بنِ صَيفي. روى عنه أبو عثمانَ النَهْديُّ ويزيدُ بنُ الشِخِّيرِ والمرقعُ بنُ صيفيٍّ والهيثمُ بنُ حنش.انتهى

قلت: روايتُه عن حنظلة الكاتب وهو حنظلةُ بن ربيعةَ الأُسَيديُّ (ويجوز فيها الأُسَيِّدي) وكان من كُتّاب الوحي رضي الله عنه، في مصنف عبد الرزاق وابن أبي شيبة والطبراني في الكبير وغيرها، وقد تتبعت مروياتِه فوجدتُه شديدَ الضبط يروي الحديث بضبط تام، مثاله:

قال الطبراني في المعجم الكبير: حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا أبو حذيفة ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل

"عن الهيثم بن حنش": عن حنظلة الكاتب قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الجنة والنار فكنـــا رأي عين فخرجتُ فأتيت أهلي فضحكت معهم فوقع في نفسي شيء فلقيت أبا بكر رحمه الله فقلت: إني نافقـــت قال: وما ذلك؟ فقلت: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الجنة والنار وكنا كأَنَّا رأي عين فأتيت أهلي فضحكت معهم قال أبو بكر إنا لنفعل ذلك فأتيت الـــنبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له قال: يا حنظلة لـــو كنتم عند أهليكم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطريق يا حنظلة ساعة وساعة.انتهى

ورواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي عثمان النهـــدي عن حنظلة الأسيدي الكاتب قال:

كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا الجنة والنار حتى كأنّا رأيَ عين فأتيت أهلي وولدي فضحكت ولعبت وذكرت الذي كنا فيه فخرجت فلقيت أبا بكـــر فقلت نافقتُ نافقت فقال إنا لنفعله فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال يا حنظلة لـــو كنـــتم

تكونون كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكـــة علـــى فرشكم أو في طرقكم - أو كلمةً نحو هذا - هكذا قـــال هو يعني سفيان يا حنظلة ساعة وساعة.انتهى

قال أبو نُعيم: ورواه الثوريُّ عن سلمةَ بنِ كهيلٍ عن الهيثمِ بن حنش عن حنظلةَ نحوَه.انتهى ومثلُه في تهـــذيب الكمالِ للمِزّي.

وهذا بحمد الله ضبط تام، وهناك رواياتٌ أخـــرى تدل على كمالِ ضبطِه، كقولِه عن ابنِ عمرَ في الحـــج: (ربِّ اغفِرْ وارحمْ إنَّكَ أنتَ الأعزُّ الأكرم). وقد استحبّه أهلُ العلمِ كالشافعيِّ رضي الله عنه لِما رُوي عـــن ابـــن عمر.

وقال العلاّمةُ الحافظُ مُغْلَطاي (ويقال مُغُلْطـــاي) في شرح سنن ابن ماجه:

حديثُ ابنِ عمرَ المذكورُ في مسنَدِ الـــسرّاج بـــسندٍ صحيح قال: كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وءاله وسلم فجاء رجل فدخل في الصلاة فقال: الله أكبر، كبيرا والحمد

لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا، فلما قضى النبي صلى الله عليه وءاله وسلم الصلاة قال: من صاحب كلام كـــذا وكذا فقال الرجل: أنا، فقال: عجبت لها فتحت لها أبواب السموات، قال ابن عمر: فما تركتُهُن منذ سمعـــتُ الـــنبيَّ صلّى الله عليه وءاله وسلم يقول ذلك.انتهى

قلت: روى عبدُ الرزاق في مصنَّفِه عن أبي إســـحاق عن الهيثم بن حنش أنه رأى بن عمر وصلى معه إلى جنبه فقال الله أكبر، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وســـبحان الله بكرة وأصيلا اللهم اجعَلْكَ أحبَّ شيءٍ إليّ وأحـــسنَ شيءٍ عندي.انتهى

وهذا يدل على كمال ضبطه وملازمته له بمعنى أنه لم يكن فقط ممن رءاه مرة أو حضر له مجلسًا، فقد صلى معه هنا وروى عنه أبو إسحاق أنه حج معه وسمعه يلبي كما في مصنَّفِ ابن أبي شيبة، وسأله في الحج عن التلبية كما رواه ابن جرير.

والهيثم بن حنش وثقه ابنُ حبانَ في ثقاتـــه فقـــال: (الهيثم بن حُبَيش) **النخعي يروي عن ابن عمر، روى عنه**

أبو إسحاق الهمداني وسلمة بن كهيل.انتهى

وهذا كما تراه تحريفُ نَسْخٍ لا أكثر، وقد وقع هـــذا أيضا في التاريخ الكبير للإمام البخاري فقال: (الهيثم بـــن حبيش) النخعي روى عنه أبو إسحاق الهمداني وسلمة بن كهيل.انتهى

وقالَ الإمامُ مسلمٌ في المنفرداتِ والوحدانِ: الهيثمُ بنُ حبيش. ذكَرَه فيمن انفرد أبو إسحاقَ السبيعيُّ بالروايـــةِ عنهم، وهذا غير صحيحٍ في تفرُّدِ أبي إسحاقَ عنه كمـــا علمت.

وهو الهيثم بن حنش إنما التصحيف من النساخ كما يظهر ولا يوجد ابن حبيش ولا له رواية أبدا، والله أعلـــم في أي زمن حصل هذا التـــصحيف لكنـــه عجيـــبٌ لأن الحافظ علاءَ الدين مغلطاي قال في شرح سنن ابن ماجه:

روى أبو نعيم – أي الإمامُ الفضلُ بنُ دكـــينٍ – في كتاب الصلاة (**بسند صحيح**) على رسم الـــبستي عن أبي الأحوص عن أبي إسحاقَ عن **الهيثم بن حنش** عن ابـــن

عمر موقوفا: اللهم اجعَلْكَ أحبَّ شيءٍ إليّ وأحسنَ شيءٍ عندي.

قلت: وهو في مصنف عبد الرزاق وابن أبي شيبة عن الهيثم بن حنش عن ابن عمر كما مر، وما كُتِبَ في بعضِ النسخِ من شرح مغلطاي في شرح ابنِ ماجهْ أنّه حبيش فغير صحيحٍ لأني اطّلعتُ على الشرحِ مخطوطًا ورأيتُ كلمةَ حنش مكتوبةً بغيرِ نَقطٍ (حسس)، فصحّفها الناقلُ، وسترى بإذن اللهِ في ءاخرِ الكتابِ صورةً عنها، وءافةُ الكتبِ نُسّاخُها، والله المستعان.

ووجدت عبد الرحمٰن اليماني — وهو عظيمٌ جدًا عند المخالفين – قال: كذا في الأصلين والثقات والذي في كتاب ابن أبي حاتم (حنش) وفي لسان الميزان: (الهيثم بن حسن) قال الخطيب في الكفاية لم يروِ عنه غير أبي اسحاقَ السبيعيِّ. والصواب في اللسان (حنش) لانه ذكره بعد (الهيثم بن حماد) وفي الكفاية (حنش) فهو الراجح.انتهى

قلتُ: أما لسانُ الميزانِ ففي نُسخةٍ هكذا، وفي نسخة

جيدة بدون تحريفٍ "الهيثمُ بن حنش" لهذا حاول اليماني إثباتَ أنه في اللسان من خطأ النساخ، لأنه جاء بالهيثم بن حسن بعد الهيثم بن حماد، وحرف النون (حنـــ) بعد الميم (حمـــ) وهذا إثبات تصحيف الناسخ، وليس الوهمُ من ابنِ حجر يقينًا، لأنه ذكره في فتح الباري باسمه قال: والرجل الذي أتى ابن عمر هو العلاء بن عرار بمهملات بيّنه النسائي في كتاب الخصائص، وفي أمالي النجاد أنه ابن عرار أو **الهيثم بن حنش**.انتهى

وعجيبٌ أنهم يصفونه بأنه "ذهبيُّ العصر" ولا يعرفُ كتاب "المنفردات والوحدان" للإمامِ مسلمٍ، ولا يُحسِنُ النظرَ في فتح الباري الذي هو في متناوَلِ المبتدئينَ زيادة على المنتهينَ المتمرِّسين، ولا يَعرفُ أنّ أبا إسحاقَ لم ينفردْ بالروايةِ عن الهيثمِ، وإن كان يعرفُ فالمصيبةُ أكبرُ، وعجبًا له كيف يدّعي التبحُّرَ في "التنكيل"، وهو ناقلٌ ولا يَسَعُه السكوتُ في مقامِ البيان إن كان ينقلُ كلامًا باطلاً، وهذا أولُ تنكيلٍ له ولله في خلقِه شُئونٌ وأولُ الغيثِ قطرة.

وفي إيراد الحافظِ ابنِ حجرٍ لروايةِ النجاد فائدةٌ وهي إثباتُ سماعِه من ابنِ عمر وإقرارُ ابنِ حجرٍ لأنه سكتَ عنها وهذا مما اشترطه في مقدمة الفتح فلا تنزل عنده عن مرتبة الثبوتِ، وهذا توثيق ءاخر يستفاد من ابن حجر، ولعلّنا لو اطّلعنا على اسم الراوي لأَثبتنا راويًا ءاخر عن الهيثم، ولو كان كلامُ النجادِ غيرَ مسلَّمٍ به لَضَعَّف الروايةَ.

وكذلك ابنُ حجر نقله عن الخطيب في الكفاية، والخطيبُ يقول: (الهيثم بن حنش)، فليس من ابن حجر قطعًا.

وهذا فيه مسائلُ:

منها: قول الحافظِ مُغلطاي بإسنادٍ صحيح تصحيح لإسناد أبي إسحاق عن الهيثم بن حنش والحمد لله.

ومنها: توثيق الهيثم بن حنش

ومنها: تصديقٌ لقولي الذي قلته تفقُّها تَبَعا للقواعد الحديثية أنه لا مجال للتدليس هنا، لأنه لا راوي عنه إلا أبو

إسحاقَ وسلمةُ بنُ كُهيلٍ ولا سبيل لرواية القرقساني عن ابن كهيل عن الهيثم.

وهذا كلُّه لن تجدَه مجموعًا منصوصًا عليه في مَظانِّـــه إنما يسّر اللهِ تبارك وتعالى جمعَها هنا بحمدِ الله، ولم يــزلْ أهلُ السنةِ أشاعرةً وماتُريدِيَّةً ناصِري العلومِ ومُحرِّريهـا طائفةً منصورةً بإذنِ اللهِ حتى يأتيَ أمرُ اللهِ تعالى، وهل بعدَ هذا البيانِ يُعتمَدُ على كـلامِ الألبـانيِّ المتعـدِّي علـى الأحاديثِ راكبًا مَطِيّةَ جهلِه .

بحثٌ في روايةِ شعبةَ عن الهيثمِ ورفعِ الإشكالِ عنها:

روى الإمامُ الحافظُ أبو عبيدٍ القاسمُ بنُ ســلاّم في كتاب الطهور من طريق شعبة سمعتُ "**الهيثمَ بنَ حبيـب**" قال: سمعت ابن عمر حين دخل في الـصلاة، أو افتَـتح الصلاة ، يقول: اللهمَ اجْعَلْكَ أحبَّ شيءٍ إليّ وأخـشى شيءٍ عندي.انتهى

قلت: شعبة روى عن الهيثمِ بنِ حبيبٍ وهو ثقـةٌ أحاديثُه شديدةُ الاستقامةِ على قولِ الإمامِ شعبةَ، لكن

لم أرَ من ذكر لابن حبيبٍ روايةً عن ابنِ عمرَ وهو من الطبقة السادسة التي لم يثبت لها لقاءُ صحابيٍّ، وعلى هذا فهو تابعيٌّ باعتبارِ المعاصرةِ، فذاك هو الهيثمُ بن حنش وهذا يُثبتُ سماعَ شعبةَ من الهيثمِ بنِ حنش، فتكون محرَّفةً من حنش إلى حنيش أو حبيش إلى حبيب كما رأيتَه وتكرَّر معك، ولعل الناسخَ علم بروايةِ شعبةَ عن الهيثم بن حبيب الصيرفي فظنّه هو، وإما أن يكون عن الهيثم بن حبيب عن راو عن ابنِ عمر وهذا لا يستقيمُ لأنّ شعبةَ صرَّح بسماعِه، وملاَّ علي القاري قال بأنه من أجلاء التابعين ثم ذكر روايةَ الإمام أبي حنيفةَ عنه عن أنسِ بن مالكٍ ولم يَحْكِ أنه سمع منه أو لم يسمع منه، وملا علي القاري لم يكن حافظا إنما كان محدثًا فقط، ولعلّه قصور منه فإن الحافظ ابن حجر عدّه من أهل الطبقة السادسة التي قال فيها:

السادسة: طبقة عاصروا الخامسة — وهم صغار التابعين - لكن لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة كابن جريج.

ثم قال: الهيثم بن حبيب الصيرفي الكوفي صدوق من السادسة.انتهى

قلت: صدوقٌ هنا باعتبارِ حالِ ما قيل عنه تعني أنه ثقة، وعلى هذا يتلخصُّ أمران هنا والله أعلم:

الأول: ما مرَّ من عدمِ ذكرِ روايتِهِ عن الصحابةِ إلا بالعنعنةِ، قال المزّيُّ: يشبهُ أن يكونَ في المراسيل (وجعل رمزَه "مد" أي مراسيل أبي داود) وأقرَّه الحافظُ ابنُ حجرٍ في تهذيب التهذيب.

الثاني: أنها صُحِّفَت أو حصلَ سقطٌ في النَسخِ أو هو وهمٌ حاصلٌ من الجمعِ بين حنشٍ وحنيشٍ وحبيشٍ وبينَ روايةِ الإمام شعبة عادةً عن الهيثمِ بنِ حبيبٍ، وكانوا قديمًا كما هو معروف يكتبون بطريقةٍ يسهُلُ فيها التصحيفُ، وما كان عندَهم في الزمن الأول تنقيطٌ كما هو الحالُ

الآنَ، و لم يكن شكلُ الحروفِ كما هو الآنَ، فتَقرأ مـــثلاً في باب الطهارة على رسم خطِّهم: (اســـر وسلار) بغير نَقط، وظاهر لنا أنها (اســـر وسلار) أو وهذا الرســـمُ لا معنى له لا في باب الطهارةِ ولا في غيرِه، وبعـــد النظـــر والمقارَنة ظهر أنها (اثنتين وثلاث)، وعلـــى هـــذا فقـــس (سفيان بغير نَقطٍ ولا ألف) كما تكتب "سُفْيَن ورحمٰـــن" تظهر لك (سمـــر أو سفـــر) وعلـــى هـــذا فكلمـــة (حـــس وحـــيب) **بغيرِ نقطٍ** مثلها، وهم يكتبون الباء كالراء (حبير) وتصحيفُها (حييس) وهي حبيش بغير نقط في غاية السهولة، فتشابُههما شـــديدٌ والتـــصحيف فيهما في غاية السهولة، ولولا هذا لما صحفُّوا (حنش إلى حبيش).

ولا عجبَ فقد وقع التصحيفُ بأشدَّ من هذا، وقصةُ الإمام الحافظ صالح "جزَرة" من أئمةِ الـــسلفِ مـــشهورةٌ وكان سببُها أنه أراد أن يقرأَ "خرَزَة" فـــصحَّفَها فقـــال "جزَرَة" وصار لقبًا له يعرفُ به (صالح جـــزرة)، وكـــذا

تصحيفُ الحافظِ أبي بكرٍ الصُولِيّ قال: (من صام رمضانَ وأتبَعَه شيئًا من شوّال) إنما الحديث (وأتبَعَــه سِــتًّا مــن شوال).

وأعجبُ من هذا أن أحدَهم أراد أن يكتبَ تصحيف الحافظِ غُنْدَر وكيف صحَّفَ "أُبَيّ" أي ابنَ كعبٍ فقــال "أَبِي"، فقال: صحَّفَه غنــزة، فسبحان من لــه الكمــالُ تبارك وتعالى.

وما نحنُ فيه من تصحيفِ هذا الحديثِ بعينِه أوضــحُ بيانٍ أيضًا، فالمرويُّ عن ابنِ عمــرَ رضــي الله عنــهما: (وأخشى شيءٍ عندي) وعند عبدِ الــرزاق في مــصنَّفِه: (وأحسنَ شيءٍ عندي)، وإذا نظرتَ إلى رسم الكلمــتين رأيتَ التشابُه بين أخشى وأحسن ولو كتبناهما بغير نقــط هكذا: (أحسى و أحسںْ) لعرفت يقينًا مدى سهولةِ الأمر.

وقد روى ابنُ أبي شيبةَ هذا الحديثَ **عن أبي الهيــثمِ**، وإنما هو عن الهيثمِ أي ابنِ حنشٍ لا أبي الهيثمِ، وقد رأيتُ

بعدَها تصريحَ محدِّثِ الديارِ الهنديةِ الشيخِ حبيبِ الـــرحمٰنِ الأعظميِّ في تحقيقِه على مصنَّفِ عبدِ الرزاقِ فقال: ورواه ابنُ أبي شيبةَ عن أبي الهيثمِ وهو خطأٌ، والصوابُ الهيثمُ بنُ حنشٍ.انتهى، والحمد لله.

تنبيهٌ مهم: لم يذكروا روايةَ شعبةَ عنه لسببٍ من هذه الأسباب التي قالها الحافظ ابن القطّان:

لم تَجْرِ عادةُ المحدِّثين باســتيعابِ رواةِ المحــدِّثِ إذا ذكروه، وإنما يذكرون منهم إما مَن اشتهر بالأخذ عنه أو من في روايته عنه تفخيم له أو ما كان من ذلك متيـــسِّرًا مُمْكِنًا، فليس ينبغي لمن نظر في كتب الرجال فرأى مـــثلا أبا كبشة السلولي روى عنه حسان بن عطية، أن يظن أنه لم يروِ عنه غيرُه، بل قد يوجد مِمّن يروي عنـــه جماعـــةٌ سوى مَن ذُكِر.انتهى، ولم يعترض عليه الذهبي.

قلت: فلعلّه لِنُدُورِ روايتِه عنه، ولعلَّهُ لظنِّهم أنه الهيثم بن حبيب هذا ولم يطَّلع أحدٌ منهم على روايتِه عن الهيثمِ بن حنش، فإنّ الكمالَ للهِ تعالى، وأضِفْ إلى هـــذا قلـــةَ الاطِّلاعِ على حالِ كثيرٍ من الرواةِ على سَعَةِ اطِّلاعِهـــم

رضي الله عنهم، وأصدقُ مثالٍ هو الهيثم بن حنشٍ فإنّ الله يسَّرَ جمعَ ما هو عجيبٌ غريبٌ عن حاله.

ومثالُ ما نحنُ فيه أنه لم يذكر أحدٌ فيما علِمتُ ليثَ بنَ أبي سليمٍ راويًا عن أبي شعبةَ البكريِّ غــيرُ أبي أحمــدَ الحاكم.

ويؤيِّدُه أنّ هذا الحديث بعينه عند عبد الرزاق وابــن أبي شيبةَ عن أبي إسحاق عن الهيثم بن حنش عن ابن عمر مصرَّحًا باسمِه، والله تعالى أعلم وأحكم.

<u>**تنبيه**</u>: على تقديرِ كونِ الهيثمِ بنِ حبيبٍ سمعَ ابنَ عمرَ رضي الله عنهما، فذلك يزيدُ الهيثمَ بنَ حنشٍ ثقةً ويقوِّي روايتَه لدلالتِه على كمالِ ضبطِه، لكن ذلك يحتــاجُ إلى إثباتِ سماعِهِ من ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، فيحتــاجُ إلى نصٍّ على خلافِ نصِّهم بأنه عنعنَ عن الصحابةِ ورواياتُه عنهم على قولِ المزّيِّ وابنِ حجرٍ مراسيل.

ورأيتُ قديمًا في التقييد والإيضاح للعراقي أن الهيثمَ بنَ حُنيش روى عنه سلمة بن كُهيلٍ كما ذكره ابن أبي حاتم،

مع أنه ذكر نفس النص أنه الهيثم بن حنش ردًا على الخطيب البغدادي، مع نصِّه على أنّه ابن حنش في شرحِه على ألفيتِه، فسبحان الله على هذه التصحيفات فهي عجيبةٌ في هذا الشخص، والحمد لله على هذه التحريرات، وقد قيل قديمًا: ءافةُ الكتُبِ نُسَّاخُها.

فائدةٌ في بعضِ التصحيفاتِ القبيحةِ جدًا المثيرةِ للعجبِ جدًا مع تفصيلٍ مفيد:

مِن عجيب التصحيفاتِ المضحكةِ المبكيةِ ما رأيتُه في إحدى مخطوطاتِ المنظومةِ البيقونيةِ عند قولِه:

وذِي منَ اْقسامِ الحديثِ عِدَّه
وكُلٌّ واحدٍ أتى وحَدَّه

فصحَّفها الناسخُ: وقَلَّ واحداني وحدةٌ.

ولا أدري هل يعي الناسخ ما يكتبُه أم ماذا، فقد شككتُ في كونِه عربيًا وأوَّلَ ما كتبَ في حياتِه هو هذا المتنُ، أو نحن لم نستطع أن ندركَ كُنهَ مرادِه فما سيأتي سيثير عجبَكَ ويجعلك تترددُّ في الحكمِ عليه بأنه من علماءِ اللغة.

فقد صحَّفَ قولَ البيقوني:

أولُها الصحيحُ وهو ما اتصلْ

إسنادُهُ ولم يشذَّ أو يُعلّ

فحدّث ولا حرج فقد جعلها: النادّةُ و لم يَشُدّا ويعسِلِ

والنادّةُ هي الشاردةُ النافرةُ، فكأنه على هـــذا أرادَ أن البعير نادّةٌ وصاحباهُ لم يشدّاها فشردتْ، أما الثالثُ فلـــم يعسِل أي لم يُسرع في طلبِها ولعله حزنًا عليهـــا لم يعـــد يدري كيف يتصرَّف.

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلـــيِّ العظـــيمِ، فهـــذه المنظومةُ في علمِ الحديثِ وليست جزءًا من حياةِ الحيـــوانِ الكبرى للدَمِيريّ، وعلى هذا فقد يكون تعلّم الكتابةَ على يدِ أحدِ رُعاةِ الإبل، وسيأتي في ءاخر هذه الفائدةِ ســـببُ شرحي لها وتخريجِها إن شاء الله.

وأما قولُ البيقوني:

متروكُه ما واحدٌ به انفرد

وأجمعوا لضَعفِهِ فهْو كرَدّْ

فصحّفه قائلا: ولَحْجَموا الضعفةُ

وهذا منه على لغةِ (أكَلوني البراغيثُ)، ولو درى هذا المصحِّفُ معنى التَلَحجم لخجلَ من نفسِه، فإنّ أصلَها التلهجُم قُلبَتِ الهاءُ حاءً، والتلهجم الولوعُ بالشيءِ، فهل أرادَ أن الضعفاءَ أُولِعُوا بروايةِ الضعيف أم ماذا، والله أعلم ماذا يريدُ أن يقول فإن تَرجمانَه يحتاجُ إلى ترجمان.

ثم ختمها بقول البيقوني:

وقد أتت كالجوهرِ المكنونِ

سميتُها منظومةَ البَيقُوني

فصحَّفها: وقدًّا تَتٍ كما لجوهرِ الكُنون.

والقدُّ الشقُّ طُولاً، والتتُّ أيضًا الشَقُّ في الصخرةِ، وإنَّ هذا واللهِ من عجيبِ المصادفاتِ وهذا ما جعلني أنظرُ وأتعجبُ، فهل هو على هذه الدرجةِ من الجهلِ أم عالمٌ في اللغةِ لا يُحسِنُ من علمِ الحديث شيئا، وعلى كل حالٍ فهو إمّا إمام عالمٌ مجنون أو جاهلٌ مغبون، نحمَدُ الله على نعمةِ العقل.

فإذا رأيتَ كلَّ هذا، فلا تغترَّ رعاكَ اللهُ بكثيرٍ من تحايلاتِ المخالفين وتلاعباتِهم بالألفاظِ ومحاولاتِهم ليَّ أعناقِ النصوصِ حتى لا يسلِّموا للخصم ولو كان محقًّا، وسواءٌ في أصولِ الدين أم في الفروع، فإنك مثلاً تجدُ ابنَ تيميةَ يقول بأنّ "أتوجَّه إليك بنبيِّك" أي بدعاءِ نبيِّك، هذا المحتالُ يَعلمُ أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لم يَدعُ للرجل بل علّمَه كيف يدعو هو ابتداءً، قبَّح اللهُ ذِكرَه ما أخبث تحايلاتِه المكشوفةَ، يحرِّف هذا بدعوى التفسيرِ ويتركُ قول عثمانَ الدارميِّ المشبِّهِ (لو شاء الله لاستقرَّ على ظهرِ بعوضةٍ فاستقلّت به قدرتُه على عرشٍ عظيم) على ظاهرِه ويستدلُّ به ويزعمُ أن معبودَه يبقى على العرشِ وينزلُ إلى سماءِ الدنيا وهو ما يزال على العرش والعياذ بالله من هذا الكفرِ الشنيعِ والوثنيةِ المحضةِ ولا يدري هذا المجسمُ أنه يعبد "مطّاطًا" بهذه الصورة الشنيعةِ والعياذ بالله، والإسلامُ جاءَ لمحاربةِ الوثنيةِ، وهذا جعلَ الوثنيةَ إسلامًا محضًا، قاتل الله هذا التجسيمَ والوثنيةَ، ولعلكَ بإذن الله ترى في كتابي "صيدُ ما سنح على زوالِ الترح" وهو حاشيةٌ على شرح

الإمامِ ابنِ جماعةَ على قصيدةِ "غرامي صـــحيح" كيـــف حاولتُ توجيهَ إحدى العباراتِ للفائدةِ فقط، مع علمـــي بأصلِ اللفظةِ الصحيحةِ، فراجعه فإنّه مفيـــد بـــإذن الله، واعرف قدرَ نفيسِ تحريرِ الصوابِ في اسم "الهيـــثم بـــن حنش"، والله تعالى أعلم وأحكم.

وكما ظهر لك فالهيثم بن حنش ثقة على ما رأيـــت ولو قلنا بأنه لم يرد فيه جرحٌ ولا تعديلٌ فإنه روى عـــن اثنانِ وظاهرُ أمرِه الصلاحُ حَجَّ معَ سيّدِنا ابنِ عمرَ رضي الله عنهما وصلى معه وأخذ عنه في الفقهِ، ورواياتُه تشهد بتمام ضبطِه فماذا بقي لهم غيرُ المكابَرةِ، وخـــصوصًا أن الإمام البخاريَّ ذكره ولم يجرحه وهذا من البخاري تقويةٌ له، قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل:

باب في رواية الثقة عن غير المطعون عليه أنها تقويه وعن المطعون عليه انها لا تقويه

حدثنا عبد الرحمٰن قال سألت ابي عن رواية الثقـــاتِ عن رجلٍ غيرِ ثقةٍ مما يقويه؟ قال إذا كان معروفا بالضَعفِ لم تقوِّه روايتُه عنه، وإذا كان مجهولاً نفعَه روايةُ الثقةِ عنه.

حدثنا عبدُ الرحمٰنِ قال سألتُ أبا زُرْعَةَ عن روايةِ الثقات عن رجلٍ مما يقوي حديثَه؟ قال إي لَعَمري.انتهى

قلتُ: أما البخاريُّ فهناك ما هو قويٌّ في التوثيقِ عنه، فأهلُ العِلمِ يعرفونَ أنَّ تعاليقَ البخاريِّ التي جَزَم بها أي أتى بها بصيغة قال وذَكَر ورَوَى وحَكَى صحيحةٌ صحَّتْ عندَه ولولا ذلك لما جزم بها، قلت ويدلُّ على قوَّةِ القولِ بتقويةِ الراوي الذي سكت عنه في تاريخِهِ أنه في تاريخِه قال: (الربيع بنُ منذر عن أبيه). ولم يذكر فيه جرحًا، ثم قال الحافظ في الفتح بعد قول البخاري: (**قولُه تعالى: ومَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا**) **وقال الرَبيعُ بنُ خُثَيم: من كل ما ضاق على الناس.**

قوله: وقال الربيع بن خُثَيم بمعجمة ومثلَّثَة مُصَغَّرٌ، قوله: (من كل ما ضاق على الناس) وصله الطبرانيُّ وابنُ أبي حاتمٍ من طريقِ **الربيعِ بنِ منذرٍ** الثوري عن أبيه عن الربيع بن خثيم قال في قوله تعالى: (**ومَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا**) الآية، قال من كل شيء ضاق على الناس.

والربيع المذكور من كبار التابعين صَحِبَ ابنَ مسعود وكان يقول له – أي للربيع بن خُثَيم- لو رءاكَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لأَحَبَّك. أورد ذلك أحمدُ في الزُهْــدِ بسندٍ جيدٍ وحديثه مُخَرَّجٌ في الصحيحين وغيرِهما **والربيع بن منذر لم يُخرِجوا عنه لكن ذَكَره البخاريُّ وابــنُ أبي حاتمٍ ولم يذكرا فيه جرحًا وذَكَره ابن حِبّان في الثقــاتِ** وأبوه متفق على توثيقه والتخريج عنه.انتهى كــلامُ ابــن حجر.

قلتُ وهنا مسائلُ:

- الأولى: سكوتُ البخاريِّ عن جرحِه في التــاريخِ وجزمِهِ بمعَلَّقِهِ في صحيحِه، وما كان البخاريُّ لِيَجــزِمَ في صحيحِهِ بتفسيرِ ءايةٍ شريفةٍ عن ضعيفٍ حاشاه وهو أميرُ المؤمنينَ في الحديث، وغايةُ ما في الأمر أنه ليس من شرطِ صحيحِه، وشرطُه أشدُّ من شرطِ غيرِه، لاشتراطِهِ أمــورًا فوقَ العدالةِ والضبطِ،

قال الإبناسي في الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح:

ولا نظن بالبخاري أن يجزم القول فيما ليس بصحيح عمن جزم به عنه.انتهى

فصحَّ ذاك عندَه ولكنْ ليس على شرطِهِ الذي التزمَهُ في صحيحِهِ تحديدًا، فلم يُخْرِجْه في صحيحِه، فتمسَّك بها.

- الثانيةُ: توثيقُ ابنِ حجرٍ للربيع بسكوتِهِ عن تضعيف الحديث وهذا عندَه إما صحيح وإما حسن، كما التزَم ذلك في مقدِّمةِ الفتح.

- الثالثةُ: البخاريُّ احتجَّ بالربيع بن منذر في تاريخه الكبير قال في ترجمة الضحَّاكِ بنِ شُرَحبيلَ المِشْرَقي: حدثني عبيد نا الحسن بن عطية عن **ربيع بن منذر** عن أبيه: رحلت أنا وسعد بن حذيفة والضحاك بن شرحبيل المشرقي.انتهى

فإن كان ضعيفًا عندَه فلأيِّ معنًى يحتجُّ به، فهو يتكلمُ في دائرةِ الجرحِ والتعديل.

فهذه من النفائسِ فتمسَّكْ بها وهذا كلُّه يدلُّك على أن الهيثمَ بنَ حنشٍ ثقة، والله الموفِّقُ والمستعان.

وكذا مثالُه ما جاء في القول المسدد في حديث سَدِّ الأبوابِ إلا بابَ عليٍّ عليه السلام: رواه الطبراني في الأوسط عن سعد بن أبي وقاص ولم يروه عن الحكم إلا **معاوية بن ميسرة** بن شريح قلت وهو حفيد القاضي شريح الكندي **قال البخاري في تاريخه: سمع الحكم بن عتيبة ولم يذكر فيه جرحا وذكره ابنُ حبان في الثقات.**

ثم صحح الحديث اعتمادًا على هذا فقال في الفتح: حديث سعد بن أبي وقاص قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي. أخرجه أحمد والنسائي وإسناده قوي.

وفي رواية للطبراني في الأوسط – رجالها ثقات – من الزيادة: فقالوا يا رسول الله سددت أبوابنا ..... الحديث. انتهى كلام ابن حجر

قلتُ: قولُه (بإسناد قوي)، القويُّ مترددٌ بين الصحيحِ والحسن وهو إلى الصحيح أقرب كما هو مقرر في علم الحديث والهيثم بن حنش ثقة فوقَ هذا كلِّه إنما ذكرته للفائدة.

والخلاصة أن رواية القرقساني لا تنــزل عــن رتبــة الحسن كما قلت والله تعالى أعلم وأحكم

وهنا كلامٌ مفيدٌ فيما يتعلق بالهيثم بن حنش ومحمد بن مصعب:

قال الإمام ابن القطان في بيان الوهم والإيهــام ردًّا على الحافظ عبد الحق عند ذكر "حُجَيَّة" ما نصه: كــذا قال في حجيةَ إنه لا يحتج به، وليس كما قال وإنما هو تبع فيه أبا حاتمٍ الرزايَّ سأله عنه ابنه فقال: "هو شيخ لا يحتج بحديثه، شبيه بالمجهول، شبيهٌ بشُرَيحِ بنِ النعمانِ الصائديِّ وهبيرة بن يَرِيم"

وقال في باب شريح: إن شريح بن النعمان وهبيرة بن يريم شبيهان بالمجهولين لا يحتج بحديثهما.

وهذا منه غير صحيح، ومَن عُلِمَت حالُــه في حمــلِ العلمِ وتحصيلِه، وأخذ الناس عنه ونُقِلَت لنا سيرتُه الدالــةُ على صلاحِه أو عُبِّر لنا بلفظ قام مَقام نقلِ التفاصيلِ مِــن الألفاظِ المصطلَحِ عليها لذلك كثقةٍ ورِضًا ونحوِ ذلك، لا

يقبل مِن قائل فيه: إنه لا يحتج به أو ما أشبه ذلـــك مـــن ألفاظ التضعيف ولا بد أن يضعفَه بحجةٍ ويذكرَ جرحـــا مفسَّرا وإلا لم يُسمعْ منه ذلك لا هو ولا غيرُه كذلك كما قد جرى الآن فإنه - أعني أبا حاتمٍ - لم يـــدل في أمـــر هؤلاء بشيءٍ إلا أنهم ليسوا بالمشهورين والشهرةُ إضافيةٌ قد يكون الرجلُ مشهورًا عندَ قومٍ ولا يشتهر عند ءاخرين.

نعم لو قال لنا ذلك من ألفاظ التـــضعيفِ فـــيمن لم يُعرف حالُه بمشاهدة أو بإخبار مخبرٍ، كنا نقبله منه ونترك روايتَه به بل كنا نترك روايتَه للجهل بحالِه لو لم نـــسمع ذلك فيه.

فحجية المذكور لا يلتفت فيه إلى قول من قـــال: "لا يحتج به" إذا لم يأتِ بحجة فإنه رجل مشهور قد روى عنه سلمةُ بنُ كُهَيلٍ وأبو إسحاق والحكم بن عتيبة روَوا عنـــه عدة أحاديث وهو فيها مستقيم لم يعهد منـــه خطـــأ ولا اختلاط ولا نكارة.

وقد قال فيه الكوفي: إنه الكوفي تابعي ثقـــة وهـــو كندي.

وقد كان يجب على أبي محمد - باعتبار ملتزَمِه فيمن روى عنه أكثر من واحد إذا لم يسمع فيه تجريحا أن يقبله، ولو لم يجد توثيقه.

والذي سُمِعَ فيه من ابن أبي حاتمٍ لم يكن تجريحا، إنما كان جهلاً بحاله **والعالِمُ حجة على الجاهل**.انتهى بحروفه وهو مفيد جدًا و لم يعترضْ عليهِ الذهبيُّ في الردِّ عليه، والله تعالى أعلم وأحكم.

روايةُ أبي شُعبة وهي قصة مختلفة

رواها ابن السُنّي عن محمد بن إبـــراهيم الأَنْمـــاطي وعمرو بن الجنيد بن عيسى قالا حدثنا محمود بن خِداش عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن أبي شعبة قال: كنت أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما، فخدرت رجله فجلس فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك، فقال: (يا محمداه) فقام فمشى.انتهى

محمدُ بنُ إبراهيم بنِ نيروزَ الأنماطي رضي الله عنـــه حافظ ثقة مشهور.

ومحمود بن خِداش – في بعضِ الكتبِ محمد بن خِداش– والذي روى عنه الأنماطي إنما هو محمود بن خداش إمامٌ ثقة، كما في تهذيب الكمال للحافظ المزي.

محمود بن خداش الإمام الحافظ الثقة، أبو محمد الطالقاني ثم البغدادي.

حدث عن هشيم، وابن المبارك، وفضيل بن عياض، وسفيان بن عيينة، وعباد بن العوام، وسيف بن محمد الثوري، وطبقتهم، فأكثر وجَوَّدَ.

حدث عنه: الترمذي وابن ماجة وأبو عبد الرحمن النسائي في تأليفه له، وبقي بن مخلد ويحيى بن صاعد **ومحمد بن نيروز الانماطي**، وأبو عبد الله المحاملي وءاخرون.

وأبو بكرٍ بنُ عياشٍ هو الإمامُ شعبةُ، الراوي الثاني عن الإمامِ عاصمٍ الذي اشتهرت قراءتُه في بلادِ الشامِ وغيرِها بروايةِ حفص ويعرفها الناس برواية "حفص عن عاصم"، فأبو بكر هو الثاني عن عاصم إمام في القراءة ثقة في الحديث من حيث العدالة لكن ربما غلط ولا يؤثر ذلك

عليه فقد وصف بالحفظ والإتقان وصحة الكتاب مع اعتماد الأئمة عليه في الجرح والتعديل كما في الجرح والتعديل والميزان وتهذيب التهذيب وغيرها.

والقولُ الفصلُ في كلامِ ابنِ عَدِيٍّ عنه:

هو من مشهوري مشايخ الكوفة ومن المختصين بالرواية عن جملة مشايِخِهم (مثلِ أبي إسحاق السبيعي) وأبي حصين وعاصم بن أبي النجود وهو صاحبه **وهو من قراء أهل الكوفة لا بأس به وذاك أني لم أجد له حديثًا منكرًا إذا روى عنه ثقة إلا أن يروي عنه ضعيف**.انتهى

قلتُ: وابنُ خِدَاشٍ الذي روى عنه ثقةٌ فالإسنادُ صحيح.

والأكثرون ومنهم الإمامُ الشاطبيُّ على أنّ شعبةَ مقدَّمٌ في الأَداءِ على حفصٍ، وقدَّمَ الآخرون ومنهم الإمامُ أبو عمرٍو الدانيُّ حفصًا كما أفادَهُ سيِّدُنا الضبَّاعُ خاتمةُ المتأخرين في هذا العلمِ وكذا أخذتُها ضمنَ القراءاتِ السبعِ ثم العشرِ عن سيِّدي صاحبِ الفضلِ محمود بن منصور

قرطام جزاه الله وأخاه الشيخَ أبا الفضلِ أحمدَ عني خيرًا على ما تفضّلا به عليّ في شتّى العلوم، والله أعلم.

قال الذهبي في تذكرة الحُفّاظ: أبو بكرٍ بنُ عياشٍ الإمامُ القدوة شيخ الإسلام، ثم روى من طريق أبي عمرو بن السماك نا أحمد بن عبد الجبار نا "**أبو بكر بن عياش عن أبي اسحاق**" عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أبصر عليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وءاله وسلم ثيابا خُلْقانا، قال: ألك مالٌ؟ قلت: نعم، قال: أنعِم على نفسك كما أنعَم اللهُ عليك، قلت إن رجلا مر بي فأَقرَيته فمررتُ به فلم يَقْرِني أَفَأَقْرِيه؟ قال: نعم. **حديث صحيح**.انتهى كلام الذهبي.

قولُه: أفأَقريه من القِرَى تقولُ قَرَيتُ الضيفَ قِرًى وقَراءً أضفتُه وأَحسنتُ إليه، فإذا كسرتَ القافَ قَصَرْتَ "قِرى" وإذا فتَحْتَ مدَدْتَ "قَراء" ويُحكى "قِراء" أيضًا عن الإمام الكسائيِّ، فقَرَى يَقري مثلُ رَمَى يَرمي والله أعلم.

أما أبو شعبةَ فهو الأشجعي البكري البصري وهو ثقةٌ روى عن ابن عمر وأخذ عنه ورأى الحسن والحسين عليهما السلام، **روى عنه عمارٌ الدُّهْني وهلالُ بنُ يِسافٍ** (ويقال يَسافٌ وإِسافٌ تابعيٌّ كوفيٌّ ثقةٌ) **وأبو إسحاقَ السَبيعيُّ وليثُ بنُ أبي سليم**.

قال الذهبي في المقتنى في سرد الأسماء والكُنى:

أبو شعبة بصري عن ابن عمر.

أبو شعبة رأى الحسن والحسين وعنه عَمّارٌ الدُهْنِي **أظنه الذي قبله**.انتهى

وقال المزّي في ترجمةِ عمارِ بن معاويةَ الدُهْني الكوفي: روى عن .... وأبي شعبة البكري.

قلتُ: وما ظنَّه الذهبيُّ صحيحٌ، فقد قال الحافظ ابنُ مَنْدَهْ في "فتحِ الباب في الكُنَى والألقاب" ما نصُّه:

أبو شعبة البكري من أهلِ البصرة حدث عن الحسن والحسين وابن عمر رضي الله عنهم روى عنه عمارٌ الدُهْني وهلالُ بن يِساف.انتهى

وذكرَه مع توَسُّعِ الحافظُ أبو أحمدَ الحاكمُ في الأسماءِ والكُنى – مخطوط – وهو شيخُ أبي عبدِ اللهِ بـــنِ البَيِّـــعِ الحاكمِ صاحبِ المستدرَك، قال:

أبو شعبةَ رجلٌ من أهلِ البصرةِ عن أبي عبد الـــرحمٰنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ العدويُّ.

روى عنه أبو الحسنِ هلالُ بنُ يِـــساف الأشـــجعيُّ، حدثنا أبو العباسِ الثَقَفي ثنا محمدُ بن الصباح ثنا جرير عن منصور عن هلالِ بن يسافٍ عن أبي شعبةَ رجلٍ من أهل البصرةِ قال صحبتُ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ في الطوافِ وكان إذا انتهى إلى الركنِ اليمانيِّ قال: لا إلـــه إلا الله وحـــده لا شريكَ له، لهُ الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قدير، فلا يزالُ يقولُ حتى يبلغَ الحجرَ الأسودَ.

أبو شُعبةَ رأى الحسنَ والحسينَ، روى عنه أبو بكـــرٍ ليثُ بن أبي سليم القرشي وأبو معاويةَ عمارُ بنُ معاويـــةَ الدُهنيُّ.

إن لم يكن هذا الذي أخرجتُه قبلَ هذا فلا أدري مَن

هو: أخبرنا أبو جعفرٍ محمدُ بن الحسين الخثعمـــيُّ حـــدثنا إسماعيلُ يعني ابنَ موسى الفزاري أنا شريك عن عمارٍ يعني الدُهنيَّ عن أبي شعبةَ قال رأيتُ الحسنَ والحسينَ طافا بعدَ العصرِ وصليا.انتهى كلامُه بحروفِه

أما ورودُه في نسخة وكذا في مصنَّفِ عبد الرزاقِ أنه (أبو سعيد) فتصحيفٌ سببُه اشتراكُهما في الرسم وقد جاءَ غيرَ منقَّطٍ وسترى بإذن الله في ءاخر الكتاب صورةً عـــن (أبي شعبة) كيف يسهلُ تصحيفُها ومدَى شبهِها الكـــبيرِ بـــ: (أبي سعيد) رسمًا.

ولعلَّه اختلط على بعضهم بسببِ وجودِ أبي ســـعيدٍ الأشجعيِّ، لكنه روى عن عليٍّ وروى عنه أبو إســـحاق كما قال ابنُ مندَهْ، ووجودِ أبي سعيدٍ رأى ابنَ عمر كما قال الذهبيّ، ولا يثبت له سماعٌ منه إنما رؤيةٌ فقط، وفي هذا الحديث أنه كان يمشي معه وسألَه وقال له "اذكر أحـــبَّ الناس إليك"، فليس هو كذلك.

وتردَّدَ فأبعَدَ الحافظُ السخاويُّ في كونِ "أبي ســـعيدٍ" كُنيَةَ "الهيثمِ بنِ حنشٍ"، فقال: لا أدري هل أبو سعيدٍ كنيةُ

الهيثمِ بنِ حنشٍ أم لا، كما نقله عنه ابنُ عِلاّن في شــرح الأذكار.

فالمسئلةُ كلُّها تصحيفٌ كما رأيتَ في مصنَّفِ عبــدِ الرزّاقِ وسببُه اتفاقُ أبي سعيدٍ وأبي شعبة بغيرِ نقطٍ في رسم الكلمة (أبو سعيد وأبو شعبة) وما أكثر وقوع هذا.

ولم يُبيِّنْ هذا الخطأ الشيخُ المحدِّث حبيــبُ الــرحمٰنِ الأعظمي رحمه الله إنما قال: ورواه عنهما ابنُ المنذر ذكره الحافظُ – ابن حجر – في فتح الباري.

وقد وجدتُ في النسخةِ التي حقَّقها رحمه الله والــتي طبعَها جماعةُ الألبانيِّ أخطاءً، ومنها تنــاقضٌ في الجملــةِ نفسِها والله أعلمُ فالتصحيفُ أو سوءُ الطباعةِ منهم، ومثالُ ذلكَ حديثُ ابنِ عمرَ "اللهم اجْعلكَ أحــبَّ شــيءٍ إليَّ وأخشى شيءٍ عندي"

ولم يُذكَرْ في المصنَّف أنّ الظاهرَ تصحيفُها من أخشى إلى أحسن، وكان الواجبُ في صناعةِ الحديثِ تبيينُها، أو

تبيينُ أنها مرويَّةٌ بالمعنى وهو من أنواعِ المخالفــاتِ عنــد التدقيقِ فيقالُ شذَّ فلانٌ أو خالفَهم فلانٌ فرواهــا بلفــظِ كذا.

والتناقضُ أيضًا في سياقِ العبارةِ ولا يستقيمُ بوجــهٍ فقد قال أو قيل عنه:

أخرجه ابنُ أبي شيبةَ .... اللهم "اجعله" أحبَّ شيءٍ إليَّ إلى أخشى شيءٍ عندي، كذا في النسخة الديوبنديــة، والصوابُ عندي "اللهمّ اجعلْ" ووقع هنا اللهم **أَجعَلُكَ**، فلعلَّ صوابَه: اللهمّ اجعلْه.انتهى بحروفه

وهذا فيه عدةُ أخطاءٍ، فقد صحَّح خطأَ ابنَ أبي شيبةَ بخطأٍ وهو "اللهمَّ اجعَلْ" والحديثُ بها لا يستقيمُ فما معنى: اللهم اجعلْ أحبَّ شيءٍ إليّ وأخشى شيءٍ عندي. لا بــدَّ من مفعولٍ ثانٍ وإلا فالعبارةُ لحنٌ وكلامٌ غــيرُ مفيــدٍ لا يحسُنُ السكوتُ عليه.

وكذلك كلمة (اجعَلْكَ) فقد جعلَها (أَجعَلُكَ) فقــد صحَّحَ التصحيفَ بتصحيفٍ أشنع، فما معنى اللهمَّ اجعَلْهُ

أحبَّ شيءٍ ... الحديثَ، فما هو المطلوبُ أن يجعلَ مَـــن، وما هو الذي لم يذكرْه ابنُ عمرَ رضي اللهُ عنهما.

أما اجعلْكَ أو أَجعلُك فقد وردتْ في الحديثِ فـــلا سبيلَ إلى الخوفِ منها أو الطعنِ فيها بسببِ ظاهرِ اللفظِ، بل اللفظُ متأوَّلٌ وقد وردَ بهذا حديثُ: (اللهمَّ إني **أَجْعَلُكَ** في نُحُورِهم وأعوذُ بك مِن شُرورِهم) رواه الإمامُ أحمـــدُ والبيهقيُّ وغيرُهما بهذا اللفظ.

فمعنى "اجعلْكَ" أي اجعلْ مكانتَك وقدرَك وذِكرَك أحبَّ شيءٍ إليَّ وأخشى شيءٍ عندي، وهذا من كمـــالِ الإيمانِ فلا يغفلُ عن هذا أبدًا، بخلافِ محبةِ شيءٍ أكثر من حبِّ اللهِ فذلك كفرٌ صريحٌ لا شكَّ فيه والعياذُ بالله.

ومعنى "أجعلُكَ في نحورِهم" أي أتحصَّنُ بك وأحتمي فتحولُ بيني وبينَهم، واللهُ تعالى أعلمُ وأحكم.

فائدةٌ: يُقالُ للمشبِّهةِ هذا الحديثُ يهـــدمُ ديـــنَكم وعقيدتَكم أنَّ اللهَ "بذاتِه" في جهةِ فوق، لأنَّ الظاهرَ يَلزَمُ منه أن يكونَ اللهُ بذاتِه في نحورِ الأعداءِ وهذا كفرٌ وحلولٌ

كبيرٌ، فإن بقيتُم على مذهبِكم في الأخذِ بظاهرِ الرواياتِ فهذا واحدٌ منها وهو مرويٌّ بأسانيدَ صحيحةٍ، وتكونونَ فريسةً وغنيمةً لأهلِ الحُلولِ قاتلَهم اللهُ ءامين، لأنهم يقولونَ بحلولِ اللهِ في قلوبِهم والعياذُ باللهِ من هذا الكفرِ الفظيعِ وقد سمعتُه منهم، فسيقولونَ لكم: مَن أذِنَ لكم أن تجعلوهُ في النحرِ دونَ القلبِ وبينهما شبرٌ أو أقلٌّ؟، وإن قلتُم هو ليس على ظاهرِه قلنا لماذا؟ ألأنّه أَوهمَ التشبيهَ؟ فالقاعدةُ نفسُها والنسبةُ بينَ القولينِ التوافقُ والاشتراكُ في الجسميّةِ والمسافةِ، فمَن تزعُمونَه "الإلهَ" عندَكم على العرشِ بذاتِه هو الذي جَعَلُوهُ بذاتِه في القلبِ والنَحْرِ والعياذُ باللهِ، فتصريحُكم بالمُماسَّةِ كعقيدةِ الحلوليينَ وإن قلتُم بغيرِ مُماسّةٍ فهل عندكم بينهما مسافةٌ متناهيةٌ أم غيرُ متناهيةٍ، فإن كانت متناهيةً عندكم فذلك هو "الوثن" بعينِه، وإن قلتُم بمسافةٍ غيرِ مُتناهيةٍ فقد جعلتموه عدمًا وكلُّ هذه الأقوالِ كفرٌ لا جاءَ بها سلفٌ متّبِعٌ ولا خلَفٌ منتفعٌ، لكنّ الحقَّ لا بدَّ مِن قولِه، فإنكم تفارقونَ الحلوليّين في التجزئةِ، فأولئكَ الملاعينُ عندهم اللهُ متجزئٌ في قلبِ

فلانٍ جزءٌ وفي قلبِ فلانٌ جزءٌ، أما أنتم فقد جعلتُم هـــذا الصنَمَ كاملاً بل مجموعًا لا ينقصُه شىءٌ إلاّ الفرجُ واللحيَةُ حتى يصيرَ تمامًا مثلَ زيدٍ وعمرٍو، قاتلَ اللهُ كفرَ المجـــسِّمةِ والحلوليّةِ والمعطِّلةِ، ورضي الله تعالى عن سيِّدِنا أبي حنيفةَ وسيِّدِنا أبي الحسنِ الأشعريِّ وأبي منصورٍ الماتُريديِّ فقـــد سَلُّوا سيوفَ التوحيدِ والتنـــزيهِ ولم تزَل بحمدِ اللهِ الأكفُّ البيضاءُ تضرِبُ بها أدامَ اللهُ عِزَّها ءامين ءامين.

ماذا نقولُ لأبي جهلٍ وأبي لهبٍ وعُبّادِ الأصـــنامِ في

الأرض عبَدَةِ "بُوذا" إذا رأَوْا كلامَ إمامِكم عثمانَ الدارميِّ في كتابِ الردِّ على الجهميَّةِ في الصحيفة 33: قال رسولُ اللهِ: ثمّ يَنـــزلُ في الساعةِ الثانيةِ إلى جنَّةِ عدنٍ التي لم ترَها عينٌ ولم تخطُرْ على قلبِ بشرٍ هي مسكَنُه ولا يَسكُنُها معه من بني ءادمَ غيرُ ثلاثةٍ: النبيينَ والصِدِّيقين والشهداء.انتهى بحروفه.

هذا هو إمامُ عُبّادِ الصنَم، فماذا نقولُ لعُبّادِ الصنَمِ إذا قالوا لنا: انظروا في هذا الكتابِ الإسلاميّ؟ بلا أدنى شكٍّ سنقولُ بأنّ الإسلامَ منه ومِن أتباعِه بريءٌ وإنما هذا الكلامُ

مِن صنعِ الزنادقةِ صنعوهُ للمجسِّمَةِ فطاروا به فرحًا، لأنه دلَّهم على زيادةِ تفصيلٍ لصنَمِهم المعبودِ.

ولم يقل لنا الدارميُّ ولا أحدٌ من مُجسِّمةِ الزمانِ في الساعةِ الثانيةِ في أيِّ بلد، فالساعةُ الثانيةُ تتوالى في كل بلدٍ، فعلى هذا معبودُه مجالسٌ مُساكنٌ للنبيين والصديقين والشهداءِ في الجنةِ فليس على العرشِ وبينهما فُرجَةٌ – أي مسافةٌ – قليلةٌ على قولِ الدارمِيِّ، فمَن الذي أملى على إمامِكم هذه النجاسةِ القلبيّةِ، يا ويلَكَ من اللهِ أيها الدارميُّ فما أشبَه قولَك يا إمامَ مشبِّهةِ هذا الزمانِ بقولِ اليهودِ في كتابِهم المسمَّى سِفْرَ التكوينِ - الإصحاح 28 الرقم 16 – يقولُ اليهودُ – والعياذُ بالله: (حقًّا إن الربَّ في هذا المكانِ وأنا لم أعلم).

وسبحانَ مَن تنزَّه عن المكانِ والحدِّ الغنيِّ الْمُستغْنِي أزلاً وأبدًا عن العالمين

وعَودًا على بَدِيءٍ ففي كلامِ ابنِ مندهْ عن أبي شعبةَ فائدةٌ وهي بما يَظهرُ من عبارتِه إثباتُ سَماعِهِ من الحسنِ والحسينِ عليهما السلام، لأنه صرّح بالتحديث عنهما،

لكن سبحان اللهِ ضاع الكثيرُ من العلم على مرِّ العــصورِ، فإن كان المِزّيُّ لم يقعْ له سوى جزءين من تفــسيرِ ابــنِ ماجَهْ مع شهرتِهِ، ولا يُعلَمُ الآنَ من تفسيرِهِ سوى جــزءٍ صغيرٍ عند شيخِنا الحسنِ بن الصدِّيقِ الغُمَاري أطال اللهُ في عمُرِه، فما بالُك بمن لم يكن بتلك الشهرةِ من المــصنِّفينَ من أصحابِ الأجزاءِ والفوائدِ و لم يَعُد لمؤلَّفاتِهم وجــودٌ، نسألُ اللهَ أن يجعلَ عَزاءَنا فيما بقي لنا اليوم ءامين.

وذا ذكرُ بعضٍ من أحاديثِ أبي شعبة: قال ابــن أبي شيبة حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن **هلالِ بــنِ يسافٍ عن أبي شعبة** عن ابن عمر أنه كان يقــول عنــد الركن والحجر: ربنا ءاتِنا في الدنيا حــسنة وفي الآخــرة حسنة وقنا عذاب النار.

وروى أيضا من طريق **هلالِ بنِ يِــساف عــن أبي شعبة** قال كنت بجنب ابن عمر بعرفة وإن ركبتي لَــتَمَسُّ ركبتَه أو فخذي يمسُّ فخذه فما سمعته يزيد على هــؤلاء الكلمات: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله

الحمد وهو على كل شيء قدير) حتى أفاض من عرفة إلى جمع.انتهى

وقال الطبراني في معجمه الكبير: حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن **عمارٍ الدُهْني عن أبي شعبة** قال: رأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما طافا بعد العصر وصَلَّيَا ركعتين.

وهذا هو ما رواه عبدُ الرزاق عن ابنِ عُيَينةَ عن عمارٍ الدُهني عن **أبي سعيد** البكري .... الحديثَ بتمامِه.

قال الهيثمي في تخريجه أبو شعبة هذا هو البكري كما ذكره المزي و لم أجد من ترجمه.

وفي تخريجٍ ءاخر قال: رواه الطبراني، وأبو شعبة البكري لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.انتهى

قلت: الهيثمي لم يعرفه بدليل قولِه لم أجد من ترجَمَه، والمزيُّ إنما ترجم أبا شعبة على أنه مولى سويد بن مُقَرِّنٍ المُزَنِي كوفي روى عن مولاه سويد بن مقرن.انتهى، وروى عنه محمد بن المنكدر، وهو غير أبي شعبة البصري

هذا وفرَّق بينهما البخاري وابن أبي حاتمٍ وغيرُهما.

أما أبو شعبة الأشجعي البصري مقــصودُنا فــذكره البخاري في تاريخه قال: أبو شعبةَ الأشجعي وعنه هلالُ بنُ يِساف.انتهى

وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل قال: أبــو شــعبة الأشجعيُّ البصري روى عنه هلال بن يساف سمعــت أبي يقول ذلك.انتهى

وقد مرَّ معك في ترجمةِ الهيثم بن حنش حكمُ سكوتِ البخاري في تاريخه وابن أبي حاتم فهذا مما يدل على ثقتِهِ، ولا حاجة إلى تكرارِه.

وروى عبد الرزاق في مصنَّفِهِ قال أخبرنا الثوري عن منصور عن **هلال بن يساف عن أبي شعبة البكري** قال: رمقتُ ابنَ عمر وهو يطوف بالبيت وهو يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيءٍ قدير ثم قال ربنا ءاتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وقال عبد الرزاق وسمعت رجلا يحدث هـــشام بـــن حسان **عن عم له عن أبي شعبة البكري** قال طفتُ مـــع ابن عمر فسمعته حين حاذى الركنَ اليماني قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وبيده الخـــير وهو على كل شيءٍ قدير فلما جاء الحجر قال: ربنا ءاتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فلمـــا انصرف قلت: يا أبا عبدِ الرحمٰن سمعتُك تقول كذا وكذا قال سمعتني؟ قلتُ نعم، قال فهو ذلك أثنيـــت علـــى ربي وشهدت شهادة حق وسألته من خير الدنيا والآخرة **فدعا هشام بِدَوَاةٍ فكتبه**.انتهى أي فاستحسنَه.

ورواه الطبراني في الدعاء من طريق عبد الرزاق.

وليس مرادي من ترجمة رجاله سوى التنبيهِ إلى أن ما رواه أبو شعبة هو قصة أخرى، فهو يقول: كنت أمشي مع ابن عمر ... فخدرت رجله "**فجلس**" ... الحديث.

فالظاهرُ أنّ هذا الأمرَ والله أعلم كان يتكـــرر مـــع سيّدِنا ابنِ عمر رضي الله عنهما لتغاير القصتين.

وهذا كما ستراه بعدُ بإذن الله يقوي الحديث كما قال الحافظ ابنُ حجرٍ في فتح الباري: قلت الظاهر أن أبا أيوبَ سمعه منهما لاختلاف السياق لأن في روايته عن أُبَيِّ بن كعب قصة ليست في روايته عن النبي صلى الله عليه و سلم.انتهى، وهذا عينُ ما نحن فيه.

وأبو شعبة داخل تحت قول الإمام ابنِ الصلاح: (المجهول الذي جهلت عدالته الباطنة وهو عدل في الظاهر وهو المستور فقد قال بعض أئمتنا: المستور من يكون عدلا في الظاهر ولا تعرف عدالة باطنه. فهذا المجهول يحتج بروايته بعض من رد رواية الأول وهو قول بعض الشافعيين وبه قطع منهم الإمامُ سليم بن أيوب الرازي قال: لأن أمر الإخبار مبني على حسن الظن بالراوي، ولأن رواية الأخبار تكون عند من يتعذر عليه معرفة العدالة في الباطن فاقتصر فيها على معرفة ذلك في الظاهر، وتفارق الشهادة فإنها تكون عند الحكام ولا يتعذر عليهم ذلك فاعتبر فيها العدالة في الظاهر والباطن.

قلت: ويشبه أن يكون العمل على هذا الرأي في كثير

من كتب الحديث المشهورة في غير واحد من الرواة الذين تقادم العهد بهم وتعــذرت الخــبرة الباطنــة بهــم والله أعلم.انتهى كلام الإمام ابن الصلاح

قلتُ: وهذا واضحٌ ومعمولٌ به، وقد قــال الحــافظُ أحمدُ بنُ الصدِّيقِ في كتابِه المعروفِ اختصارًا بالمداوي لعِللِ المناوي:

وزاد الحافظ في اللسان أنّ ابنَ حبانَ ذكره في الثقاتِ وأنه روى عنه أيضًا مروانُ بنُ معاويةَ ووكيعٌ – أي مــع ابنِ نُمَير – الذي روى عنه هذا الحديث، **فهو معــروفُ العين بروايةِ هؤلاءِ الأكابرِ عنه، وكذا العدالةُ لروايَتِهم أيضًا، ولأنه لم يأتِ بمنكَرٍ وأتى بما رواه غــيرُه ووافقَــه عليه الثقاتُ، فتصحيحُ المصنّفِ مع كونِهِ تابعًا أو موافِقًا لتصحيحِ ابن حبانَ هو مُسَلَّمٌ من جهةِ القواعد**.انتهى

فالحمدُ للهِ أَنّا على جادَّةِ الصوابِ وما للمخالفينَ منه نصيب، وأرى في هذا كفاية.

فائدة: ومما تفارق فيه الروايةُ الشهادةَ أنّ في الشهادةِ تعلُّقَ حقوقِ الناس بخلافها في الرواية.

فهذه الرواية لا تنـــزلُ عن كونِها حسنةً لذاتِها وإن شئتَ تبَعًا للقواعدِ الحديثيةِ قلتَ صحيحةٌ، وهي ذاتُ قصةٍ مختلفةٍ عن سابقتَيها مما يغلِّبُ على الظن تكرر هذا الأمـــر مع سيّدنا ابن عمر رضي الله عنهما.

تنبيهٌ مهم: قد يظنُّ البعضُ أنّ أبا شعبةَ عندَ ابـــنِ أبي حاتمٍ مجهولٌ لأنه ذَكَرَ عنه راويًا واحدًا وليس كذلك، فقد قال الحافظُ ابنُ القطّان في بيان الوهمِ والإيهام بخـــصوصِ الجرحِ والتعديلِ لابن أبي حاتم:

لم تَجْرِ عادةُ المحدِّثين باســتيعابِ رواةِ المحــدِّثِ إذا ذكروه، وإنما يذكرون منهم إما مَن اشتهر بالأخذ عنه أو من في روايته عنه تفخيم له أو ما كان من ذلك متيــسِّرًا مُمْكِنًا، فليس ينبغي لمن نظر في كتب الرجال فرأى مــثلا أبا كبشة السلولي روى عنه حسان بن عطية، أن يظن أنه لم يروِ عنه غيرُه، بل قد يوجد مِمّن يروي عنـــه جماعـــةٌ سوى مَن ذُكِر.انتهى، وأقرَّه الذهبي

قلتُ: هذا تنبيهٌ مهم، لكن ينبغي التنبُّه إلى أن المِزّيَ في تهذيب الكمال يريدُ الاستقصاءَ فإنه قال معترضًا على الحافظ المقدسي صاحبِ الكمالِ ما نصُّه:

ولا استقصَى الأسماءَ التي اشتملت عليها هذه الكتبُ استقصاءً تامًّا، ولا تَتَبَّع جميعَ تراجمِ الأسماءِ التي ذكَرَها في كتابِهِ تتبُّعًا شافِيًا، فحصَلَ في كتابِهِ بسببِ ذلكَ إغفالٌ وإخلالٌ ... فتتبعتُها تتبعًا تامًّا.

ثم قال: وذكرتُ أسماءَ مَن رَوى عنه كلٌّ واحدٍ منهم، وأسماءَ مَن روى عن كلِّ واحدٍ منهم في هذه الكتبِ أو في غيرِها.انتهى

قلت: ومع ذلك فقد استدركَ عليه الحافظُ مغلطاي وابن حجر أشياء تعرف بالرجوع إلى تلك المصنّفات.

إلى هنا انتهى الكلامُ على الرواياتِ من حيث إسنادُها بحمدِ الله ومنِّه وكرمِه أسأل الله تعالى أن يجنبنا الزلَلَ وأن يهدي به كثيرا ءامين.

فَصْلٌ في ردِّ دَعْوَى الاضطِراب

مما يثير العجب – نسأل اللهَ السلامة – أهم زعموا اضطراب الرواية عن أبي إسحاق وهذا يوجبُ الضعفَ بزعمِهم، وهذا فهمٌ عجيبٌ وتَسَرُّعٌ منكَرٌ مُريبٌ، لأن الحُكمَ بالاضطرابِ لا بدَّ فيه مِن وجودِ مخالفة في السندِ أو المتنِ، ثم لا بد فيه مِن أمورٍ قبلَ الحكمِ على المَرْوِيِّ بالاضطرابِ وهي على هذا الترتيبِ:

- الجمعُ بينهما ما أمكن الجمع وعندئذ يكون الظاهرُ الاختلافَ وفي الحقيقة منفي.

- فإن لم يمكِنِ الجمعُ عُمِدَ إلى الترجيح.

- فإن لم يمكن الترجيحُ بأَنْ تساوَتِ الرواياتُ في القوةِ فالحكمُ هو التوقفُ لإشعارِه بعدمِ الضبطِ وهو ما يُوجِبُ الضَعْفَ، وهذا هو الحق والمنصوص عليه، مع أن هناك اضطراباتٍ لا تؤثرُ في صحةِ الحديث عند كثير من الحفاظ لعدمِ تأثيرِها.

وأرى أوّلاً إلجامَهم بكلامِ إمامِهم الذي يُعظِّمُونَه أعني ابنَ تيميةَ فقد قال كما في مجموعِ الفتاوي:

إنّ أبا إسحاقَ كان الحديثُ يكونُ عندَه عن جماعةٍ يرويهِ عن هذا تارةً وعن هذا تارةً، كما كان الزُهْــرِيُّ يروي الحديثَ تارةً عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ وتارةً عـــن أبي سلمةَ وتارةً يجمعهما، فمن لا يعرفُه فيحدِّثُ به تارة عـــن هذا وتارة عن هذا **يظنُّ بعضُ الناسِ أنّ ذلـــكَ غلـــطٌ وكِلاهما صحيحٌ**.انتهى كلامُه بحروفِه

فهل سيُجَهِّلونَ إمامَهم ويقولـــون بالاضــــطرابِ أم سيسكتونَ عن دَعوى الاضطرابِ المُفتَراةِ حفاظًا على هيبةِ إمامِهم التي جعلوها فوق الشُبْهةِ، نحن نعلمُ أنّ الأمـــرينِ أحلاهما مرٌّ سبحان الله.

قال الحافظ السخاوي في فتح المغيث: ثم إن اختلافَ الرواةِ في اسمِ رجلٍ أو نَسَبِه لا يؤثر، ذلك لأنه إن كـــان الرجل ثقة كما هو مقتضى صنيع من صحح هذا الحديثَ فلا ضَيرَ كما تقدم في كلٍّ من المُعَلِّ والمنكَر لا سيما وفي الصحيحين مما اختُلِف فيه على راويـــه جملـــةُ أحاديـــثَ وبذلك يُرَدُّ على من ذهب مـــن أهـــل الحـــديث إلى أن الاختلاف يدل على عدم الضبطِ في الجملة فيضر ذلك ولو

كانت رواتُه ثقاتٍ إلا أن يقومَ دليلٌ على أنه عند الراوي المختلَفِ عليهِ عنهما جميعًا أو بالطريقين جميعا، **والحق أنه لا يضر فإنه كيف ما دار كان على ثقة**.انتهى

ومِن أنفعِ ما قيل مفصَّلاً هو كلامُ الإمامِ المجتهدِ ابنِ دقيقِ العيدِ – ولا تقل ابن دقيقٍ العيد بتنوين الكسر فهـــو غلط - رضي الله عنه في الاقتراح وهو عينُ ما نحن فيه:

المضطرب:

وهو أحد أسباب التعليل عندهم وموجبات الضعف للحديث والأمر فيه منقسم، فإن كان أحد الوجوه مرويًا من وجه ضعيف والآخر من وجه قوي، فلا تعليل والعمل بالقويِّ متعيِّن.

وإن لم يكن كذلك، فإن أمكن الجمع بـــين تلـــك الوجوه بحيثُ يمكن أن يكون المـــتكلم معبِّـــرًا بـــاللفظين الواردَين عن معنًى واحدٍ فلا إشكالَ أيضًا، مثل أن يكون في أحد الوجهين قد قال الراوي: "عن رجل" وفي الوجـــه الآخر سَمَّى رجلاً، فهذا يمكن أن يكون ذلك المُسمَّى، هو

ذلك المبهم فلا تعارض.

وإن لم يكن كذلك بأن يسمى مثلاً الراوي باسم معين في رواية، ويسمى ءاخرُ باسم ءاخر في رواية أخرى فهذا محل نظر إذ يتعارض فيه أمران:

أحدهما: أنه يجوز أن يكون عن الرجلين معًا.

الثاني: أن يغلب على الظن أنَّ الراوي واحد اختلف فيه.

فههنا لا يخلو إما أن يكون الرجلان معًا ثقتين أو لا.

فإن كانا ثقتين، فههنا **مقتضَى مذاهبِ الفقهاءِ والأصوليين أن لا يضرَّ هذا الاختلافُ لأنه إن كان الحديثُ عن هذا المعيَّنِ فهو عدلٌ، وإن كان عن الآخرِ فهو عدلٌ فكيفَما انقلبْنا، انقلبْنا إلى عدلٍ فلا يَضُرُّ هذا الاختلاف**.انتهى بحروفه

قلت: سبحان الله قد أنصفَنا الإمامُ، فهذا كلامُ أهلِ عِلمٍ وفَهم ولو كان المخالفون يتقون اللهَ لما بادروا إلى ادّعاء الاضطراب ظُلمًا، وقد يكون في كلامِ ابنِ تيميةَ

الذي يعتقدونَه كالوحيِ المُنـــزَلِ كما قال اللكنـــوي في الأسرار المرفوعة ما يُسَكِّنُ نفوسَهم فقد قـــال في كتابـــه اقتضاءِ الصراطِ ما نصه: وما فيه من كون عبـــد الله بـــن الحارث يروي الأول تارة عن العباس وتارة عن المطلب بن أبي وداعة ويروي الثاني عن عبد المطلب بن ربيعة وهو ابن الحارث بن عبد المطلب وهو من الصحابة **قد يظن أن هذا اضطراب في الأسماء** من جهة يزيد وليس هـــذا موضـــع الكلام فيه فإن الحجة قائمة بالحديث على كل تقـــدير لا سيما وله شواهد تؤيد معناه.انتهى بحروفه

فالمخالفون الآن أمامَ أمرَين أحلاهُما مرٌّ فإمّا التراجعُ وإما تخطئةُ ابنِ تيميةَ، وعهدي بهم الأمرُ الثالثُ وهو التفنُّنُ في تحريفِ الكلامِ وهكذا حبُّ الشيءِ يُعمي ويُصِمُّ نسأل الله السلامة ظاهرًا وباطنًا ءامين.

وقال الإمامُ بدرُ الدينِ الزركشيُّ في النكتِ على ابنِ الصلاحِ: (قولُه – أي ابنِ الصلاح –) "هو الذي يختلف الرواة فيه فيرويه بعضهم على وجه وبعضهم على وجـــه ءاخر مخالف"

ينبغي أن يقال "على وجه يؤثر" ليخرج ما لو روي الحديث عن رجل مرة وعن ءاخرَ أخرى، قال ابنُ حزم "**فهذا قوة للحديث وزيادة في دلائلِ صحتِه** كما إذا روى الأعمشُ الحديثَ عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرةَ ويرويه غيرُ الأعمشِ عن سهيل عن أبيه عن أبي سعيد **إذ من الممكن أن يكون أبو صالح سمع الحديث من أبي هريرة وأبي سعيد** معًا فرواه مرة عن هذا ومرة عن هذا" انتهى

فأنت ترى يا رعاك الله أن ما يزيد الحديث قوةً يعتبره المخالفون ضعفًا واضطرابًا، فإلى الله المشتكى فقد ولي هذا الأمرَ غيرُ أهله هداهم الله.

ومثالُنا هو لو أن أبا إسحاق الثقةَ الضابطَ قد سمعه من عبدِ الرحمٰنِ بنِ سعدٍ وهو ثقةٌ، ثم سمِعه أبو إسحاق من الهيثمِ بنِ حنشٍ، ثم مِن أبي شُعبة، أَيَقْوَى الحديثُ أم يَضْعُفُ؟ عند المخالفين يضعُف والعياذ بالله وعند أهل العلم يزداد قوة كما مر وهذا يُظهر لك من الذي جاء بالفهمِ الجديدِ والدينِ الجديد.

وهذا كما قال الأئمة في الحديث الذي فقد الكثـــرة المفيدة للتواتر في طبَقةٍ من طبَقاتِ السندِ، وذلـــك كـــأن اجتمع ثلاثون صحابيًا في مسجد ورووا حـــديثًا واحـــدًا لكنْ سمعه منهم عشرةُ تابعين، فلو سَمّى كلُ تابعيٍ ثلاثةً أو عشرةً من الصحابةِ، فعند أهلِ العلمِ حديثُ التـــابعيِّ يزدادُ قوةً وعندَ المخالفين على تهوُّرِهم يكـــونُ مـــضطربًا ضعيفًا، فتنبه رحمك الله ءامين.

وهذا ما قصدتُه بترجمة رجال الرواية الثالثة ونبـــهت على اختلاف القصة، فإن هذا يزيد الأمر صحة، ولهـــذا السبب قلت "أما عدمُ ورودِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ سعد مسمًى في رواية الإمام شعبة فيحتمل أمرين، إما لأنه لم يحفظ اسمَه وإما لأنه أراد الكثرة بحيث يكون سمعه منـــه عـــن عبـــدِ الرحمٰنِ بنِ سعدٍ والهيثمِ بنِ حنشٍ وغيرِهما"

وعلى مذهبِ المخالفين الباطلِ لو كان الحاضـــرونَ عند ابنِ عمرَ عشرةٌ وقتئذٍ وسمع أبو إسحاقَ منهم جميعًـــا لكان هذا مُوجِبًا للضعفِ عندَهم لاضطرابِه وهذا قـــول

باطل وفهم سقيم يردُّه قول الله تعالى: (فتكونَ لهم قلوبٌ يعقلونَ بها).

فصلٌ في ردِّ شُبهتِهم عن حذف "يا"

من العجائب أنّ أصحاب الطبعة الجديدة حذفوا حرف "يا" من نسخةِ الأدب المفرد التي اعتنَوا بطبعِها مع ثبوتِها في نسخٍ مطبوعةٍ أخرى، ثم قالوا ينبغي الاعتمادُ على روايةِ الأدب المفرد – المزوَّرة - لأنها أصحُّ وليس فيها "يا" إنما فيها أنه قيل له اذكرْ أحبَّ الناسِ إليكَ فقال (محمد)، صلى الله عليه وسلم.

والواقعُ أنهم في الطبعة الجديدة حذفوها ولهم يدٌ في حذفها عمدًا – نسأل الله السلامة - وهي ثابتةٌ في النسخِ الخطيةِ ومشايخهم تعرف هذا، وهذا تحريف للدِينِ وحرامٌ بَيِّن، وسأرفق في ءاخر الكتاب صورة عن إحدى النسخ بإذن الله.

وقد خرَّج الحافظُ السَخاويُّ حديثَ البخاريِّ في كتابِهِ "القول البديع" بإثباتِ "يا" ونصُّ كلامِه: وللبخاري

في الأدبِ المفرد من طريقِ عبد الرحمٰن بن سـعد قـال: خدرت رجلُ ابنِ عمرَ فقال له رجلٌ اذكر أحبَّ النـاسِ إليكَ فقال: يا محمد.انتهى كلامُـه بحروفـه، والكتـابُ موجودٌ مطبوعٌ **ولدينا منه نسختان مخطوطتان ستراهما**، فكن على يقينٍ من تزويرِهم.

واعلم أن الواردَ في لفظِ "محمد" بدون يا هو مـا رواه ابنُ السني عن ابن عبّاس وهم يقولون بأنه إسـناد موضوع لوجود غياث بن إبراهيم فيه وهو كذابٌ كمـا ترجمه أصحاب الجرح والتعديل، فما شأن رواية ابن عمر بروايةٍ بإسناد موضوع عن ابن عباس، ولهذا لم أذكر تلك الرواية لأنها ليست من موضوعِنا في شيء.

ولو تماشينا معهم وقلنا – وليس كذلك أبدًا – بأنـه في إحدى الروايات وردت بغير لفظ "يا" فالجواب:

قد أجمع المسلمون على وجوب الجمع قبل الترجيح، نقل هذا الحافظ ابن حجر في فتح الباري وغيرُه، والجمع يقضي بإثبات "يا" تحقيقا – أي لفظا – أو تقديرا، لثبوتها

لفظا في رواية الإمام شعبة والثوري وزهير وإسرائيل وهم أوثق الرواة عن أبي إسحاق وأضبطُهم.

أما ثبوتُها تقديرًا فكقوله تعالى: (يوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذا) ويوسفُ صلى الله عليه وسلم منادى وحرف النداء غالبًا هو "يا" وهو محذوفٌ مقدَّر، قال الشاعر:

محمدُ تَفْدِ نفْسَكَ كلُّ نفسٍ

إذا ما خِفتَ من شيءٍ تَبالا

فلفظ "محمدُ" منادى بحرف نداء محـــذوف وأصـــل الكلام يا محمد، وهذا ما يقتضيه الجمعُ وهو مقدَّم علـــى الترجيحِ إجماعا.

قال الإمامُ أبو القاسمِ الحريريُّ رضي الله عنه:

وحَذفُ "يا" يجوزُ في النِداءِ

كقولِهم: ربِّ استجِبْ دعائي

ولو قلنا – على ما زعموا - بالترجيحِ فإثباتُها هـــو الراجحُ لثبوتِها في رواياتِ الأوثـــقِ الأضـــبطِ، لكـــن لا مُوجِبَ للتقديمِ على الترجيح، وكيف تُقابَلُ روايةُ جبـــالٍ

في العدالةِ والضبطِ بروايةِ وضّاعٍ لا يقبَلُ حديثُه، ودعوَى وجودِ نُسخةٍ بغيرِ "يا" تلاعبٌ، هي فكرةٌ دسَّها الألبانيُّ في قلوبِهم، بل قال بأنه وجد نسخةً من الكَلِمِ الطيِّبِ لابن تيميةَ ما فيها "يا"، وأنا أتعجّبُ لماذا لم يقلْ هذا في نسخةِ ابن القيِّمِ أيضًا "الوابل الصيِّب من الكلمِ الطيب"، لكن أنكَرَ المعلِّقُ على الوابلِ الصيِّبِ على ابنِ تيميةَ وابنِ القيِّمِ إيرادَ هذه الأحاديثِ في الأذكارِ الشرعيةِ، وقال: لا أرى وجهًا لإيرادِ هذا البابِ في كتبِ الأذكارِ وسياقِه ضمنَ أبوابِ الأدعيةِ والأورادِ التي تقالُ على جهةِ التعبُّدِ.انتهى

قلت: الحمد لله على هذا، قد شهدَ عليهما بأنهما أورداها ضمن الأورادِ الشرعية، وهذا الجاهلُ من شدةِ تعصُّبِه تشدَّد أكثر منهما وهما رأس البلاءِ في هذه المسئلةِ فانظر رحمك الله إلى تبعاتِ اتّباعِ الهوى.

وهذا عبدُ الرحمٰنِ بنُ حسنِ بنِ قائدٍ والمشرفُ على عمَلِه أحدُ رموزِهم بكر بن عبد الله أبو زيد فإنهم يصفونه بالعلاّمةِ عندهم، قد شهدا على كذبهم في أنها "عادةُ العرب"، فقد اعترفا أن الإمامَ النوويَّ وابنَ تيميةَ وابنَ

القيّم أوردوها على وجهِ التعبُّد، والتعبُّدُ إنما يُنسبُ إلى الشرعِ لا إلى عادةٍ عربيةٍ، فسبحان من جعلَ كيدَهم في نحورِهم، فلا تكن في ريبٍ من تخبُّطِهم، وأمثالُ هذا كثيرةٌ.

ألهذا الحدِّ تُعمِي العصبيةُ البصيرةَ قبلَ البصر، الله يرزقُنا حُسنَ الاتّباع ءامين.

فائدة: التَبالُ هو الوَبالُ وهو المكروهُ والأمرُ الشديدُ قُلِبَت الواوُ تاءً للتخفيف وهو قليلٌ في الواو المفتوحة أكثرُ في الواو المضمومة كقولك: جلستُ تُجاهَ فلان وأصلها وُجاهَ من المواجهة، وكتَقْوَى أصلُها وَقْوَى وهي فَعْلَى من وَقَيْتُ، وتَبَلَهُ الزمانُ رماهُ بمصائبِه، ومنه قولُ الصحابيِّ كعبِ بنِ زهيرٍ رضي الله عنه: بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ مَتْبُولُ، والله تعالى أعلم وأحكم.

و"تَفْدِ" مجزومة بلام الأمر المحذوفة وتقديرها "لِتفدِ" وهذا البيت من شواهد سِيبويهِ، وقولُ بعضِهم كما نقله ابنُ مفلح المقدسي في الآداب الشرعية وغيرُه بأنه لا حجة فيه، مردودٌ بإيرادِ سيبويهِ له وهو أيضا من شواهد المبَرِّدِ

وغيرِهما، أجازه الكوفيون ونازعهم البِصريون، ويُحتج للمسئلة أيضا بقول المبرد في المقتضَب:

والنحويون يجيزون إضمارَ هذه اللام للشاعر إذا اضطُر، ويستشهدون على ذلك بقول متمِّم بن نُوَيرةَ:

على مِثل أصحابِ البَعوضةِ فاخْمِشي
لكِ الويلُ حُرَّ الوجهِ أو يَبْكِ مَن بَكى

انتهى كلام المبرد.

قلت: يُقالُ اخمِشي واخمُشي بكسر الميم وضمِّها.

ومتمِّمٌ صحابيٌّ شاعرٌ مُجيد مقدَّمٌ في المراثي يبكي من قُتل من أهله ومنهم أخوه مالكُ بن نويرةَ في قتال أهلِ الردةِ في خلافة الصدِّيق رضي الله عنه على يدِ سيفِ الله المسلولِ سيّدِنا خالدِ بن الوليد رضي الله عنه في البعوضة وهي موضعُ ماءٍ لبني أسَدٍ، فقال الشاعر على مثلهم فاخمِشي حُرَّ وجهِك وهو ما بدا من الوَجْنةِ وهي ما ارتفع من الخدّين، أو لِيَبْكِ مَن بكى، ظنًا منه أن أخاه لم يرتدَّ عن الإسلامِ وطالب الصدّيقَ بدِيَتِه.

قال ابنُ عبدِ البرِّ في الاستيعاب: قَتل خالدُ بنُ الوليدِ مالكًا يظن أنه ارتدَّ حين وجّهه أبو بكر لقتالِ أهلِ الردة.

واختُلِف فيه هل قتَلَه مسلمًا أو مرتدًّا وأُراه – بالضم أي أظنه – والله أعلم قتَلَه خطأً، وأما متممٌ فلا شك في إسلامه.انتهى

قلتُ: وهناك ما يُروى في تصحيح ردّتِهِ، كقولِه لسيّدِنا خالدٍ: (صاحبُكم أمرَكم بهذا؟ يقصِدُ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له سيِّدُنا خالد: أوَليس صاحبَك). نعوذ بالله من الزيغ، وهناك غيرُ هذا والله أعلم بالحال.

فالحجة في المسئلة مع سيبويهِ رضي الله عنه، وما ذكرتُ هذا التفصيلَ إلا لأنّ البيتَ الأولَ فيه مدحٌ للحبيبِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم زِنةَ عرشِهِ ورضاءَ نفسِهِ ومِدادَ كلماتِه وهو بيتٌ حَرِيٌّ بأن يُحفَظ.

فإثباتُ "يا" في الحديثِ هو الواجبُ لا مَحالةَ وليس العكس، و"يا" ثابتةٌ في كلِّ الرواياتِ عن أبي إسحاقَ إنما هي منهم دعوى باطلةٌ وتزوير.

فصلٌ في المقصودِ بحرف النداء (وا) في وامحمّداه

قال السهسوانيُّ في ردِّه على مفتي مكةَ العلاّمةِ الفقيهِ أحمد زيني دَحلان في كتابه (صيانةُ الإنسان عن وسوسةِ دَحلان) ما نصُّه: هذا ليس نداءً بل نُدْبَةٌ، كما تقرَّرَ في مقرِّهِ مِن أنّ "وا" إنما تدخلُ على المندوبِ لا على المُنادَى، فإن قلتَ: المندوبُ عند البعضِ داخلٌ في المنادى، فالجوابُ أن مَن يُدخله في المنادى أدخله في المنادى الحكمي **لا الحقيقي**، فلم يكن ممّا نحن فيه في شيء.انتهى كلامُ السهسواني

قلتُ: كذا قال السهسوانيُّ وهذا إما لخيانتِه وإما لقلّةِ علمِه، ولا أرى جديدًا في هذا، فإن كانَ قصيرَ الباعِ قليلَ العلمِ في لغةِ العربِ فما شأنُ العلاّمةِ أحمد زيني دحلان رضي الله عنه، الحقُّ قطعًا مع العلاّمةِ دحلان.

قال ابنُ هشامٍ في المغني: **وأجازَ بعضُهم استعمالَ "وا" في النداءِ الحقيقيِّ**.انتهى

وفي المنصِفِ من الكلام على مغني ابنِ هشام للإمـــامِ الشُمُنّيِّ ما نصُّه: قولُه: (وأجازَ بعضُهم استعمالَ "وا" في النداءِ الحقيقيّ) قال الرضِيُّ: قيل وقد يُستعمَلُ في **النـــداءِ المحضِ** وهو قليلٌ.انتهى كلام الشمني

فائدة: قال السلسيليُّ في (شفاء العليـــلِ في شـــرحِ التسهيل) ممزوجًا مع كلامِ الإمامِ ابنِ مالك:

(وقد تلحقُ) **علامةُ النُدبَةِ** (منادًى غيرَ منـــدوبٍ ولا مستغاثٍ خلافًا لِسيبَوَيهِ) ودليلُ الجوازِ أن امرأةَ عمرَ بـــنِ أبي ربيعةَ نادته: يا عمراه، فقال: يا لَبَّيْكاه.انتهى كلامُه.

ومثله في شرح ابنِ مالكٍ وكذا في شرح ابنِ عقيل إلا أن المطبوعَ من ابنِ عقيلٍ "يا ليتَكاه"، وهذا تحريـــفٌ، لأنّ الجماعةَ أثبتوا هذا ولأنّها أرادته لحاجتِها منه، ففي كتابِ الأغاني عن عمر بن أبي ربيعةَ: قالت: فناديت يا عُمَراه يا عُمَراه، قال عمر فصحت يا لبَّيكاه يـــا لبَّيكـــاه ثلاثـــا، ومددتُ في الثالثةِ صوتي فضحكت وحادثتُهُن ســـاعةً ثم ودَّعتُهُنّ وانصرفت.انتهى

وقد عرفتَ ممّا سبقَ أنْ لا فرقَ بينَ "يـــا" و "وا" في النُدبَةِ على الخصوصِ، والنداءِ على العموم، ويؤيِّدُه أيـــضًا قولُ الحسنِ بنِ محمدٍ العطارِ:

حروفُ النِـــدا ياءٌ ووَا أيْ أَيَا هَيا

وءَا، نحوُ: يا تَيّاهُ فيكَ فَنِيْ صبري

فهذه المرأةُ أرادت منه ما تريدُ المرأةُ من الرجلِ، فـــلا نُدبةَ ولا تفجُّعَ فيه، وهـــذا السهـــسوانيُّ قـــال كلامَـــه المكذوبَ: "وامحمداه" للنُدبةِ ليس نداءً حقيقيًّا، في عقلِـــه شيءٌ كيف يقولُ بأنّ المسلمينَ في المعاركِ كانوا ينـــدُبونَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، أكَذِبٌ أوضَحُ من هذا، وهـــل هي كذلك في روايةِ أبي شعبةَ "يا محمّداه" فالذي خدِرَت رجلُه يندُبُ ويتفَجَّع على النبي صلى الله عليه وسلم؟ ولماذا يتفجَّعُ عليهِ (صلى الله عليه وسلم) إذا خـــدِرت رجلُـــه، فجليٌّ أنه صدِئَ فهمُه، وتبلَّدَ طبعُه، حقًا الخرَسُ أحـــسنُ من كلامِه، والعِيُّ أبلغُ مِن بيانِه، عجبًا له فقولُه: وقد تقرَّرَ في مَقَرِّه، لعلّه يعني به رأسَه، وكما أنه لا يجوزُ للشافعيِّ أن يقولَ قد تقرَّرَ في الشرعِ كذا وكذا ويُلزِمُ الناسَ فيه ويُنكرُ

عليهم إنكارَ المبتدِع، وتكون المسئلةُ في المذهب الحنفيِّ جائزةً، لا يجوزُ له إنكارُ ثابتٍ لأنه على خلافِه، ولأنه في الفقهِ لا يجوزُ إنكارُ المختلَفِ فيه إذا كان المباشِرُ للمختلَفِ فيه يعتقدُ حِلَّه، إنما ينكَرُ خلافُ المجمعِ عليه، وهكذا هو لا يجوزُ له إن كان بصريًّا أن ينكرَ مذهبَ الكوفِيِّين في النحو، لأنه يعتقد رأيَ البصريين، وما أدراهُ أن قولَ الكوفيِّين هو الحق، هذا إن كان يُحسِنُ التمييزَ بين المذهبَين وهو على هذه الدرجةِ من الضعفِ وقلَّةِ المعرفةِ، والحجةُ مع صاحبِ الشاهدِ، والمثبِتُ مقدَّمٌ على النافي، هذا خائنٌ يُفتِي بغير علمٍ وهذا حرامٌ، وتراهُ بكلِّ ثباتٍ يسمِّي كتابَه "صيانة الإنسان عن وسوسةِ دحلان"، والوسوسةُ معدِنُها ومقرُّها وممرُّها في رأسِه، قاتل اللهُ الجهلَ وأهلَه، أمثالُ هذا يُفتُونَ بغيرِ علمٍ فيَضِلُّون ويُضِلُّون، سلَّمَنا اللهُ تعالى ءامين.

ومثالُها في غيرِ النُدبةِ، قولُ سيِّدِنا عمرَ رضي الله عنه: (واعجَبا لك يا عمرُو بنَ العاص) رواه الإمام مالكٌ

وغيرُه، وأمثلتُه كثيرة كقولِ سيّدِنا بلالٍ الحبشيّ رضي الله عنه عند موتِه: (واطَرَباه)، ولا يكون التفجُّعُ والنُدبةُ طرَبًا،

وقد أحسنَ غايةَ الإحسانِ العلاَّمَةُ اللكنوي في تذكرة الراشد في كشف مساوئ السهسواني وضلاله وكذبه،فاعرِف زيغَ السهسواني واحذَرْ وساوِسَه وكن على يقينٍ أنه لم يكن عالما ولا صادقا والعجيب أنه وصف نفسه بأنه (مولانا)، فمن من العلماء قال هذا عن نفسه، والله تعالى أعلم وأحكم.

إلى هنا انتهى مختصَرُ الكلامِ على الحديث روايةً بما يليقُ بالمقامِ **ولدَينا مزيدٌ** ولله الحمدُ والمِنّة.

فصلٌ في الحديث درايةً

ولا بدّ من التنبيه إلى أن درايةَ الحديثِ هي فقهُهُ فيتعلقُ بالمتنِ ولا بدَّ فيه مِن باعٍ غيرِ قصيرٍ في معرفةِ الأسانيدِ، وهذا ما أَوضَحه شيخُنا الحافظُ عبدُ اللهِ بنُ الصدّيقِ الغُمَاريُّ في "توجيهِ العنايـة" ثم عمِلتُ عليه

حواشيَ في غايةِ النفعِ وحررتُ منها شيئًا علـــى الـــسَّيِّدِ الْعَلاَّمَةِ عبدِ الله بنِ محمدٍ الهرريِّ عليه رحَماتُ الله فقـــال لي: نعم، الكمالُ فيه يحتاجُ إلى فقهٍ.انتهى

قلتُ ومثالُه: قال وكيع لأصحابه: أيُّهما أحَبُّ إليكم الأعمشُ عن أبي وائلٍ عن ابنِ مسعودٍ أو ســفيانُ عــن منصورٍ عن إبراهيمَ عن علقمةَ عن ابنِ مــسعودٍ؟ فقـــالوا الأولُ، -أي الأعمشُ عن أبي وائلٍ- فقال وكيعٌ: الأعمشُ عن أبي وائلٍ شيخٌ عن شيخٍ وسفيانُ عن منــصورٍ عــن إبراهيمَ عن علقمةَ عن ابنِ مسعودٍ فقيهٌ عن فقيهٍ، **وحديثٌ يَتداولُه الفقهاءُ أحبُّ إلينا ممن يتناولُه الشيوخ**.انتـــهى، رواه الرامَهُرْمُزِيُّ في كتابه (المحدِّثُ الفاصِلُ بين الـــراوي والواعي) تحت فصلِ (**القولُ في فضلِ من جَمَعَ بينَ الروايةِ والدرايةِ**)**.انتهى**

وقال ملا علي القاري في شرحِ المِــشكاةِ ردًا علـــى التُورِبشتِيِّ حين أنكرَ لفظًا في صحيحِ البخاريِّ من حيـــثُ صحةُ المعنى: **إذا صحَّتِ الروايةُ وطابقتِ الدرايةَ على ما قدمناه من "تصحيحِ معناهُ"** فلا معنى للتخطِئةِ في مَبنـــاه

والله أعلم.انتهى، وهذا يدلُّ كذلك على أن الدرايةَ معرفةُ معنى المتنِ إمّا لفظًا وإما لفظًا وفِقهًا.

وقال الإمام الكبير المالكي في سَدِّ الأَرَب: والغـــرضُ المهمُّ الآنَ تحصيلُ ءالاتِ الدرايةِ وإتقانُ الفَهمِ لا حفـــظُ المتنِ والسندِ.انتهى

والحاصلُ أنَّ معنى الدراية على خلاف ما نَشَره بعضُ أفاضلِ عصرِنا تقليدًا لابنِ الأكفانيِّ ومَن أخذ بقوله، وهذا كلُّهُ من استدراكاتي على كتاب شيخِنا الغُمَاري، واقتضى التنبيه على المسئلةِ للفائدة.

قال المخالفون هداهم الله في محاولةٍ لإبطالِ الاستدلال بالحديث على جواز ندائه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بأنه قيل له: "اذكر" فقال: (محمد) صلى الله عليه وسلم، فهذا مجردُ ذِكرٍ ليس نداءً فأبطلوا استدلال أهل السنة بهذا التأويل، اعتمادًا على رواية سفيانَ الثوري "اذكـــر" دون رواية زهير "اُدعُ" وأن هذا عادةُ العرب قبل البعثة الشريفة ثم بقيت في الإسلام بعد البعثة وأنه أمرٌ فسره الأطباء بأنّ

ذكره لمحبوبه يجعل الحرارة الغريزية تتحرك في بدنه، فيجري الدمُ في عروقه، فتتحرك أعصاب الرِجل فيذهب الخَدَر.

وهذا كله باطل لأمور:

الأول: أن لفظةَ "ادعُ" ثابتةٌ في رواية أبي نُعيمٍ الفضلِ بن دُكين وغيرِه عن زهيرٍ عن أبي إسحاقَ عن عبدِ الرحمٰنِ بنِ سعدٍ: جئت ابنَ عمرَ فخدِرت رجلُه، فقلـــت: مـــا لرجلك؟ قال: اجتمع عصبها قلت: "ادع" أحب النـــاس إليك قال: يا محمد، فبسطها.

فلماذا يردونها؟ فهل يكونُ ردُّها بغيرِ دليلٍ مـــسوِّغٍ؟ هذا غيرُ جائز.

وقد رواها ابنُ سعدٍ في طبقاته عنهما قال: قال أخبرنا الفضل بن دكين قال حدثنا "سفيانُ وزهيرُ بنُ معاويةَ" عن أبي إسحاق عن عبد الرحمٰن بن سعد قال كنت عند ابـــن عمر فخدرت رجله فقلت يا أبا عبد الرحمٰن ما لرِجْلِك، قال اجتمع عصبُها من هاهنا - هذا في حـــديث زهـــيرٍ وحدَه - قال قلتُ ادْعُ أحبَّ الناس إليك قال يا محمـــد

فبسطها.انتهى، فانظر كيف ميّز رواية زهير عن روايةِ سفيانَ فقط عند قوله: (فقلت يا أبا عبد الرحمٰن ما لرِجْلك قال اجتمع عصبُها من هاهنا). فجعَلَ (اذكرْ وادعُ) واحدًا وهذا يصحِّحُ ما سيأتي ذِكرُه، وقد رواه ابن السُنّي في عمل اليوم والليلةِ من طريق ابنِ الجَعْدِ عن زهيرٍ قال: أخبرني أحمد بن الحسن الصوفي حدثنا علي بن الجعد ثنا زهير عن أبي إسحاق عن عبد الرحمٰن بن سعد قال: (كنت عند ابنِ عمر فخدرت رجله، فقلت : يا أبا عبدِ الرحمٰن، ما لرِجلك؟ قال: اجتمع عصبها من هاهنا، قلت: ادعُ أحب الناس إليك، فقال: يا محمد، فانبسطت.انتهى

الثاني: أن الذِكرَ جنسٌ والدعاءَ نوعٌ منه، بمعنى أن الذِكر عامٌّ والدعاءَ خاصٌّ، فإن الذكرَ أصلاً ضِدُّ النِسيانِ، فالداعي ذاكرٌ لا محالةَ، ويُرى هذا من قوله: اذكر أحب الناس إليك، فقال (يا محمد)، فقد ذكره بذكر خاص هو الدعاء.

يدل عليه أيضا رواية أبي شعبة أنه قيل له اذكر أحب الناس إليك فقال: (وامحمداه).

فقوله "يا محمد" أو "يا محمداه" نداء صريح، ولا يجوز العدول عن ظاهر اللفظ إلا إذا تعذر حمله عليه بالإجماع.

والصريحُ فيه روايةُ المِزّي وهي نصٌّ في فهمِه ودليلٌ على تحريفِهم فقد قال في تهذيبِ الكمالِ في لفظِ الحديث: قلتُ "**ادعُ**" أحبَّ الناسِ إليك فقال: يا محمدُ، فانبسطت. **رواه البخاري في الأدبِ المفرَدِ عن أبي نعيم عن سفيان عن أبي إسحاق مختصرا**.انتهى

فها هو رواه بلفظِ "ادعُ" وعزاهُ للبخاريِّ مختصَرًا أي بدون لفظ: (يا أبا عبدِ الرحمٰنِ ما لرجلكَ، قال اجتمع عصبُها من هاهنا)، ولم يفرِّقْ بينَ (اذكر) و (ادعُ)، والحمدُ للهِ على ظهورِ حقيقةِ المخالفينَ وسوءِ نيتِهم وتحريفهم.

قال الإمام الرازي في تفسيره:

وأجمع العلماءُ على أنه لا يجوزُ صرفُ الكلامِ إلى المجازِ إلا بعدَ تَعَذُّرِ حَمْلِهِ على الحقيقة.انتهى

وفي نفس الصحيفة: إما أن يدَّعيَ أنـــه صَـرَف اللفظَ عن ظاهرِه بغيرِ دليلٍ، أو يقول: إنه لا يجـــوزُ ذلك إلا بعدَ امتناع حمله على الحقيقة، **والأول باطل بإجماع المسلمين**.انتهى

فهذا نداءٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حضرته بعد وفاته وهم لا يجيزون نداءَه حتى عندَ قبرِه صلى الله عليه وسلم.

الثالث: أنَّ فهمَ العلماءِ هو النداءُ ولم نبتدعْ نحن فهمًا جديدًا، بل قال القاضي عياضٌ في ترتيبِ المداركِ وتقريبِ المسالكِ في ترجمةِ محمد البَرْقي المتوفى سنة 270 هجرية: قال أبو جعفر العقيلي: محمد بن عبد الله البَرْقي وإخوتـــه كلهم ثقات، ما بهم من بأس، من بيت علم وخير. وقال غيره: ومحمد أكبرهم وأجَلُّهم.انتهى

ثم ذكر قصةَ طعنِ ابنِ وضاح فيه وليس هنـــا محـــلَّ ذِكرِها إنما فهمُ البرقيِّ للحديث فقال.

قال ابنُ وضاح: كتبت عنه بمصر حـــديثًا واحـــدًا، وكان لا يرضاه. والحديث الذي روي عنه أنه قال: كنت جالسا عند وراق بمصر، فلما أردت القيام خدرت رجلي، فجلست، فقال لي محمد بن البرقي: "**نادِ بأحبِّ النـــاسِ إليك**" قلت له: تذكر في هذا شيئا؟ فحدث: أن رجـــلا خدرت رجله عند ابن عمر، فقال له ذلك. فقـــال: يـــا محمد، ذهب خدرها. فلما قام، قال لي الوراق: ما رأيت أكذب من هذا. ما حدث به أحد مما رواه الساعة عندي في هذا الكتاب. قال: نص الحديث يروى عن ابن عمـــر، وأنه هو خدرت رجله، وجرت له القصة.انتهى

أي أن الوراقَ كذّبه لأنه روى القـــصةَ علـــى أنهـــا حصلت أمامَ ابنِ عمرَ فقال له ابنُ عمر كذا وكذا.

هذا البرقي من علماءِ السلفِ المتقدِّمينَ وما فهـــم إلا النداء وهو الدعاء وكان من العلماء، قال القاضي عياض: **كان من أصحابِ الحديثِ، والفَهمِ، والروايـــةُ أغلـــبُ عليه**. وبيته بمصر بيت علم.انتهى

وهذا القاضي عياضٌ في كتاب الشفا ما فهم إلا النداء والاستغاثة، فقال: وروي أن عبد الله بن عمـــر خدرت رجله فقيل له: اذكر أحب الناس إليك يزل عنك، فصاح: **يا محمداه** فانتشرت.انتهى

هذا الذي فهمه أهل العلم سبحان الله

وليس الأمرُ ذكرًا مجرَّدًا وهيهاتَ، فابنُ الـــسُنّيِّ روى عن ابنِ سيرينَ التابعيِّ الجليلِ أنه كان يقول شعرًا وزجـــرَ مَن تعجَّبَ منه فقال ما نصُّه:

روى محمد بن زياد عن صدقةَ بن يزيدَ الجُهَنيِّ عن أبي بكر الهُذَلِيِّ قال: دخلتُ على محمدِ بنِ سِيرينَ وقد خدِرت رِجْلاهُ، فنقَعَهُما في الماءِ وهو يقول:

إذا خدرت رجلي تذكرت مَن لها
فناديتُ لُبْنَى باسمِها ودَعَوتُ
دعوتُ التي لو أنَّ نَفْسي تُطِيعُني
لألقَيْتُ نَفْسِي نحوَها فَقَضَيتُ

فقلت: يا أبا بكرٍ تُنشِدُ مثلَ هذا الشعر؟ فقال: يا لُكَعُ وهل هو إلا كلام حسَنُه كحَسَنِ الكلامِ وقبيحُه كقَبيحِه.انتهى، **فهذا استحسانٌ منه للكلام** كما تراه جليًّا.

ويحسِمُ هذا الأمرَ ما قال الإمامُ ابنُ الجوزيِّ في تفسيرِه زادِ المسير ونصُّه:

قال ابن الأنباري: وهذا مثلُ قولِ العربِ: جلستُ إلى زيدٍ **إلى العاقلِ الفاضلِ**، وإنما تُعاد "إلى" **بمعنى التعظيمِ للأمرِ**، قال الشاعرُ: إذا خدرت رجلي تذكرتُ مَن لها ... فناديت لبني باسمها ودعوتُ دعوت التي لو أن نفسي تطيعني ... لألقيتها مِن حبِّها وقضَيتُ **فأعاد دعوتُ لتفخيمِ الأمرِ**.انتهى كلامُ الإمامِ ابنِ الجوزيِّ بحروفِه، فالأمرُ ليسَ مجرَّدَ ذكرٍ إنما هو تفخيمٌ وتعظيمٌ.

وبهذا تبطُلُ مكابرةُ المخالفينَ وتحايلُهم على اللفظِ من أنّه مجرَّدُ ذكرٍ لاسمِ المحبوبِ فهذا النداءُ مع التعظيمِ هو ما يعتبرونه شِركًا، فاللهُ أكبرُ هل بقي مسلمٌ غيرُهم في

اعتقادِهم.

وهذا رواهُ جماعةٌ عن سيِّدِنا ابنِ سيرينَ منهم المرزُبانيُّ في نور القَبَس في ترجمةِ أبي بكرٍ الهذلي عن ابن سيرين، **وابنُ القيِّم** وهو من أئمتِهم في روضةِ المحبِّين قال: وكان محمد بن سيرين ينشد:

إذا خدرت رجلي تذكرت من لها ... فناديت لبنى

... الخ.

فائدةٌ: لُكَعٌ تقالُ لِمن هو لئيمٌ أو قالَ قولاً لئيمًا أو مُنكَرًا، والمرأةُ لَكَاعِ، وتقالُ للصبيِّ الصغيرِ ولا شكَّ ليس الراوي مقصودًا بصِغَرِه في هذه الروايةِ، تقولُ في النداءِ يا لُكَعُ ويا لَكاعِ، قال الشاعرُ:

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم ءاوِي ۞ إلى بيتٍ قَعِيدَتُه لَكاعِ

أَي أطوفُ طوافي ثم أعودُ إلى بيتٍ يُقالُ لقعيدَتِه: يا لكاعِ لِلُؤْمِها، فحذف يا النداءِ، والله أعلم.

وإن قلنا تماشيا مع المخالفين بأن هذا الأمر عادةُ العربِ، وهو ذِكرُ المحبوبِ، قلنا وقد رأينا شاعرَهم يقول:

وإنْ مَذِلَتْ رجلي "دعوتُكِ" أشتفي

بدعواكِ مِن مَذْلٍ بها فيهونُ

ومذِلَت الرِجْلُ وخَدِرَت بمعنى واحد فقد رواه ابـــنُ طباطبا في عيار الشعر (طبعـــة دار الـــشمال) بلفـــظ إذا خدرت بدلَ مذِلت.

فذا شاعرُهم ينقضُ دعوى المخالفين أنه مجردُ ذِكـــرٍ، فقد قال "دعوتكِ" وهو يشتفي بدعواها أي بدعائها وهو نداؤها.

وهذا ما فهمه الإمامُ الجليلُ الطبريُّ في تفسيره فقال عند تفسير الآية (فما كانَ دَعْوَاهُم إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلاّ أَنْ قَالوا إِنّا كنّا ظَالِمِين) ما نصُّه:

وعنى بقوله جل ثناؤه: (دعواهم)، في هذا الموضـــع دعاءَهم، ومنه قول الشاعر:

وإِن مذِلَتْ رجلي دعوتُكِ أشتَفي

بدعواكِ من مَذْلٍ بها فيهونُ

وقال النويري في نهاية الأَرَب:

ومنها ذهاب الخدَر: يزعمون أن الرجل إذا خـــدرت رجله "فذكر" أحب الناس إليه ذهب عنه، قال كثير:

إذا خدرت رجلي دعوتك أشتفي ... بذكراك مـــن مذل بها فيهونُ

وقالت امرأة من كلاب:

إذا خدرت رجلي ذكرتُ ابنَ مُصعَبٍ

فإن قلتُ: عبدَ الله أُجْلِيْ فتورُها

وقيل ذلك لابن عمر وقد خدرت رجله فقال: يـــا محمداه.انتهى وغيرُ هذا كثير.

فهل فَهم غيرَ ما قدمتُ من أنّ الدعاءَ أي النداءَ هـــو منَ الذكر.

ولو جلس شخصٌ ليقولَ وِردَه مائةَ مرةٍ: (يا حيٌّ يا قيومُ برحمتِكَ أستغيث) فسئل ماذا تفعـــل؟ ألا يـــصحُّ أن يقولَ إني أذكرُ الله أم يلتزم تحديدَ القولِ: أنا أدعـــو الله؟ هذا لا يقول به عاقل.

هذا كالأعمى الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعوَ له لأنه شَقّ عليه ذهابُ بصرِه، فقال له صلى الله عليه وسلم: (إنْ شئتَ صبرتَ وإن شئتَ دَعَوتُ لــك، فقال: ادعُ لي، فعلمه صلى الله عليه وسلم أن يأتي الميضأة فيصليَ ركعتين ثم يقول: (اللهم إني أسأُلُكَ وأتوجَّهُ إليكَ بنبيِّك محمدٍ نبيِّ الرحمةِ يا محمدُ إني أتوجَّهُ بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي) ثم عاد الرجل وقد أبصر.

فهذا الحديث فيه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم الدعاءَ، فأرشده عليه الصلاة والسلام إلى غــير الــدعاء وعلمه أن يدعوَ هو لنفسه متوسلاً به صــلى الله عليــه وسلم، فالعبرة بالعمل قولاً وفعلاً.

وهكذا ابنُ عمرَ قيل له "اذكر" أحبَّ الناسِ إليــك، فنادى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فالعبرة بما قاله لا بما طُلِب منه قولُه.

فلقائلٍ أن يقولَ مختصِرًا: خدِرت رِجلُ ابنِ عمرَ فقال (يا محمد) فذهب عنه، وله أن يقول: فذكر النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً (يا محمد) فذهب عنه الخدَر.

الرابع: أنّه لو رواه زهيرُ بنُ معاويةَ بالمعنى وكان هذا من تصرُّفِهِ، فهو إمامٌ من كبار أئمة السلف، قال عنه الذهبي في السيَر: الحافظُ الإمامُ المُجَوِّد محدِّثُ الجزيرةِ كان من أوعيةِ العلمِ صاحبُ حفظٍ وإتقان.انتهى

فإن كان رواه بالمعنى وهو مِن بحورِ العلمِ في السَلَفِ، فهو حجَّةٌ واضحةٌ عليكم، وإن كان مِن فَهمِ أبي إسحاقَ نفسِهِ فبِها ونِعمَت، فما أكثرَ ما تقولون قولاً دونَ عملٍ "نحن على نهج السلف" والسلفُ منكم بريء، فلا سبيلَ إلا بإثباتِ الحجةِ بلفظِ: (ادْعُ) سواءٌ حُفِظَت أو رُوِيَت بالمعنى.

فهل علمتُم أحدًا أنكر على أحدِهما ما تزعمونه من الشرك لأنه رواها بلفظِ "ادعُ" وأنتم تعتبرون الدعاءَ للرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاتِه من الشركيات؟ وهل ذكره أحدٌ في زمرةِ المبتدِعة؟

وأعظَمُ من هذا أن العلماءَ الذين ذكروا افتراقَ الأمة إلى ثلاثٍ وسبعين فرقةً لم يذكروا منهنّ ما تزعمونَه شِركًا وهو منقولٌ عن المسلمين عصرًا بعدَ عصرٍ فلم نجِدْ أحدًا

قال مثلاً: "الفرقة الحاديةُ والخمسون: المتوسِّلَة"، فأين هذا التوحيد الذي تزعمونه وغاب عن سلفِ الأمةِ وخلفِها حتى كان أولَ مَن ابتدعَه ابنُ تيميةَ ثم أحيَيتُم بدعَتَه، فكيف لم يعتبرْه أحدٌ من الأئمةِ كفرًا إلى أن ظهرتُم؟

وحالُهم كما قال الشاعر:

وإنّي وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُهُ

لآتٍ بما لمْ تستطِعْهُ الأوائلُ

فهذا أعظمُ دليلٍ على كونِكم ابتدعتُم وأحدَثتُم وأنّ مَن تُضَلِّلونهم هم المسلمون المسلمون.

فالحمد لله قد وافَقْنا السلفَ وخالفتُمُوهم روايةً ودرايةً، فثبت من هو صاحبُ الفَهمِ المبتدَعِ نسأل الله السلامة.

فإن قيل إنما سمعَه زهيرٌ منه بعدَ اختلاطِه ففي حفظِه شيءٌ، قلتُ:

ليستْ مختلطةً لثبوتِها بعينها عن سفيانَ الثوريِّ فلا تدليس ولا اختلاط فيها، وقد تم تفصيلُ ردِّ دعوى

اختلاطِه، وروايةُ زهيرٍ عـــن أبي إســـحاقَ في صـــحيحِ البخاريِّ، وهذا يدلُّكَ على عدمِ اختلاطِه لأنه احتجَّ بـــه منفردًا، حتى ولو قيل بأنه اختلطَ فإخراجُ البخاريِّ لحديثِه عن أبي إسحاقَ في كتابِه الذي هو أصحُّ الكتـــبِ عنـــد جمهورِ الأمةِ دليلٌ على أنّ ما قيلَ عن اختلاطِه لا يـــضرُّ، فكيفَ يكونُ رواه مع قولِه باختلاطِه، فزهيرٌ عن أبي إسحاقَ على شرطِ الصحيح، وإن كان اختلط في الأســـانيد فلـــن يختلطَ فهمُه، وما يؤيِّدُ ردَّ دعوى اختلاطِهِ حتى حينَ سمـــاعِ زهيرٍ منهُ قولُ الإمام المجتهدِ ابنِ دقيقِ العيد في الاقتراح:

قال زهير – وهو ابن معاوية – فقلت لأبي إسحاق – وهو السَّبِيعي: أَذَكَرَ عَضْباءَ؟ قال: لا، قلت فما المقابَلَـــةُ؟ قال : يُقْطَعُ طَرَفُ الأُذُنِ، قلت فما المُدَابَرَةُ؟ قال: يُقْطَـــعُ مِن مُؤَخَّرِ الأُذُنِ، قلتُ: فما الشَّرْقاءُ؟ قال: تُـــشَقُّ الأُذُن، قلت: فما الخَرْقَاءُ؟ قال : تُخرَقُ أُذُنُهَا للسِّمَةِ.انتهى رواها الإمام أحمدُ وغيرُه.

قلتُ: والعضباءُ هي المشقوقةُ الأُذُن مذكَّرُها أعْضَب.

فهل هذا بهذه الحافظةِ العجيبةِ مختلطٌ، ولو سلَّمْنا فهل هذا يؤثّرُ على فَهمِه؟ معاذ الله، ولماذا احتجوا بـــه فيهـــا، فالقولُ قولُ مَن قال شاخ ونسِيَ رحمه الله ورضي عنـــه وفهمُ أبي إسحاق أو زهيرٍ حجَّةٌ عليكم فكلاهُما فقيهٌ يَعِي ما سمع، واحتج به الأئمة مطلقًا.

إنما المختلِطُ الذي قال:

أيُّها الطالبُ عِلمًـــا– إِيتِ حَمّادَ بنَ زيدِ
واطلُـــبَنَّ العلمَ منهُ – ثم قَيِـــّدْهُ بقَـــيْدِ

ثم إشار إلى يدَيهِ مقيَّدتَين بالأغلالِ، قـــال الـــراوي: فعرفتُ أنه اختلط فتركتُه، لأنَّه هنا أرجـــعَ الـــضمير في "قيِّدْهُ" إلى حمّادٍ رضي الله عنه.

وهذا لأنّ معنى "قَيِّدِ العلمَ" أي دوِّنْـــهُ واكتُبْـــه" ولا تعتمدْ على حفظِ الصدرِ فقط، فقد تنساهُ فتكونُ ضيَّعتَ علمًا لا يُضَيَّع لجلالةِ الشيخِ المأخوذِ عنه كحمّادِ بنِ زيدٍ، والله أعلم.

تنبيهٌ مهم: الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رضي الله عنه من الذين قالوا لفظة "اختلط" عن أبي إسحاق، ولم يصرِّح بردِّها، إنما يقول: **ولكن** الذين رووا عنه بآخرة، أو "فيها لِين"، لكنّه مع هذا قبلَ حديثَه عن زهير بن معاويةَ وروى له عدةَ أحاديثَ في مُسنَدِه أكثرَ من عشرةٍ، وقد قال عن المسنَدِ عند ذكرِ حديثٍ: **إن لم يكن في المسندِ فليس حُجةً**.

وهذا ليس قاعدةً جاريةً إنما يُستفادُ منه التفريقُ بينَ قولِ الإمامِ أحمدَ وعملِه، والعملُ أقوى خاصّةً عند الحنابلةِ نصَّ عليه الإمامُ أحمدُ، لأنّ أحدَ أصولِهم أن المجتهدَ إذا روى الحديثَ وخالفَه دلَّ ذلك على ضعفِه، وعلى هذا يكونُ الإمامُ أحمدُ ضعَّفَ قولَه بعملِه في روايتِه حديثَ زهيرٍ عن أبي إسحاق، وهذا ما عناه الإمام الحافظُ العلائيُّ أنهم **احتجّوا به مطلَقًا**.

ومشهورٌ عن الإمامِ أحمدَ أنه انتقى أحاديثَ المسنَدِ من بينِ سبعمائةٍ وخمسينَ ألفَ حديثٍ، وقد كان رضي الله عنه يحفظ ألفَ ألفٍ، أي من حيثُ الأسانيدُ، أما المتونُ المقبولةُ فنحوُ خمسةٍ وعشرينَ ألفًا ومثلُها الضعيفة، والله أعلم.

الخامس: أنَّ لفظةَ "اذكُر" عامّةٌ تحتمِلُ الذكرَ المجــرَّدَ والنداءَ وغيرَهما، وكلمةَ "ادعُ" مُخصَّصةٌ بالنداءِ، فيحمَلُ العامُّ على الخاصِّ كما هي القاعدةُ المقرَّرَة في أصولِ الفقه، أو يقالُ لفظةُ "اذكر" مطلَقَةٌ ولفظةُ "ادعُ" مقيَّدَةٌ قيَّــدَتِ الذكرَ المطلَقَ بالدعاء، والله تعالى أعلمُ وأحكم.

أما قولهم والعياذُ بالله، قد نادى النبي صلى الله عليــه وسلم الأرضَ بقوله: (يا أرضُ ربي وربُّك الله) اســتدلالاً منهم على نداء غير الحاضر في غير معنى الاستغاثة، فهــذا غريب منهم، أيكون نداء الرسول صلى الله عليه وســلم الحيّ في قبرِه الذي لا تنقطع بركاته كنداء الجمادات؟ هذا الذي قال فيه أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: (طبتَ حيًّا ومَيْتا) يقارن بالجمادات؟ أيقارَن بالجمادات من قالت فيه عائشة رضي الله عنها:

وأبيَضَ يُستَسقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ
رَبِيعُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرامِلِ

قالت: فقال أبي (أي أبو بكرٍ الصدّيقُ) رضي الله عنه: ذاكَ – واللهِ – رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم. رواه أحمدُ والبزار، قال البزار: وهذا الحديثُ يدخلُ في صفةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وإسنادُه إسناد حسن.انتهى

قلت: يقال للرجلِ الجَواد ربيعٌ كناية عن الخَصبِ والربيعُ أيضًا الجدوَل.

وهو في صحيح البخاري عن ابنِ عمر رضي الله عنهما بلفظ: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فما يَنزِلُ حتى يجيشَ كلُّ مِيزابٍ

وأبيضَ يستسقى الغمام بوجهه

ثِمالُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

وهو قولُ أبي طالب.

فائدة: المِيزابُ معروفٌ وهو ما يسيلُ منه الماءُ من موضعٍ عالٍ، والثِمال المنجِدُ والمغيثُ وهو مطعِمُ اليتامى وربيعُهم، ويجوز في أبيضَ النصبُ عطفًا على

ما قبلها، والرفعُ والتقديرُ "وهو أبيضُ" والجر بالفتحة لمنعه من الصرف، جرُّه يكونُ بِرُبَّ المقدرة والواوُ واوُ رُبَّ والتقدير: ورُبَّ أبيضَ، والله تعالى أعلم

ولم يَرِد عنه صلى الله عليه وسلم أنه أصابَه كرب فقال: (يا أرضُ أو وا أرضاه) ولم يَرد عن الصحابة فمن بعدهم أن استغاثوا بالدهر أو المطر، نسأل الله سلامة الدين والعقل ءامين.

وقولُهم بأن هذه عادةُ العربِ وإنّ المسلمين استمروا عليها بعدَ البعثةِ فأعجب وأغرب.

فكم عادةٍ كانت في الجاهلية لم يستحسنْها الإسلام فمحاها، وكم عادةً من عاداتِ العربِ أقرّها؟ وهل يكون بعد قبولِ الشرع لها كلامٌ لما قبل البعثة؟ وإن اختلف المفهوم أو السبب فالعبرة بإقرار الشرع، بمعنى أن مفهوم المسلمين لدعاء أحب الناس وهو النبي صلى الله عليه وسلم رجاء برَكتِه هو

المقصود، فلو كان مقصود مَن قبل البعثة مخالفًا للشرع فأقر الفعلَ الشرعُ بما يوافق الشرع فلا إشكال، كالسَبْيِ كان موجودًا في الجاهلية وأقره الإسلام إنما بمفهوم إسلامي فيه إحسان وحث على العتق، فأين سبيُ المشركين وتبعاتُه الظالمةُ من سَبْيِ المسلمين الذي يوصي بالرحمة؟ هذا ما لا يفهمه المخالفون أو يغُضُّون الطَرْفَ عنه هداهم الله.

ألا ترى أيضًا أن ذلك كان من عادة العرب وحدَهم فيما حكَوا ثم صار عند المسلمين عامًّا في كل مسلم عربيًا كان أو أعجميًا، وهذه إحدى المفارقات التي تهدمُ تمويهَهم.

وثانيها أنك لن تجد مسلمًا يصيبُ رِجلَه خدرٌ فيذكرُ أحبَّ الناس إليه مطلقًا ويقصدُ أباه أو صاحبَه، هذا لا يفعله مسلمٌ إذ من شروط الإيمان أن يكون محمدٌ صلى الله عليه وسلم أحبَّ الخلقِ إليه لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليهِ من نفسهِ وأهلِه ومالِه والناسِ أجمعين) رواه البخاريُّ، **فدع عنّا تهويلَك**

أيها الألوسيُّ، وليتَ شِعري من الذي خدِر عقلُه وقال ما قلتَه، تبًّا لك، ثم ليتَ شِعريَ مَن الـــذي أفـــادكَ هـــذه الافتراءاتِ، أهو صديقُك العزيزُ إمامُ النـــصارى الـــذي تعظِّمُه المسمَّى عندهم "الأب إنستاس الكرملـــي"، أهـــو الذي بثَّ السُمَّ في قلبِك لتتطاول على سيِّدِك وسيِّدِ أسيادِك بحقٍّ الإمامِ المجتهدِ العظيمِ المجمعِ على جلالتِه تقـــيِّ الـــدينِ السُبْكي، فأنّى لِمَن تعَمَّه في سَكرَتِه وضـــرَبَ في عَـــشوائِه وتلاجَّ في غَيِّه مثلِك أن يتطاولَ على شيخِ الإسلامِ السبكيِّ رضي الله عنه، تبًا لك ولأخي رُوحِك إنستاس الكرملـــي ولصديقِكما أحمد زكي باشا الذي يخاطبُه بقوله: (صديقي الجليل الأب إنستاس، مرحبا بكتابك أيها الصديق الجليـــل، لقد جاءَ عندي في مقام البُشْرى بل في مقـــامِ بُـــشرَيَين لا بشرى واحدة، حيث حمل لي نبأَ سلامتِك وسلامةِ صديقي العلاّمة الفاضل السيدِ محمود شكري الألوسي.... الخ)

فيجيبُه إنستاس بقوله: (إلى شمس العرب أحمد زكـــي باشا، جاءتنا أنا والألوسيَّ رسالتُكم تتهادى ...... فعسى أن تحملك إلينا الرياحُ يومًا على أجنحتِها لنتسلى بلقيـــاك

ونبادلَك عواطف الوُدّ والإخلاص مع **محبِّنـــا وصــــديقِنا الصادقِ محمود شكري الألوسي الذي لا ينقطـــع مـــن التحدث بك** وبتيمور باشا)، هكذا عبارتُه.

أعَلى شيخِ الإسلامِ السبكيِّ تطاولتَ واشتفتَ فكنتَ في هذا أشأمَ من البَسوس، ولا أَراكَ حينَها إلا شخَـــصتَ في أنحَسِ الأيامِ وأنكَدِ الساعاتِ، يقينًا زاحَ بـــه الـــشكُّ وانحَسَرت عنه المِرْيةُ، فذاكَ إمامٌ بريءُ الساحةِ، صـــحيحُ العِرضِ، نَقيُّ الجيبِ، فعلى مَن تطاولتَ؟ أتُطيقُ أن تكونَ دَرِيَّةَ رِماحِه وجَزَرَ سيوفِه؟ فإنك والله لَرهينةُ البِلى ونُهزَةُ التَلف؟ أمَا وإنك قد واكظْتَ على ثَلْبِه وحافظتَ علـــى انتقاصِه، فصدَّعَ اللهُ أُلفَةَ ذِكرِك، وبتَّ أقرانَـــه، وشـــتَّتَ أحزابَه، لا رفَعَ اللهُ لك بَنْدا، قد نشَرتَ رايـــةَ ضـــلالِك ورفعتَ علَمَ باطلِك، وانتَحَلتَ دعوةَ الرَدَى، ووجَبتَ من مِنبَرِ الهدى وجبَةَ مكسورٍ مدحور، ودُفِنتَ حيًّـــا دِفنَـــةَ الخاملِ المغمور، أطلقتَ لسانَك في إمامِ المسلمين، وخاتمةِ المجتهدين، فنَخَبَ اللهُ قلبَك، وأطاشَ ســـهمَك، وأضـــلَّ سعيَك، فلم يبقَ لك من محمودٍ سوى اسمِك.

أيُّها المَفتون، إنما هو قـصورُك وشـيطانُك تآخَيـا فاعتدَيا، فسُحقًا تِلوَ سُحقٍ إلى يومِ الدين.

شيخُ الإسلامِ السبكيُّ يا أخا لا شيءَ المُصْفِي المُنفِضُ قد أقرَّ بجلالَتِه كلُّ معتبَرٍ عظيم، وما أنت إلا شُعَيرةٌ تحتَ ضِبْنِ لئيم، فإمامُك نفسُه قال: هذا ردُّ فقيهٍ، ففيمَ هـذا التدليسُ والتزويرُ والتِيه، عاملَك اللهُ بما تستحقُّه فقولُك فيه هو أصدَقُ مِثالٍ على الجرحِ المردودِ الذي يؤذي الجـارحُ نفسَه به.

عجبًا واللهِ لمن يكون على اطِّلاعٍ وذا باعٍ في اللغـةِ ويقول: (الدعاءُ مخُّ العبادةِ، فلا يُصرَفُ الدعاءُ لغيرِ الله، ومَن استغاث بميتٍ فقد دعاهُ فعبَدَه).

فما هذه الفصاحةُ العرجاءُ، والفطنةُ الشلاّء؟ ألـيس هذا من سوءِ فهمِه وغَضِّ طَرْفِه عن الحقِّ والصواب، فإنّ معنى الحديثِ أنّ الدعاءَ الذي هو "يا ربُّ اغفِرْ لي" ونحوُه مخُّ العبادةِ أي خالصُها لأنّه أعظمُ مظاهرِ الإقرار بالألوهيةِ للهِ والعبوديةِ للداعي، وليس المعنى أن كلَّ دعاءٍ عبـادةٌ، ويُلقِمُه الحجَرَ الحديثُ المشهورُ (الحجُّ عَرَفَة) رواهُ أحمـدُ

وغيرُه، فهل مَن وقف بعرفةَ حجَّ فليس عليهِ واجبٌ غيرُه، أم المعنى أنه أعظمُ أركانِ الحج؟

فخُذ مِثالاً من أقوالِ العلماءِ المعتبَرين أصحابِ الفهمِ السليم، فقد قال الإمامُ الطحَاويُّ في شرحِ معاني الآثارِ: قد علمنا أن جواب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم هو الجوابُ التامُّ الذي لا نقص فيه لأن الله تعالى قد ءاتاه جوامعَ الكَلِم وخواتِمَه فلو كانوا عندما سألوه عن الحج أرادوا بذلك "ما لا بد منه في الحج" لكان يَذكرُ عرفةَ والطوافَ ومُزْدَلِفةَ وما يُفعَلُ مِن الحج، فلما ترك ذلك في جوابِه إياهم عَلِمنا أن ما أرادوا بسؤالِهم إياهُ عن الحجِّ هو ما إذا فاتَ فاتَ الحجُّ فأجابَهم بأنْ قال **الحجُّ يومُ عرفةَ**.انتهى

هل فهمتَ أيُّها الألوسيُّ ما معنى "الدعاءُ مخُّ العبادةِ"، والأمرُ عندي متردِّدٌ بينَ سوءِ فهمِك وسوءِ نيّتِك في تحريفِ المعنى، لحقتَ الغزالَ وسبقتَ الظلامَ في إشهارِ ءايةِ سقوطِكَ، فسُحقًا لما خطّتْه يداك فكِلا الأمرينِ سيّئٌ ووبالٌ عليك يومَ الدين، والمحشَرُ كائنٌ لا محالةَ.

أما سمعتَ بقولِ اللهِ تعــالى في الحــديثِ القدســيِّ "قُسِمَتِ الصلاةُ بيني وبين عبدي نصفينِ فإذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمِدني عبدي هــذه مناجــاةٌ الحديث، ...... **فالمراد بالصلاةِ الفاتحةُ** لأنها لا تصحُّ إلا بها، فهل بقيَ لك أيها الألوسيُّ شيءٌ.

إنه من أعاجيب الأزمانِ المتأخرةِ أن يتطاول مثلُــك على شيخِ الإسلامِ المجتهد تقيِّ الدينِ السبكيِّ رضــي الله عنه، لقد ءاذيتَ نفسَك عندَ اللهِ وعنــد عبــادِهِ عنــدما وصفتَ شيخَ الإسلامِ السبكيَّ بأنــه "يهــذي"، ولمــاذا تجاهلتَ – يا صاحبَ تاريخِ العرب – قولَ الذهبيِّ فيه:

لِــيَــهْنَ المِــنبَرُ الأُمَوِيُّ لَمَّا
عَلاهُ الــحاكمُ البحرُ التقيُّ
شيوخُ العصرِ أحفظُهُم جميعًا
وأعلَــمُهم وأقضاهم عليُّ

شيخُ الإسلامِ السبكيُّ هو الذي قال فيه صلاحُ الدين بنُ أيبك الصفديُّ: الإمامُ العالِمُ العاملُ الزاهــدُ العابــدُ

الورِعُ الخاشعُ الناسِكُ الفريدُ البارعُ المحقِّقُ المدقِّقُ المتفنِّنُ قدوةُ الأئمةِ حُجَّةُ الفُضَلاءِ العلاّمةُ شيخُ الإسلامِ حَبْرُ الأُمةِ مفتي الفرقِ المقرئُ المحدِّثُ الرُحْلَةُ المفسِّرُ الفقيهُ الأصوليُّ البليغُ الأديبُ المنطِقيُّ الجَدَلِيُّ النظّارُ جامعُ الفنونِ علاّمةُ الزمانِ قاضي القُضاةِ أوحدُ المجتهِدِينَ تقيُّ الدينِ أبو الحسنِ الأنصاريُّ الخَزْرَجِيُّ السُبْكِيُّ الشافعيُّ الأشعريُّ **الحاكمُ بالشامِ**، أما التفسيرُ فيا إمساكَ ابنِ عطيةَ، ووقوعَ الرازيِّ معه في رَزِيّة، وأما القراءاتُ فيا بُعدَ الداني، وبُخْلَ السَخاويِّ بإتقانِ السَبعِ المَثاني، وأما الحديثُ فيا هزيمةَ ابنِ عساكرَ، وعِيَّ الخطيبِ لمّا أنْ يُذاكِرَ، وأما الأصولُ فيا كَلالَ حَدِّ السيف، وعظمةَ فخرِ الدينِ كيفَ تَحَيَّفَها الحَيْف، وأما الفقهُ فيا وقوعَ الجُوَينِيِّ في أوَّلِ مَهلِكٍ من نهايةِ المطلبِ، وجَرَّ الرافعيِّ إلى الكسرِ بعدَ انتصابِ عَلَمِهِ المُذَهَّبِ في المَذْهَب.انتهى

هذا هو بعينه الذي تطاول عليه الألوسيُّ واتَّهمَه بالهذيانِ وردِّ الحقِّ والتعدِّي حتى على المذهبِ الشافعيِّ، والإمامُ السبكيُّ إذا خطَّأَ الإمامَ أبا المعالي الجوينيَّ فهو

أهْلٌ، ولا يُثبِتُ هذا أو يَنفِيه أمثالُ الألوسيِّ الذي أرضَـــتْه الموهبةُ فتسخَّطَها، وشمِلَتْه النعمةُ فغمِطَها، ضلَّ عن نــورِ ءابائِه، وأَورَثَ الخِزيَ لأبنائِه، يُظهِر للدينِ المعاضَدَةَ ويُبطِنُ المعانَدة، فيَلقَى أولياءَ الدينِ بوجهِه وأعداءَه بقلبِه، قال في بحرِ التُقى ظلمًا صريحًا وجَورًا فسيحًا واعتـــداءً قبيحًـــا، فكانت بعدَ ذلك أستارُه مهتوكةً، ودماءُ عِزَّتِه مسفوكةً، فواللهِ إن سيِّدَه السبكيَّ لَيَزيدُ عليه وعلى أحبابِـــه زيـــادةَ الشمسِ على نَجمٍ أَفُول، وزيادةَ مكَّةَ على الطُّلُول، فمَن يكونُ الألوسيُّ ذو الطويَّةِ المعلولةِ والعقيدةِ المغلولةِ، عامَلَه اللهُ بما يستحِقُّه فكتبُه المسمومةُ ملئَتْ رَينًا وفاضَت مَينًـــا، نسألُ اللهَ العصمةَ والسلامة، من سَريرةٍ أعقَبَتِ الندامـــة، والحمدُ للهِ لم يشارِكنا في علمِنا ومأكلِنا إنستاسُ ولا غيرُه من أهلِ الضلال، وعلى كل حـــالٍ إنـــستاس النـــصراني وجائزةُ نوبل من ملكِ السويدِ النصراني يثيرانِ الـــشكوكَ حولَك وبشِدَّة، ولكلِّ مقامٍ أيها الألوسيُّ مقـــال، فلـــم ينفعك صحبةُ أعداءِ الدينِ المناحيس، ولا تسويدُ القراطيس.

كيف صاغ فكرَكم أعداءُ الدين، أما كان فيكم مُسكةٌ من عقلٍ أنتَ وجمالُ الدينِ الأفغاني الذي أرادَ هدمَ الخلافةِ الإسلاميةِ بخلافةٍ جديدةٍ هو رأسُها بدعمٍ روسيٍّ وكيف اجتمع في نظرِه هذانِ النقيضان، وتلميذُه ومريدُه محمد عبده الذي لا يرى المعجزة حقيقةً، ثم يرى الكرامةَ الخاصةَ بالأولياءِ الصالحين جائزةً لكلِّ مسلمٍ مهما كان حالُه، ويقول عن النصرانية إنها جاءت بالتسامحِ وهجرِ ملَذّاتِ الدنيا بينما قام الإسلامُ – في نظره - على القوة والعنف لعنه الله كم له من إبطالٍ للشريعةِ، ثم تلميذُه محمد رشيد رضا الذي لا يُعرَفُ هل هو قاديانيٌّ أم ماسوني أم ينسُبُ نفسَه إلى السلفِ زُورًا أم ماذا، ومِن طامّاتِ هذا الرجلِ أنّه يقولُ في كتابٍ له مطبوعٍ بأنَّ الدعوةَ الوهابيةَ عندما ظهرت في نجدٍ كانت غيرَ تكفيريةٍ ثم ينقل بنفسِه عن الجبَرتي أن الوهّابيّين كانوا قبلَ التقدمِ إلى القتالِ يقولون عن جيشٍ تابعٍ للخلافةِ: (هلُمُّوا إلى حربِ المشركين المُحَلِّقينَ الذُقونَ المستحلينَ الزنا واللواطَ الشاربين الخمورَ...ثم كشفوا عن كثيرٍ من قتلاهم (أي

جيشِ الخلافةِ) فوجدوهم غيرَ مختونين).ا.هـ. كلام الجبرتي، ثم يُعقِبُه بهذا: (وفيه من فظائعِ العسكرِ وفواحشِه ما لا حاجةَ إلى ذكره).انتهى، وما يُثيرُ العجَبَ هو كشفُهم عن عوراتِ العساكرِ المغلَّظةِ فأيُّ تجديدٍ للسلفيَّةِ هذا وأيُّ محاربةٍ للشركِ في الكشفِ عن عوراتٍ مغلَّظةٍ للأمواتِ، أتلومونَ الخلافةَ على الجهالِ في جيشِها وقد ساهمتُم في هدمِها وتشتيتِ شملِها، وعندما استعانت بكلِّ مسلمٍ انتقصتُموها، فانظروا إلى هذا التائهِ الذي خالفَ اسمَه ثلاثَ مراتٍ فلا هو محمدٌ ولا هو رشيدٌ ولا هو رضا، ويصفُ هذه القصةَ بأنها بروايةِ عدلٍ ثقةٍ عن شهودِ عِيانٍ، وهذا الجاهلُ يعتبرُ الخِتانَ من الفظائعِ أو المنكَراتِ وهو سنةٌ عند الإمام مالكٍ غيرُ واجبٍ، **لكنَّ الأعجبَ أن خُبثَ هذا الرجلِ الذي لا يُسكَتُ عنه هو وصفُ جيشِ الخلافةِ الإسلاميةِ بأنه فاسقٌ عساكرُه أصحابُ فواحشَ فكيفَ يُنصَرون؟** ثمَّ ينسُبُ هذا التائهُ وَلِيدُ الماسونيّةِ ظنَّه إلى الجبَرتيِّ فجعلَ ظنَّه ظنَّ الجبرتيِّ أيضًا، لكن لم ينقل ما قاله الجبرتي أيضًا: (فوافاهم شيخُ الحويطاتِ ومعه عساكرُ

وطوائفُه قبلَ شروقِ الشمسِ ووقع بينَهم القتالُ والنجديُّون **يقولون هاه يا مشركون** وانجَلَتِ الحـــربُ عـــن هزيمـــةِ النجدِّيين وغنِمُوا منهم نحو سبعين هَجِينًا من الهُجنِ الجيادِ محمَّلةً أدواتٍ وكانتِ الحربُ بينَهم مقدارَ ساعتين).انتهى كلام الجبرتي، فهل كانوا على الإسلامِ وعلـــى الـــصلاحِ يومَها عندما هزموهم وانتصروا عليهم برأيِ هذا التائـــه؟ وليتَ شِعري كيفَ يجسُرُ على هذه الوقاحـــةِ في تحديـــدِ كونِ جيشِ الخليفةِ فاسقًا أم غيرَ فاسقٍ، هـــذا طعـــنٌ في جيشِ خليفةِ المسلمينَ ولو لم يكن فيه سوى قذفِ احتقارِ هذا الجيشِ في صدورِ الناسِ لكفاه ضلالاً، **وهذا الجـــبرتيُّ الذي تصفُه بأنه ثقة هل تقول بأنه ثقةٌ أيضًا عندما أثبتَ لك أن الدعوةَ النجديةَ تكفيريةٌ وليست ســـلفيةً كمـــا تحاول أنت أن تصوِّرَها وتبُثَ سمومَك لأصحابِ العلـــمِ القليل، تبًّا للماسونيةِ البريطانيةِ التي أنشأتكَ على كُـــرهِ السلطَنَةِ المبارَكةِ الحقَّةِ وتبًّا لك.**

واعلم يا طالبَ الحقِّ رحمك الله أنّ من أقبحِ تدليساتِه وتضليلاتِه أنه يقول بأنّ الوهّابيِّينَ جاءوا لهدمِ الـــشركِ إلى

أن استَولَوا على المدينةِ وغيرِها من الحجازِ، فانظُر إلى هذا المبتدِع الذي يزعم محاربةَ البدعةِ، أمَا عَلِم خبيثُ الطويَّـــةِ هذا أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**المدينةُ تنفي خَبَثَها كما ينفي الكِيرُ الخبَث**) رواه مالك، فــمَعاذ الله أن يكــونَ الشركُ مستقرًّا فيها حتى يجيءَ النجديون ليبطِلُوه، تبًّا لك يا غيرَ الرشيدِ وغيرَ الرضا، ويحضرني في حقِّه الآن قــولُ سيِّدِنا عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه: (إني أرى الــرجلَ فأتَهَيَّبُه فإذا تكلَّم سقطَ من عَينِي).

إنّ من أكبر كذباتِه قولُه بأنّ النجديينَ جاءوا لهــدمِ الشركِ، فماذا يفعلُ بهذا النص عن محمدِ بن عبدِ الوهابِ رأس هذه الدعوةِ التكفيريةِ في كتــابِ "مــتن كــشفِ الشبهات":

"فاعلم أنّ شِركَ الأوَّلِينَ أخفُّ من شركِ أهلِ زمانِنا"

ويقول: (**إذا تحقَّقتَ أنَّ الذينَ قاتلهُم رســولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحُّ عقولاً وأخفُّ شركًا ...**)

حتى قال قائلهم أحمد باشميل في كتاب (كيف نفهمُ التوحيد): **عجيبٌ أن يكونَ أبو جهلٍ وأبو لهبٍ أكثـــرَ توحيدًا وأخلَصَ إيمانًا به من المسلمين الذين يتوســـلونَ بالأولياءِ والصالحين ويستشفعون بهم إلى الله.**انتهى

فمحاربةُ الشركِ كلمةُ حقٍّ أُريدَ بهـــا الباطـــلُ، لأنّ التكفيرَ هنا وقعَ على المسلمين، لكن أحمد باشميل الجاهل لم يدرِ أن الذين كفّرهم هم الذين سمّـــاهم "مـــسلمين" فكيف استقام له هذا القول، ولله في خلقِه شُئون.

ومنَ العجيبِ الممقوتِ أنّ صـــاحبَهم أبـــا الحـــسن الندوي يقول في كتابِه "العربُ والإسلام" بأن لـــورانس الداهيةَ قام بدورِه فأشعل الحماس في العربِ فثار الشريفُ حسينٌ في الحجاز وأهلِ الشام في الشام على "الإمبراطورية العثمانية"، ولم يذكر كبرى المعاركِ بين الخلافةِ والوهابيين فقد أتعبوا الخلافةَ والمسلمين بشيطنتِهم وهم يقولون "هاه يا مشركون" ويقتلون ويسفِكون ويستبيحون ويجاهـــدون في قتال المشركين عندهم – وهم نحن أهلَ السنة – فلماذا

يا أبا الحسن الندويُّ تضلِّلُ الناسَ وتغطي الحقيقة؟

ألا تستحيي من قول "الإمبراطورية العثمانية" أم أنت ترى أن سيِّدي الخليفةَ السلطانَ عبدَ الحميدِ الثاني فمن قبلَه من أصحابِ الأيادي البيضاءِ في إنفاذِ شوكةِ الإسلامِ في قلوبِ الأعداءِ رعونةً ومصلحةً شخصيةً؟ ولماذا تمدحهم – على أنهم إمبراطورية – قاتلَتْ في سبيل الله وتختِمُها بقولك (على عِلاَّتِها) والعياذُ بالله، فما هي علةُ أسيادِنا السلاطينِ العثمانيينَ رضي الله عنهم؟ أم كنتَ ترى أنه يجبُ على السلطانِ عبد الحميد الثاني رضي الله عنه أن يبيعَ فلسطين لليهودِ وأنّه أخطأ عندما قال: (**لو وزنوا لي فلسطين ذهبًا ما تخليت عن شبرٍ منها**)؟ فالعلةُ فيك أنت أيها الندويُّ وقد قيل قديمًا:

وإذا أتَتْكَ مذَمَّتي من ناقصٍ

فهي الشهادةُ لي بأني كاملُ

فكيف تكون الوهابيةُ هذه الدعوةُ الشموليَّةُ في التكفيرِ غيرَ تكفيريةٍ عند محمد رشيد رضا، لكن قد أسفَر

الدليلُ عن كذبِه.

ثم يَستقطِبُ فكرَ هذا الأخيرِ القرضاويُّ فينعتُه بأنه "الإمامُ المجتهدُ المجدِّدُ"، وأمثالُ هذا كثيرونَ، أصحابُ فكرٍ خطيرٍ بدعوَى النهضةِ الفكريةِ (الماسونية) فيُغِيرُ القرضاويُّ على صحيحِ البخاريِّ يُضعِّفُ حديثَ المعازفِ تقليدًا لابنِ حزمٍ مع إنكارِ الحفاظِ على ابنِ حزمٍ وأنه طَعَنَ فيهِ انتصارًا لمذهبِه الرديء، ويجيزُ لمسَ المرأةِ الأجنبيةِ بغيرِ حائلٍ وقد سمِعتُه، فيخرِقُ بهذا الإجماعَ الثابتَ ويوافق في هذا (حزبَ التحريرِ) حزبَ الجهلِ والفلسفةِ الذين يقولونَ – وقالها لي أحدُ سياسيِّيهم: صدّقني يا أخي، بدون الخلافةِ لا يجبُ على المرءِ شيءٌ لا صلاةٌ ولا غيرُها، سكتَ ألْفًا ونطقَ خَلْفًا، بل سكتَ دهرًا ونطقَ كفرًا، والعياذ بالله من هذا الكفرِ الصريحِ، هؤلاءِ جماعةُ حزبِ التحريرِ يحتجونَ بالآيةِ: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ)، ولم يدرِ هؤلاءِ الضالّون أن الآيةَ في الكلامِ عن المسلمين إذا مكّنَهم اللهُ في فتحِ البلادِ نَشَروا الإسلام، هذا معنى الآية قال الإمام

الطبري في تفسيرِه: ويعني بقوله: (إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ) إن وطَّنّا لهم في البلاد، فقهروا المشركين وغلبوهم عليها، وهم أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، يقول: إنْ نصَرناهم على أعدائهم وقهروا مشركِي مكةَ، أطاعوا الله، فأقاموا الصلاة بحدودها، (وءاتَوُا الزكاة) يقول: وأعطَوا زكاةَ أموالِهم مَن جعَلَها اللهُ له (وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ) يقول: ودَعَوا الناسَ إلى توحيدِ اللهِ والعملِ بطاعتِه وما يعرفُه أهلُ الإيمانِ بالله (وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ) يقول: ونَهَوا عن الشركِ بالله والعملِ بمعاصِيه، الذي – أي المنكَرُ– يُنكِرُه أهلُ الحقِّ والإيمانِ بالله.انتهى

هذا قولُ أهلِ العلمِ في الآية، وعندما أخبرتُ السّيِّدَ العَلاَّمةَ عبدَ اللهِ الهرريَّ عليه رَحَمَاتُ اللهِ تعجَّبَ جدًا وقال لي: قل لهم الرسولُ صلى الله عليه وسلم بقيَ يدعو إلى اللهِ ثلاثَ عشرةَ سنةً قبل أن يمكِّنَ اللهُ له في الأرضِ، ألم يكن وصحابتُه يُقيمُونَ الصلاةَ. وصرَّح بكفرِ قائلِ هذا القولِ لأنّه يكذبُ القرءان ويردُّ النصَّ، وردُّ النصوصِ كفرٌ

عند أهلِ الحقِّ كما قــال الإمــامُ النــسفيُّ في عقيدتِــه المشهورة.

ويزيدُ القرضاويُّ الطِينَ بِلَّةً، فيجيزُ للمسلمةِ المحتشمةِ في بلادِ الكفرِ أن تكشفَ عن شعرِها إذا خُيِّــرت بــينَ كشفِه وتركِ العملِ غافلاً عن قولِه تعالى وهو القولُ الحقُّ الصدقُ: (ومَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ له مَخْرَجــا) فقــد وجــد القرضاويُّ لها مخرجًا حرامًا، ويقول بأن الفقرَ من أكــبرِ الأسبابِ في ضعفِ دين الشخص، وقد ذمَّه مع أن الــنبيَّ صلّى الله عليه وسلم مدحَه بقولِــه: (نظــرتُ في الجنــةِ فوجدتُ أكثرَ أهلِها الفقراء) لكنّ القرضاويَّ الماسونيَّ يأبى إلا الانحلالَ من الدينِ جامعًا بينَ المعازف واللمس بغــيرِ حائل وكشف العورة والعياذُ بالله وله من الفتاوى الباطلةِ غيرُ هذا كثيرٌ، نسألُ اللهَ السلامةَ.

ورحم اللهُ الشيخَ حسن البنا فقد كان رجلاً مستقيمًا لم يتّفقْ منهجُه الصافي الخالصُ مع من حولَه فكانوا أكثر ارتياحًا لقتلِه من أعدائِه الظاهرين، وكانت مَكِيدةً دُبِّرَت

بليلٍ، فيأتي بعدَ قتلِه سيِّد قطب ويصرِّحُ في تفسيرِه الفاسدِ بأن كلَّ البشريةِ كفرت باللهِ حتى أولئك المؤذنون الــذين يردِّدونَ على المآذن "لا إله إلا الله" ارتدُّوا إلى عبادة العباد ونكصوا عنها، وفي كتابِ الأطيافِ الأربعةِ هو وإخوتُــه يقول في القسمِ الخاصِّ به: (وضحِكَ القدَرُ ضحكةً عاليةً ... فيا أيها القدرُ الساحر) نعوذ بالله من عمى القلــوبِ وقلةِ الأدبِ مع ربِّنا تبارك وتعالى، ويبقى بإذن اللهِ تعــالى مَن ينبري لقمعِ ضلالاتِهم وفِكرَهم المــستحدَثَ بــأقوى حُجةٍ وأسطع دليل، وأوَّلُ الغيثِ قطرة.

فائدة: **الماسونية** معناها البنّاءُون وفي الإنكليزية سُمُّوا **البنّائين الأحرار**، يزعُمون أنها منظمةٌ أخَوِيّةٌ عالمية يتشاركُ أفرادُها عقائدَ وأفكارًا واحدةً فيما يخصُّ الأخلاقَ وتفسيرَ الكونِ والحياةِ والإيمانِ بخالق إلهي يــشاركونَه – ولــو لم يصرِّحوا – في التشريعِ بحسبِ تغيُّراتِ الزمــان. تُعــرَفُ المنظمةُ بالسرِّيّةِ والغموضِ وتحديدًا في شعائرها، خاصةً في بدايات تأسيسها مما جعلها محط كــثير مــن الأخبــار والشائعات بأن هذه المنظمة بسعة انتشارها وتمكنها مــن

الوصول إلى معظم الحكومات العالمية القوية هي من تملك زمام قيادةِ العالمِ، لذلك يتهم البعضُ الماسونيةَ بأنها من محاربي الفكر الديني وناشري الفكر العلماني، وهو فصلُ الدينِ عن السياسةِ وعدمُ الإلزامِ بدينِ محدَّد لأيِّ شخصٍ وهذا كان أحدَ أسبابِ زلزلةِ الخلافةِ الإسلاميةِ وجعلِ بعضِ البلادِ عِلمانيّةً والعياذ بالله.

أما الشارعُ صلى الله عليه وسلم فقد قال: (أُمرتُ أنْ أقاتِلَ الناسَ حتى يشهدوا أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وأني رسولُ الله) والمستعانُ هو الله.

فالخلاصةُ بعد كلِّ هذا، أن قولَ هذا الألوسيِّ المتأخرِ جدًا المتأثرِ بالفكر التكفيري: (وهل كان كلُّ من خدرت رجلُه يستغيث بأحب الناس إليه غلامًا أو امرأة يُغِيثُه؟ لا يقولُ هذا إلا من خدِر عقلُه) مردودٌ عليه وتقبيح لما هو حسنٌ ليس غيرُ والرد عليه بمسئلة السَبْي التي ذكرتُها يكفي.

ورحم الله السلطانَ عبدَ الحميدِ الذي نفاه من بلــده بسبب شكاوى العلماءِ، وليتَه أبقاه منفيًّا، إن قالوا بأنــه كان أديبًا مؤرِّخا على اطلاعٍ واسعٍ فلن يكون أعلمَ مــن الجاحظ المعتزلي الذي قال لعنه الله "إن الأنبياءَ وُلِدوا على غير رَشْدة" أي أولاد زنا، والعياذ بالله من خبثه، ويكفيــه خِزيًا أن اللهَ أطفأَ ذِكرَه.

فائدة: يقال رَشْدةٌ ورِشدةٌ بفتح الــراءِ وكــسرِها والفتح أفصح وهي نقيضُ زَنية وزِنية، فالمولود على رَشدة هو ابنُ النكاح الصحيح والمولود لضِلّة هو ولدُ زَنية وولدُ غَيّةٍ ووُلِدَ لخِبْثةٍ وزاد بعضُهم هو ابنُ بِغْيَــةٍ، نــسأل الله السلامة.

ويَرُدُّ على الألوسيِّ أيضًا أن مشركي العربِ لا عبرةَ بهم ولا بفهمِهم، وسواءٌ أكانوا في نظرِهم يــستغيثون أم يذكرون، إنما العبرة بما هو في الشرع بعد استحسان هــذا الأمر منهم وأخذه كما مر، وخيرُ أُسوةٍ لنا هو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عندما رأى اليهودَ يصومون عاشوراءَ شكرًا لله أن نجّى موسى من فرعونَ، فاستحسنَه صلى الله

عليه وسلم وقال: نحنُ أَوْلَى بموسى فصُوموه. رواه مسلم، ولم ينظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اعتقاد اليهود في موسى صلى الله عليه وسلم أو اعتقادهم في الله الذي يصومون شكرا له وهم مَن هم في التجسيم والتشبيه يعتقدون أن الله استلقى على قفاه على العرش بعدما خلق العالم فتعب والعياذ بالله من هذا الكفر القبيح، فأي عاقلٍ يقولُ إنَّ المسلمينَ أخذوا من المشركين عادةً وأقرُّوها على فَهمِ المشركين لها.

والحاصلُ أن المسلمين استحسنوا هذا وجعلوه في نبيِّهم فأنعِم به استحسانا ومعتقَدا، وهو عينُ التوسلِ إلى الله به صلى الله عليه وسلم، هو الوسيلة صلى الله عليه وسلم بل أفضلُها واللهُ تعالى يخلق الشفاء، ويذكرني هذا بمبتدِعٍ قال لي مرة: لماذا تقولون "يا محمد" قولوا "يا الله" بدونِ وسائطَ ولا أسبابٍ، هكذا بكلِّ جرأةٍ، فقلت له: إذا أصابك صداعٌ ماذا تفعل؟ فقال: ءاخذ حبتينِ من الدواء، فقلت ولماذا؟ أليس اللهُ الشافيَ فلماذا لا تقول "يا الله يا شافي اشفني" لماذا تجعل بينك وبينه وسائط وأسباب؟ إن كنت تجعل حبتين من

الدواءِ واسطةً بينَك وبينَ اللهِ فنحن جعلنا محمدًا صـــلى الله عليه وسلم واسطَتَنا وهو أعظم الوسائط.

فجحظت عيناه وبُهِت و لم يردّ جوابًا أمام الناس هداه الله ءامين.

فما أقبح كلامَ الألوسي وتهويلَه وكيف حاول إيصالَه إلى الناس بطريقةٍ قبيحة عامله الله بما يستحقه.

فكم مِن عائبٍ قولاً سليمًا
وءافَـــتُـــهُ من الفَهمِ السقيمِ

هذا وقد كان المشايخُ يقولون: الفهمُ عَـــرَضٌ يطـــرَأُ ويزولُ، فكيف بالله يا طالبَ الحق بمن فهمُه يزولُ ولا يطرأ.

ثم لِيُعلمْ أنه ليس شرطًا ولا واقعًا لازمًا أن يـــذهبَ الخدَرُ في كلِّ مرة، فقد يَعرِضُ المانعُ للقائلِ بسببِ أمـــورٍ عديدةٍ منها معاصيه أو ابتلاءُ اللهِ له تخفيفا لسيئاتِهِ أو رفعًا لدرجاته، ومِن هذه الموانع ما قاله أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم: (ذكَرَ الرجلَ يطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ يُمُدُّ يديهِ إلى السماءِ: يا ربٌّ يا ربٌّ ومَطعَمُه حرامٌ ومَشرَبُه حـــرامٌ

ومَلبَسُه حرامٌ وغُذِيَ بالحرامِ فأَنَّى يُستجابُ لذلك). رواه مسلم

فها هو يدعو اللهَ القائلَ في كتابه العزيز: (وإذا سألَكَ عبادي عنّي فإني قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الداعيْ إذا دعانِ) البقرة 186.

فهل يقال بأنَّ كلَّ مَن دعا اللهَ و لم يَستجِبْ له إنه ليسَ مُجيبًا، لا يقولُ بهذا إلا مَن خدِر عقلُه أيها الألوسي.

وهذا القولُ عند خدَر الرجل أو غيرِها ليس واجبًا ولا أحدَ يقول بهذا بل هو جائزٌ إن شاءَ نادى وإن شاء ذكَرَ وإن شاءَ ترك، ومَن ادّعى أن الكلَّ من عربِ الجاهلية فمن بعدَهم ذهب عنهم الخدر في كلِّ مرة نادَوا فيها حبَّ الناس إليهم فقد كذب كذبًا عظيما.

شُبهةٌ أخرى:

قالوا وكيف تستدلون بحديث ابنِ عمرَ رضي الله عنهما في جواز الاستغاثةِ به صلى الله عليه وسلم وهو مذكورٌ في الآداب في باب ما يقول من خدرت رجلُه.

قلتُ: أنتم تجيبون على هذا السؤال لو أعمَلْنا قيـــاسَ العكسِ وقلْبَ الدليلِ عليكم، فأنتم تكفّرونَ - وتفِـــرُّون من التكفيرِ عند المواجهةِ - من قال (وامحمداه) إذا خدِرَت رجلُه وإن كان من الآداب، فلماذا تكفِّرونَه وأنتم تُقِرُّونَ بأنه من الآداب؟ هذه لا مَفَرَّ لكم منها.

(فَلَمَّا أَلقَوْا قالَ مُوسَى ما جِئْتُم بـــهِ الـــسِحْرُ إنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إنَّ اللهَ لا يُصلِحُ عَمَلَ المُفْسِدِين)

هذا التسَتُّرُ بكلمةِ "الآداب" واستعمالُها دليلاً علينـــا انقلبَ عليكم، ونحن نعلم يقينًا أنكم تكفِّرون القائل "يـــا محمد" وإن كان قالَها لإذهابِ خَدَر رِجلِه.

وقد علَّق الألباني على هذا الحديث بأنّ هذه العبـــارةَ فيها استعانةٌ بغير الله، وأنها منافيةٌ للتوحيد، فلماذا الكذبُ والتقيةُ، فمذهبُكم معروفٌ مشهورٌ ونحن نعرفُ إن تكلَّمنا بإثباتاتٍ تاريخيةٍ تاريخَكم عن قتلِ النـــساءِ والأطفـــالِ في المدينة، ولا عجب بعد نقل صاحبِكم محمد رشيد رضـــا عن تكفيركم لجيش الخلافةِ ومن تبِعه وأنكم تجاهدون في قتالهم لأنهم مشركون.

ولماذا انقطعَ لسانُ أحدُ رءوسِكم عبد الرحمٰن دمشقية عندما سأله فضيلةُ الشيخِ الجبلِ سليمُ علوان الحسني أحدُ بركاتِ هذا الزمان حفظه الله: أنتم تقولون بأنه شــــركٌ، وشيخُكم ابنُ تيميةَ يسميهِ كلِمًا طيبًا، فهل هو استحسن الشركَ وهل تكفِّرونه؟ فتهرب ولم يردَّ جوابًا، لأنه يعتقد ما يعتقدُه الألبانيُّ من أنها استغاثة، لكنّ دمشقية "ظن" أنه وجد مخرجًا بهروبِه من الاستغاثة إلى اعتبارِها عادةً عربيةً، وهيهاتَ فقد أَسَّس بنيانَه على شفا جُرُفٍ هـــار، فـــلا تتهربوا هداكم الله، لكن يعجبُنا أن تقولوا: أيها المسلمونَ إذا خدِرَت رجلُ أحدِكم فليقل: يـــا محمد، هـــذا مـــن ءاداب المسلمين، هذا يعجبنا.

ودليلٌ ءاخرُ لا يُبقِي على هذه الشُبْهةِ ولا يَذَرُ وهـــو أنّكم جعلتُم مَن قَصَدَ وخصَّ قبرَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بالزيارة مشرِكًا وزيارَتَه زيارةً شِركيةً والعياذُ باللهِ مع أن الحافظَ عبدَ الحقِّ في أحكامِهِ اعتبَرَهُ مِن فضائلِ الأعمـــالِ وكثيرون غيرُه، ومِثلُه قال ابنُ القطّانِ عن حديث: **(مَـــنْ زارَ قبري وجَبَتْ لهُ شفاعَتي)** في رَدِّه على الحافظِ ابـــنِ

الحقّ: (هو مِنَ الحَثِّ والترغيبِ)، فلماذا تكفِّرونَ المسلمين القاصدينَ قبرَهُ صلى الله عليه وسلم دُونَ غيرِهِ وهو من فضائلِ الأعمال؟

فاترُكوا عقيدَتَكم هذه وأنكِروا على أنفُسِكم ثم كلِّمونا بعد ذلك في الاستدلالِ بهذا الحديث.

وكيف تستدلون بحديث الجارية وقد رواه مسلم في "تحريمِ الكلامِ في الصلاة"؟ عجبًا والله، رمَتني بدائها وانسلّت.

والحجةُ قائمةٌ بحديثِ ابنِ عمرَ معشرَ المسلمين وكلامُهم هذا لا معنى له البتةَ، ومن الأمثلة الواضحة حديث: (مَن نسيَ وهو صائمٌ فأكل أو شربَ فليُتِمَّ صومَهُ فإنّما أطعَمَهُ اللهُ وسَقَاه) رواه الشيخان، فهذا الحديثُ كلُّه عن الصومِ وهو حجةٌ بالغةٌ في إثباتِ وجوبِ قضاءِ الصلواتِ على تاركِها عمدًا، وَرَدٌّ على الذين قالوا بعدمِ وجوبِ القضاءِ إذا تركها الشخصُ عَمْدًا أخذًا بظاهر الحديثِ: (مَن نام عَن صلاةٍ أو نسيَها فليصلِّها إذا ذَكَرها لا كفارةَ لها إلاّ ذلك) فقالوا أما مَن تركها عَمْدا فلا يصحُّ

منه القضاءُ والعياذ بالله أخذًا بظاهرِ الحديث، وهو استدلالٌ باطلٌ، وكنتُ كغَيري أقلِّدُ مَن سبقَني من أهلِ العلمِ بقولِهم إذا كان الناسي يجبُ عليه القضاءُ وهو معذورٌ فمن بابِ أَوْلَى أن يقضيَ العامدُ غيرُ المعذورِ، بالدليل العقلي كنا نردُّ إلى أن مَنَّ اللهُ عليَّ واستفدتُ هذا الدليلَ من السيّدِ الْعَلاَّمَةِ عبدِ اللهِ الهرريِّ أحدِ أذكياءِ العالِمِ في وقتِهِ وأعلَمِهم وهو حديثُ الصائمِ الناسي، والدليلُ فيه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (من نسيَ وهو صائمٌ فأكل أو شربَ فليُتِمَّ صومَهُ) ولا يعني هذا أن من أفطر عامدًا بغيرِ عذرٍ غيرَ ناسٍ أنّه يجوز له الأكلُ والشربُ، هذا باطل وهو حجةٌ مُلزِمةٌ لابن حزمٍ ومَن تبعَه وهو منقولٌ عن ابنِ تيميةَ والعياذُ بالله، وهم يقولون بوجوبِ الإمساكِ عن المفطراتِ إذا أفطر عمدًا ولا يجوز له أكلٌ أو أيُّ مفطِّرٍ كالجماع، هذه هي الحجة عليهم وهي من باب قياسِ الشيءِ بنظيرِهِ، فهل يقولُ المخالفون بأنه لا يصلُحُ دليلاً لأنه في باب الصوم؟ نسألُ اللهَ حُسنَ الفهم اللهم ءامين.

فائدةٌ: لا يُقالُ: الكلامُ هنا عن إتمامِ الصومِ، فالناسي

صائمٌ والمفطرُ بغير عذرٍ غيرُ صـــائمٍ، فكلاهمـــا مـــأمورٌ بالإمساكِ وجوبًا وكلاهما داخلٌ في فَحوى الخطابِ ولحنِ الخطاب، فافهم رعاك الله، ألا ترى أن المفطِرَ المتعدي يقعُ في الحرامِ كلَّما أكلَ بغيرِ عذرٍ، ولا يجوزُ له الجماعُ بعـــد الفطرِ الممنوعِ، ولا يُعتذَرُ له منها بأن قد أفطر من قبلُ فهو الآنَ مفطرٌ، إذ الواجبُ قولاً واحدًا هو تركُ الظلمِ وسببِه، وكذلك من قال لوالدَيهِ "أُفٍّ" يُنـــهَى ســـواءٌ الناســـي والذاكرُ، فهو في الحالين قبيحٌ، فاشتركا في النهي، وكذلك المفطِرانِ في وقتِ الصيامِ كلاهُما مأمورٌ بالإمساك عـــن الطعامِ سواءٌ الناسي والذاكر، فاشتركا في النـــهي عـــن تعاطي المفطِّرِ وقتَ الصيامِ أي اشتركا في وجوبِ الإمساكِ عن المفطِّراتِ وافترقا في المؤاخذةِ والـــصحةِ، والله تعـــالى أعلم.

فالعبرةُ بالدليلِ والعبرةُ بالتحقيقِ لا بالتنميق، ولمـــاذا ذكر ابنُ كثيرٍ حديثَ بلال بن الحارث المُزَني الـــصحيحَ عندما جاء قبرَه صلى الله عليه وسلم وقال: (يا رسول الله استسقِ لأمتك) في تاريخه وذكره ابنُ حجرٍ في فتح الباري

في فصلِ الاستسقاءِ؟ هل يُفهَم من هـذا حـصرُ فقـهِ الأحاديث؟ تاللهِ إنها ظاهريةٌ محضةٌ مذمومةٌ، والعجيبُ أنهم مع جمودِهم على الظاهر يفِرّون إلى مثلِ هذه التـأويلاتِ التي تَمُجُّها الأسماعُ، وعلى أصلِهم هذا يجـوز لقائـل أن يقول: لا يجوز الاستدلال بهذا الحديث إلا في تفسير غريب الحديث كما فعل الإمام إبراهيم الحربي.

والحُجّةُ عليهم برواية الأئمةِ مشايخِ الإسلامِ لحديثِ الضريرِ الذي فيه: (يا محمدُ إني أتوجّه بـكَ إلى ربِّـي في حاجتي لتُقضَى لي) فإنهم ذكروه في بابِ صـلاة الحاجـة **لِيَعملَ به الناسُ إلى يومِ القيامةِ** كما فعل الإمامُ ابنُ ماجه، وكذا الترمذيُّ في سُنَنِه في كتاب الأدعية، والنـسائيُّ في عمل اليومِ والليلة وغيرُهم كثير، وما ذكره هؤلاء الأئمـةُ أصحابُ الفهمِ إلا للعملِ به وقد استدلَّ به العلماءُ علـى جوازِ التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، **ولم يُنكِرْ عليهم أحدٌ من الأئمةِ سلفًا وخلفًا فكانت المسئلةُ إجماعًا** مستقرًّا، فهم يثبتونَ شذوذَهم ويكـشفُ حقيقـتَهم إذ يدَّعُون السلفيةَ قولاً دونَ عملٍ، وهذا الرد عليهم قـويٌّ

جدًا، فتمسَّك به حفظكَ الله فإنه كافٍ في كسرِهم بإذن الله.

ويكسرُ شوكتَهم قولُ الإمامِ المبرّدِ النحويِّ في كتابِ التَعازي والمَراثي، قال ما نصُّه:

وهذا حديثٌ نذكرُه **لِيَتبَعَهُ ذِكرُه عليه السلام، ويَعُوذَ بهِ عائذٌ**، ويَأتَمَّ به مُؤْتَمٌّ: حدثني الرياشي العباس بن الفرج قال: أخبرنا أحمد بن شبيب قال: أخبرنا أبي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المديني .... وذكرَ الحديثَ كلَّهُ مع قصةِ الرجلِ الذي كان يتردَّدُ إلى سيِّدِنا عثمانَ بنِ عفّانَ رضي الله عنه.

والمبرِّدُ – ويقال المبرَّدُ - قال عنه الذهبي في السيَر: كان إمامًا علاّمةً مُوَثّقًا تُوُفّيَ أولَ سنةِ 286 هجرية. انتهى، أي أنّه من أئمّةِ السلفِ الأكابر.

فهل هو مشركٌ عندكم، محالٌ أنْ يكونَ أكابرُ الأمةِ على ضلالٍ وأنتم بعد قرونٍ طويلةٍ جئتم لتخليصِ الأمةِ من شِركِها، فإن كان ولا بدَّ فأنتم المشركونَ لا الأمةُ، فواللهِ

مهما بلغَ علمُكم لن يبلغَ نصفَ عُشرِ علمِ أحـــدِهم ولا تقواهُ ولا صلاحِه ولن تكونوا أصلحَ وأخوَفَ على الدينِ منهم وأنتم لا تكادونَ تفقهونَ شيئًا من لسانِ العـــرب، فتأمّلوا كلامي جيِّدًا بصدقٍ وأمانةٍ بتجرُّدٍ عمّا زرعوه في قلوبكم من تكفير المسلمين جيلاً بعـــدَ جيـــلٍ إلا مَـــن وافقكم.

وإيرادٌ ءاخرُ وهو أن كلمة "يا محمد" صلى الله عليه وسلم، لم ترد فقط في هذا الكتابِ في باب الأدب، بل لها أخَواتٌ ثابتاتٌ حِسانٌ، فذاك كانت له حاجةٌ عند الخليفة عثمان رضي الله عنهم فقال "يا محمد" وهذا خدرت رجلُه فقال "يا محمد"، فليستِ العبارةُ خاصّةً بالآدابِ بل هـــي واردةٌ في كل الحاجاتِ، كما في الروايـــةِ الـــصحيحةِ في توسلِ الأعمى في تاريخ ابن أبي خيثمةَ: **(وإن كانتْ لك حاجةٌ فافعلْ مثلَ ذلك)** فالمسئلةُ لا تزالُ أوضـــحَ مـــن تمويهاتِكم، والله تعالى أعلم.

ولو قلنا بأنّا سلَّمْنا أنَّه مجرَّدُ ذكرٍ وهو خطورُ المحبوبِ بالبالِ (أي على القلبِ) مع ذِكرِهِ باللسانِ وهو النبيُّ محمدٌ

صلى الله عليه وسلم، فإنّكم عندئذٍ تُقِرُّونَ بمذهبِ الصوفيةِ ووَجدِهم وتنقُضُون عقيدتَكم، فإنَّ الصوفيَّ عندما يـــصيبُه هذا الوجدُ إنما هو لأجلِ خطورِ المحبوبِ بالبالِ وذِكـــرِهِ باللسانِ وما هذا الوجدُ إلا لقوَّةِ الوارِدِ الذي يفوقُ تحمُّلَ القلبِ فيحصُلُ منه الوجدُ فيصيحُ أو يُغْشَى عليهِ وبعضُهم يموتُ وقد حصل كثيرًا من زمنِ السلَفِ إلى ما بعدَه.

أَمُوتُ إِذا ذَكَـــرتُكَ ثُمَّ أَحْيَا
ولولا ماءُ وَصْلِكَ ما حَيِيتُ
فأَحْيا بالْمُنَـــى وأمـــوتُ شَـــوقًا
وكَمْ أَحْيَا عليكَ وكمْ أموتُ
شَرِبْتُ الحبَّ كأسًـــا بَعدَ كأسٍ
فما نفِدَ الشرابُ وما رُوِيتُ

فإن قيلَ إنّه يذكرُه باللسانِ فقط، قلنا هذا ممنـــوعٌ إذ لا يذكرُ بلسانِه إلا وقد خطرَ له اسمُ من يُحبُّ وخطورُه إنما يكونُ في القلبِ، فقد صحَّت صورةُ المحبـــوبِ وارِدًا قلبيًّا فأجراها على لسانِه، فتنبَّه.

ومعروفٌ أنَّ اللسانَ دليلٌ على ما في القلبِ، إلا مَن كان مُكرَهًا أو مخطئا، قال الشاعرُ:

إن الكلامَ لَفِي الفؤادِ وإنَّما

جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دَلِيلا

وقال ءاخرُ:

لسانُ الفتى عن عقلِهِ تَرجُمانُهُ

متى زل عــقل المرءِ زلَّ لسانُهُ

فلا مفرَّ للمخالفينَ مِن هذه، فإمّا نُـصرتُهم لأهـلِ الوجدِ من الصوفيةِ والتماسُ العذرِ الصحيحِ لهم في الغيابِ عن الشهود، بأُنسِ المنهلِ المَورُود، بما تكرَّمَ بـه خـالقُ الوجود، أو تصريحُهم بأنَّها استغاثةٌ ونداءٌ صريح.

هذا ولو قُلنا بأنّا سلّمنا أنها من الآدابِ وعادةٌ عربيةٌ قديمةٌ أقرَّها الشرعُ - إذ لا مخالفةَ فيها للعقيـدةِ - فـلا يختصُّ حينئذٍ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم، فإن شاءَ المـرءُ ذَكرَ مَن أحَبَّ لا الأحبَّ مطلقًا، فمَن خدِرَت رجلُـه أو

يدُه على هذا له أن يقولَ: **يـــا عائشة رضي الله عنها أو يـــا سيِّدَتي فاطمة ، يـــا عليُّ، يـــا حـــسين، يـــــا حسن عليهم السلام أجمعين ونفعنا ببركاتِهم وسقانا من فُيوضِ كراماتِهم ءامين.**

فقد أوقع الوهابيةُ أنفسَهم في ورطةٍ فإمّا أن يُقِـــرُّوا بأنها استغاثةٌ فيجيزوها وإمّا أن يعتبروها مـــن الآدابِ وأنّ المصابَ بخَدَرِ رجلِهِ يذكُرُ اسمَ محبوبِه فيزولُ عنه الخـــدَرُ، ويكونُ هذا دليلاً عليهم فإنّ ذكرَ الصوفيةِ من هذا القبيلِ وكلٌّ واحدٍ على حسبِ استحضارِهِ للمحبوب، يُـــصيبُه الوجدُ المكتوب.

ونسألُهم: ذكرُ الحبيبِ هل هو خاصٌّ بـــالرجلين أم برجلٍ واحدةٍ كما هو ظاهرُ الروايةِ؟

ولا نظنُّ عاقلاً يقولُ بهذا، واعلمْ رحمك اللهُ أنّهـــم ذكروا هذا في بابِ خدَرِ الرجلِ مـــن حيـــثُ ورودُه في الواقعةِ، والمرادُ التمثيلُ أي ضربُ مثالٍ، فإذا أحسَّ شخصٌ بخَدَرٍ في يدِهِ أو أذىً فله أن يقولَ "يـــا محمـــد" ولـــيس هؤلاءِ مَن يحدِّدُ لك دائرةَ الجوازِ وهيهات.

فإنْ جاهرُوا بسخافةِ عقولِهم وقالوا نحن نأخذُ بظاهرِ الحديث وقد وردَ في الرجلِ، قلنا خذوا بظاهر الأحاديثِ التي فيها الأذانُ على المنائرِ ولا تؤذّنوا اليومَ من داخل المسجدِ بواسطةِ مكبّراتِ الصوتِ، أليست هذه بدعةً وأنتم تزعمونَ محاربةَ البدع، وفعلتُم بالمسلمين الأفاعيلَ بهذه الحجة الباطلةِ، فلماذا ترتكبونَها.

وإنْ أردتُم الأخذَ بظاهرِ الحديثِ بظاهريةٍ سخيفةٍ فخذوا أيضًا بظاهرِ حديثِ (لا تُشَدُّ الرِحالُ إلاّ إلى ثلاثةِ مساجدَ المسجدِ الحرامِ والمسجدِ الأقصى ومسجِدي هذا).

فعلى ظاهرِه حرامٌ عليكم أن تسافروا لصلةِ أرحامِكم وللتجارةِ لأنّ النهيَ عن شدِّ الرحالِ بظاهرِ اللفظِ ممنوعٌ إلاّ إلى هذه المساجدِ الثلاثةِ، أم هي ليست كذلك عند أصحاب ظاهريّةِ التشَهّي.

(أتأْمُرُونَ النَّاسَ بالْبِرِّ وتَنْسَوْنَ أنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ)

فبِئسَتِ السلفيَّةُ المكذوبةُ وبئستِ الظاهريّةُ الممزوجةُ

بالتشهّي، تؤدّي إلى ضربِ الأدلةِ ببعضِها، فكُفُّوا إذَن عن حديثِ: (مَن زار قبري وجبَتْ له شفاعتي) فهذا الحديثُ الثابتُ - وإن كان عندكم ضعيفًا- فقد ذكره الأئمةُ الأكابرُ في فضائلِ الأعمالِ والآدابِ، وهذا كذاك، واترُكوا تكفيرَ المسلمينَ الذينَ شدُّوا الرحالَ إلى قبرِه صلى الله عليه وسلّم فإنّه من الآداب.

وقد قال أبو بكرٍ بنُ العربيِّ في قصيدتِه المشهورةِ عن مثلِ هذه الظاهريةِ الممقوتةِ وإن كنتُ لا أستسيغُ هذا اللفظ إنما هو للبَيان:

قالوا الظواهرُ أصلٌ لا يجوزُ لنا
عنها العُدُولُ إلى رأيٍ ولا نَظَرِ
قلتُ اخسَئُوا فمَقامُ الدينِ ليس لكم
ما لِلأنامِ ومعلوفٍ من البَقَرِ

يُقالُ لأهلِ هذه الظاهريّةِ، لا يَزُرْ أحدٌ منكم أهلَهُ كلَّ يومٍ وأنتم على ظاهريَّتِكم هذه، لأنّ الحديثَ الواردَ في الزيارةِ ظاهرُه على خلافِ هذا وهو: (زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا)

رواه الطبرانيّ، فهذا ظاهرُه أمرٌ منه صلى الله عليه وسلم، والأمرُ بالشيءِ نهيٌ عن ضِدِّه، هذا أوّلُ ما يتبادرُ من اللفظِ وهو ما يُسَمَّى ظاهرَ اللفظِ، أما عندَ أهلِ الفهمِ من أهلِ السنةِ والجماعةِ فليس هذا الأمرُ للوجوبِ إنما هو إرشادٌ، وما كلُّ أمرٍ للوجوبِ مطلقًا، فالعبرةُ بفِقهِ الحديثِ ودِرايتِه، وكذا حديثُ خدَرِ الرجلِ العبرةُ فيه فقهُه لا ظاهرُه المحض، فلو خدِرَت رُكبَةُ ابنِ عمرَ، لقيل مَن خدِرَت ركبتُه، إنما هو مثالٌ أو تمثيلٌ كما مرَّ.

والمرادُ من التمثيلِ مثلُ تعليلِ المالكيةِ عدمَ الأخذِ بظاهرِ حديثِ: (إذا بلَغَ الماءُ قُلَّتَينِ م يحمِلِ الخَبَثَ) فإنهم قالوا: هذا تمثيلٌ وليس المرادُ القلَّتَين تحديدًا، إنما لفظةُ (قلتين) ذُكِرَت من بابِ ضربِ المثالِ على كثرةِ الماءِ الذي لا يتغيَّرُ فورًا أو يتنجَّسُ بحلولِ النجاسةِ فيه، كذا أفادَه مشايخُنا المغاربةُ.

والأدلةُ في مثلِ هذا كثيرةٌ، ويكفي في إبطالِ التخصيصِ بقولِ البخاري في الأدبِ المفرَدِ: (بابُ ما يقولُ

إذا غَضِبَ) وذكرَ حديثًا فيه الاستعاذةُ (أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم).

هذا هو التمثيل وليس حصرًا لا بمنطوقِهِ ولا بمفهومِه وحاشى شرعَنا أن يكونَ بهذا الجمودِ الممقوتِ، وفقهُ الأدلّةِ ودرايتُها أسمى وأعلى من عقولِهم، والنسبةُ بينهما التبايُنُ الخالصُ المطْلَق.

لكن – والحقُّ يقالُ – أعجبني قولُهم بأنّ هذا من الآدابِ، فقد كُفِينا مؤنةَ المناظرةِ في الذكرِ اللسانيِّ والقلبيِّ مع الرابطةِ، فعجبًا واللهِ لهم كيفَ ينصُرونَ التصوُّفَ من حيثُ لا يعلمون، وقد وردَ في حديثٍ ضعيفٍ صحيحِ المعنى: (إنّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هذا الدينَ بالرَجُلِ الفاجر) وما نحن فيه أوضحُ شاهدٍ على صحةِ المعنى، ويَردُّ عليهم أنّ القاضيَ عياضًا ذكرَه في الشفا في (باب ما رُوِي عن السلفِ من محبَّتِهم له وشوقِهم إليه صلى الله عليه وسلم) وكذا محمدُ بنُ يوسفَ الصالحيُّ في سبل الهدى والرَشاد، والله تعالى أعلم وأحكم.

شبهةٌ أخرى:

قالوا يسألون وينكرون: ومَن فهم مِن نداءِ النبي صلى الله عليه وسلم بعدَ وفاتِه الاستغاثة وطلبَ المدد، الصحابة ما فعلوا هذا وتحدَّونا بذلك، فهاك يا رعاكَ اللهُ بعضًا:

سوفَ ترى إذا انْجَلَى الغبارُ
أفــرَسٌ تحتَــكَ أم حمارُ

الجواب: هذا الحديثُ فقد سبقَنا إليهِ خَلْقٌ ومنهم:

- الشيخُ داودُ بنُ سليمانَ الخالديُّ البغداديُّ المعروف بابنِ جرجيس، ذكره صاحبُهم الألوسي في كتابِه (فــتح المنان) عنه ونصه: منها ما ذكره ابن تيميــة في (الكلــم الطيب) وابن القيم في (الوابل الصيب) عن ابن عمر وابن عباس – رضي الله عنهم – أن الإنسان إذا خدرت رجله، فلينادِ: يا محمد. فإن الخدرَ يذهبُ عنه.انتــهى، والــشيخ داود بن سليمان له كتاب "المنحة الوهبية في الــرد علــى الوهابية".

- في رسائلِ وفتاوى أبا بطين أحدِ شــيوخِكم

جاء ما نصُّه: وأما الأثر الذي فيه: أن من خـــدرت رجله فليذكر أحب الناس إليه، فهذا الأثر مروي عن ابن عمر "أو" ابنِ عباسٍ ... إلخ

فلو لم يكن هناك مَن احتجَّ به لما ذكرَه للردِّ عليه بحسبِ ما رءاه على قلةِ علمِه وسوءِ فهمِه ونيَّتِه، فقد خان الأمانةَ وحذف "يا" من الحديث وجعله عن ابن عمر "أو" ابنِ عبّاس، وجعل اللفظين واحدًا، وهـــذا غشٌّ وخيانةٌ فلتفرحوا بأمثالِه، واللهُ يُغنينا عن أمثالِه.

- الشيخ محمد عبد الحكيم شرف في كتابه: (من عقائد أهل السنة) وهو كتاب قديم ذكرَهُ في الصحيفة 154 في فصل التوسل به صلى الله عليه وسلم.

فاتّهامُهم مشايخَنا رضي الله عنهم بأنهم ابتدعوا هـــذا الفهم من الحديث قد ظهر أنه اتهامٌ باطلٌ وقـــد شـــددوا النكيرَ على العلاَّمةِ السيِّدِ الهرريِّ وكان رضـــي الله عنـــه أثبتَ الناسِ قدمًا في الشرعِ وأشدَّهم تحقيقًا وتـــدقيقًا ولله الحمد.

أما قولُهم عمومًا بأن الصحابةَ فمن دونَهم ما فعلوه وما نادَوه فأقول:

بل فعلوا وثبت عنهم ونادَوه حاضرًا وغائبًا حيًّا وميْتًا، صحابةٌ وغيرُهم كما سيأتي.

الصحابيُّ عثمانُ بنُ حُنَيفٍ عندما علّم الرجلَ الدعاءَ علّمه أن يقول: يـــــــا محمد. عليه الصلاةُ والسلامُ

لو كان حرامًا أو لا يفعله الصحابةُ كان عثمانُ بـــنُ حُنَيف علَّمَه الناسَ؟ وهل نهاه عن تعلــيمِ غــيرِه وقـــال للسائلِ: هذا خاصٌّ بك؟

وهذه الزيادة التي يَفترون على الدين بتضعيفِها هـــي التي قال عنها إمامُ الجرحِ والتعديلِ ابنُ أبي حـــاتمٍ: (هـــي أصح من رواية شعبة) أي الروايةِ المختصرة التي يتمسكون بها، والإمام الطبراني رجحها والإمام الحـــاكم صـــححها ورجحها أيضا.

وعبارةُ ابنِ أبي حاتم: (حكَم أبو زُرْعةَ لشُعبةَ، وذلك لم يكن عندَه أن أحدًا تابع هشامًا الدَستَوائي، ووجـــدتُ

عندي عن يونسَ بنِ عبدِ الأعلى عن يزيدَ بنِ وهبٍ عن أبي سعيدٍ التَمِيمي يعني شَبِيبَ بنَ سعيدٍ عن رَوْحِ بنِ القاسم عن أبي جعفرٍ عن أبي أُمامةَ بنِ سهلِ بنِ حُنَيفٍ عن عمِّهِ عثمانَ بنِ حُنَيفٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم مثلَ حديثِ هشامٍ الدَسْتَوائيِّ **وأشبعَ مَتنًا ورَوحُ بنُ القاسمِ ثقةٌ يُجْمَعُ حديثُه، فاتفاقُ الدَستَوائيِّ وروحِ بنِ القاسمِ يدلُّ على أنَّ روايتَهُما أصحُّ)**.انتهى

قلتُ: لله درُّ ابنِ أبي حاتمٍ ويا له من دليلٍ مُلجِمٍ للمتظاهرين بالتمسكِ بنهجِ السلفِ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**قَالَ إِبرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**﴾ فماذا بعدُ لهؤلاء.

فائدةٌ: يقال الدَستُوائي والدَستَوائي بضم التاء وفتحها نسبةً إلى دَستَوا بالقصر وحُكِيَ المدُّ أيضًا دستَواء، وعن سِيبَوَيهِ: دستواني بالنون كصَنعاني.

وكذلك ناداه بنو ربيعةَ (**من بني بَكرِ بنِ وائلٍ من**

العدنانية) ومَن معهم يوم ذي قارٍ عندما هزموا الفـــرسَ، فقد روى الطبراني وغيرُه في المعجم الكبير وفيه: فلما التقَوا يومَ ذي قارٍ هم والفرسُ، قال شيخُهم: ما اسمُ الرجـــلِ الذي دعاكم إلى الله؟ قالوا: محمد، **قالوا: هو شعارُكم فنُصِروا على القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بي نُصِروا)**.

قال الحافظُ الهيثميُّ في مجمعِ الزوائدِ: رواه الطـــبرانيُ ورجالُه ثقاتٌ رجالُ الصحيحِ غيرُ خلادِ بنُ عيسى وهـــو ثقةٌ. وأقرّهُ الحافظُ المعروفُ برهانُ الدينِ البقاعيُّ.

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية:

جعلوا شعارهم اسمَ محمدٍ صلى الله عليـــه وســـلم فنصروا على فارسَ بذلك، وقد دخلـــوا بعـــد ذلـــك في الاسلام.

فكانوا يقولون "يا محمد" يستغيثون به صلى الله عليه وسلم، بل قال الحافظ البقاعي في تفسيره نظمِ الدُرر: فهم إلى الآن إذا حاربوا نادَوا بشعار النبي صلى الله عليه وسلم

ودعوتِه وقال قائلهم : (**يارسول الله، دعْوَتَك، فإذا دَعَوا بذلك نُصِروا**).انتهى

وفي تاريخ اليعقوبي:

وحاربت ربيعةُ كِسْرَى وكانت وقعتُهم بذي قارٍ، فقالوا: عليكم بشعار التِهاميِّ، فنادَوا: (**يا محمد، يا محمد**) فهزموا جيوشَ كسرى وقتلوهم. فقال رسول الله: اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نُصروا.انتهى

قلت: وهذه معجزةٌ من معجزاتِهِ صلى الله عليه وسلم من علاماتِ نُبُوَّتِهِ قال ابن كثير في تاريخه: **كتبناه لما فيه من دلائل النبوة**.انتهى وكذا قال غيرُه وقد أشارَ إليها الإمام أحمد في كتابِ فضائلِ الصحابةِ، **فهل سيسعَى المخالفون إلى إبطالِ هذه المعجزةِ**؟ اللهم سَلِّم.

والمراد من هذا بيانُ أن بَنِي ربيعةَ عندما قالوا "يا محمد" أرادوا النداءَ والاستغاثةَ، وجعلوه شعارَهم بالنداءِ بالصوتِ وليس كما قد يتوهم البعض أنهم يكتبونه ويحملونه فهذا لم يكن معروفا عندهم ولا من عادتهم، ولو فعلوها لكانت أيضًا استغاثةً.

وهذا عيسى بنُ مريمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سيأتي يومًا إلى قبره الشريفِ ويقول: (يـــــــا محمد) ولَيُجيبنّه عليه الصلاةُ والسلام، كما روى أبو يَعلـــى في مُسنَدِه قال: حدثنا أحمد بن عيسى عن ابن وهب عن أبي صخر أن سعيدا المقبري أخبره أنه سمع أبا هريـــرة يقـــول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: والذي نفسُ أبي القاسمِ بيدهِ لَيَنْزِلَنَّ عيسى بنُ مـــريمَ إمامًـــا مُقـــسطًا وحَكَمًا عَدْلاً فَلَيَكسِرَنَّ الـــصليبَ ولَيَقــتُلَنَّ الخِنـــــزيرَ ولَيُصْلِحَنَّ ذاتَ البَينِ ولَيُذْهِبَنَّ الشَحْناءَ ولَيُعْرَضَنَّ عليهِ المالُ فلا يقبَلُهُ **ثم لَئِنْ قام على قبري فقـــال: (يـــــا محمـــدُ) لأُجيبَنَّهُ**.

قال الحافظ الهيثمي: هو في الصحيح باختصار، رواه أبو يعلى ورجالُه رجالُ الصحيح.انتهى

قلتُ وهو كما قال:

أحمدُ بنُ عيسى من رجال البخاري معروف بالرواية عن ابن وهب.

وابنُ وهبٍ الإمامُ الحافظُ الثقة

وأبو صخرٍ هو حُمَيدُ بنُ زِيادٍ ثقة من رجال مسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم

وسعيدٌ المَقبُري تابعي جليل وهو فوق الثقة من رجال البخاري ومسلم روى عن أبي هريرة وغيره.

فالحديث هذا صحيحٌ متصلُ الإسنادِ بروايةِ الثقاتِ وهو دليلٌ ساطعٌ على ندائه صلى الله عليه وسلم في قبره، والمنادي نبي رسول فما يقولون في هذا، تبارك الله.

وبعدَ هذا الإقرارِ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم للمستغيثين والمستعينين به في غَيبتِهِ ينكرُ أحدُ رءوسِهم ويقولُ "أيُعقل هذا؟ الصحابة اقتتلوا و لم ينادوه" فما هذا الكذب؟ وهو لا ينكرُ إلا على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلمَ صاحبِ الشريعةِ، وهذا واللهِ هو الخِزْيُ بعينِه نسأل الله السلامةَ واللطفَ ءامين.

بل تجرأ هذا المُتَعدِّي وقال هداه الله: (هو كان حيًا و لم يستغيثوا به) صلى الله عليه وسلم.

والجواب: أن هذا كذب منه فقد روى مسلم أن أبا مسعودٍ كان يضرب غلامه فجعل يقول أعوذ بالله، قال، فجعل يضربه **فقال أعوذ برسول الله.** فتركه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (واللهِ لَلَّهُ أقدرُ عليكَ منكَ عليهِ). قال: فأعتَقَه.

وهذه الاستعاذةُ عينُ الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم فلماذا الكذب يا دمشقية؟ وهذا دليل واحد فقط على الاستغاثة به في حياته صلى الله عليه وسلم وهي كثيرة.

وقد فهم العلماء من ندائه بعدَ وفاته الاستغاثةَ وسأذكر طرفًا منها **مع غَضِّ النظرِ عن صحةِ المَرويِّ أو ضعفِه** إنما المراد "إثبات فهم العلماء للاستغاثة"، فمنها:

- قال ابن كثير في البداية والنهاية: وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم، وسار لجبال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله، ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا البراز، وقال: أنا ابن الوليد العود أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين - **وكان شعارُهم يومئذ يا محمداه** - وجعل لا يبرز لهم أحد إلا قتله.انتهى

فهل أراد ابنُ كثيرٍ مدحَ سيفِ اللهِ المسلولِ أم رميَـــه بالشِرك؟

وقال ابن كثير عند ذكر مقتل الحسين عليه السلام:

وأما بقية أهله ونسائه فإن عمر بن سعد وكل بهم من يحرسهم ويكلؤهم، ثم أركبوهم على الرواحل في الهوادج، فلما مروا بمكان المعركة ورأوا الحسين وأصحابه مطرحين هنالك بكته النساء، وصرخن، وندبت زينـــب أخاهـــا الحسين وأهلها، فقالت وهي تبكي: **يا محمداه، يا محمداه**، صلى عليك الله، وملَكُ السماء، هذا حسين بالعراء، مزّمِّل بالدماء، مقطّعُ الاعضاء، يا محمـــداه، وبناتـــك ســـبايا، وذُرّيتُك مُقتَّلة، تَسْفِي عليها الصَبا. قال فأبكت والله كلَّ عدو وصديق.انتهى.

فما مفهومُ هذا؟ هل هو نِسبةُ الشركِ إلى هذه السيِّدةِ الطاهرةِ أحدِ منابعِ البركاتِ ومعادنِ الأنوار والعياذ بالله؟

وقال الإمام الطبري وابن الأثير في تاريخَيهما عند ذكر غزو التُرك في عهد بني أمية:

فلما أتى – أي الأميرُ– أمر أصحابه بالصبر وحـــثهم عليه وقال: ليكن شعاركم يا محمد.انتهى

وذكر ابنُ عبد البر عن النابغة الجعدي وهو صـــحابي أنه قال:

فيا قبرَ النبـــيِّ وصاحبَيهِ ۞ ألا يا غَوثَنا لو تسمعونا

وروى البيهقي في شعب الإيمان: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو محمد بن زياد نا محمد بـــن إســـحاق الثقفي قال: سمعت أبا إسحاق القرشي يقول: كان عندنا رجل بالمدينة إذا رأى منكرًا لا يمكنه أن يغيره أتى القـــبر فقال:

(أيا قبرَ النبيِّ و صاحبَيهِ ۞ ألا يا غوثَنا لو تعلمونا)

فهل كل هذا مجرد ذكر ولا اســـتغاثة فيـــه؟ وهـــذا منسوب أيضا في كتاب "الدرر السنية في الكتب النجدية" لمشايخِهم عن النابغة بلفظ:

أيا قبر النبي وصاحبيهِ ۞ وامصيبتَنا لو تعلمونا

فسبحانك يا مقسِّمَ العقول ومثبّتَ القلوب، وهناك الكثير غير هذه الأدلة.

وفي رسائلِ ابن حزمٍ ما نصُّه: مَن أراد أن يتسمَّى بالخلافةِ مِن هؤلاء ثم منعَه مانعٌ:

فناخسرو بن الحسن متولّي الأمورِ ببغدادَ وأعمالِها.

أخبرني أبو الفتوحِ ثابتُ بنُ محمدٍ الجرجانيُّ قال: أراد فناخسرو أن يتسمَّى بالخلافة وأوصى إلى الحسين بن علي البصري أن يؤلف له كتاباً في تَخْوِلة هذا الأمر في غير قريش واستكدّه ذلك جدًا، فألّف له هذا الكتابَ ودفع نسخة منه إلى تلميذ له كان يثق به، فانتشر الأمر من قِبَلِ ذلك التلميذِ إلى أن بلغَ الخبرُ إلى خُراسانَ، فصاحوا صيحة واحدة في مجالس الفقهاء **واإسلاماه وامحمداه**.انتهى كلامُه.

ولا يقولُ عاقلٌ أنهم كانوا يتفجَّعونَ على النبي، وهذه استغاثةٌ واضحةٌ منسوبةٌ إلى فقهاءَ، على قولِ المخالفين هم كفارٌ والعياذ بالله.

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام في ذكر سيّدِنا محمدِ بنِ المنكدر:

وقال مصعب بن عبد الله: ثنا إسماعيل بن يعقوب التيمي قال: كان محمد بن المنكدر يجلس مع أصحابه وكان يصيبه صُماتٌ فكان يقوم كما هو حتى يضع خده على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجع، فعوتب في ذلك فقال: إنه تصيبني خطرة فاذا وجدت ذلك **استغثتُ بقبرِ النبيِّ** صلى الله عليه وسلم. وكان يأتي موضعًا من المسجد يتمرغ فيه ويضطجع فقيل له في ذلك فقال: إني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع. إسماعيل: فيه لِينٌ.انتهى

وذكرها في سِيَر أعلامِ النبلاءِ بلفظ "استعنت" بدل استغثت والمعنى واحد.

قلت: وثّقه ابنُ حبان في ثقاته واللِّيْن هو الضعفُ الخفيفُ ومنهم من يُحسّن حديثَ اللِّين.

ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق وأبقاه ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق.

فهؤلاء إنما ذَكروا هذا من باب المدح لا من باب نسبة الشرك إليه حاشاه وهو من أكابر السلف رضي الله عنه.

وذكر الحافظ ابن الجوزي في المنتظم في الجزء الثامن عند ذكر هارون الرشيد رضي الله عنه قصةَ الفرسانِ الثلاثةِ الذين أُسروا وعَرض عليهم ملكُ الرومِ النصرانيةَ أو أنْ يُلقَى بهم في قِدر الزيت المغلي فأَبَوا وصاحوا (**يا محمداه**) فقال ملكُ الروم: ماذا يقولون؟ **قالوا: يَدْعُون نبيَّهم** .... القصةَ، وقال بأنها **قصة مشهورة في الزمن الأول في بلاد الشام**.

فهل ذكرَها الإمام ابنُ الجوزيِّ مستحسنًا لهذه الاستغاثة الصريحة أم حاثًّا مقِرًّا على الشرك؟ وشهرةُ الإمامِ ابنِ الجوزيِّ بإنكارِ المنكَراتِ أكبرُ من أن تُذكرَ، فسبحان الله العظيم غابَ عن أئمةِ الإسلامِ الجهابذةِ الأولياءِ الأتقياءِ واخترعَه المخالفون، فأي عقلٍ سليمٍ يقبل هذا.

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: قال مشرف بن مرجا القدسي أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن الحسن قال:

حدثني الشيخ الصالح أبو القاسم الواسطي قـــال: كنـــت مجاورًا ببيت المقدس، فأمروا – أي العَبيـــدِيون – في أول رمضان بقطع التراويح، صحت أنا وعبـــد الله الخـــادم: **واإسلاماه وامحمداه**، فأخذَني الأعوانُ وحُبستُ، ثم جـــاء الكتاب مِن مصرَ **بقطعِ لساني فقُطِع، فبَعدَ أسبوعٍ رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم تفَلَ في فمي، فانتبهتُ بِبَـــردِ ريقِ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم وقد زال عني الألمُ**، فتوضأتُ وصليتُ وعمِدْتُ إلى المِئْذَنةِ فأذَّنتُ: الصلاةُ خيرٌ مِن النوم، فأخذوني وحُبستُ وقُيِّـــدتُ، وكتبـــوا فيَّ إلى مصرَ، فورد الكتابُ بقطعِ لساني، وبـــضربي خمـــسَمِائةِ سَوْطٍ، وبِصَلْبي، فَفُعِلَ بِي، فرأيتُ لساني على، فبَعد ثلاثةِ أيامٍ عهدي بالحَدَّائينَ يقولونَ: نُعَرِّفُ الوالي أن هذا قـــد مات، فَأَتَوه، وكان الوالي جيشَ بنَ الصَمْـــصامةِ فقـــال: أنزِلُوه، فألْقَونِي على بابِ داودَ، فقومٌ يترحَّمُـــون علـــيَّ وءاخرون يلعنونَنِي، فلمّا كان بعدَ العشاءِ جـــاءَنِي أربعـــةٌ فحملوني على نعشٍ ومَضَوا بي لِيُغَسِّلُوني في دارٍ فوجدوني حيًّا، فكانوا يُصلِحُون لي جُرَيرَةً بِلَوزٍ وسُكَّرٍ أســـبوعًا. ثم

رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في المنامِ ومعه أصحابُه العشَرَةُ فقال: يا أبا بكرٍ تَرَى ما قد جرى على صاحِبِكَ قال: يا رسولَ اللهِ فما أصنَعُ بهِ، قالَ: اتْفُلْ في فِيهِ، فتَفَلَ فِيْ فِيَّ، ومسحَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم صدري، فزالَ عنّي الألمُ، وانتبهتُ ببردِ ريقِ أبي بكرٍ، فناديت، فقام إليَّ رجلٌ، فأخبرتُه، وأَسْخَنَ لي ماءً، فتوضأتُ به، وجاءني بثيابٍ ونفَقَةٍ وقال: هذا فتوحٌ، فقمتُ، فقال: أينَ تَمُرُّ؟ اللهَ اللهَ، فجئتُ المئذنةَ وأذَّنْتُ الصبحَ: الصلاةُ خيرٌ مِنَ النَومِ، ثم قلتُ قصيدةً في الصحابةِ، فأُخِذتُ إلى الوالي فقال: يا هذا اذْهَبْ ولا تُقِم ببلدي، فإني أخافُ مِن أصحابِ الأخبارِ وأدخل فيك جهنَّمَ، فخرجتُ وأتيتُ عُمَانَ ... إلخ

وهذا فيه معجزةٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم بعدَ تركِهِ الحياةَ الدُنيا، وكذا كرامةٌ لأبي بكرٍ الصدِّيقِ رضي الله عنه بعدَ موتِه.

وروى ابنُ بَشْكُوال بإسنادٍ صحيحٍ في كتاب الصلة قال: أخبرنا القاضي الشهيد أبو عبد الله محمد بن أحمد

رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع قال: قرأت على أبي علـــي حسين بن محمد الغساني قال: أخبرني أبو الحسن طاهر بن مُفَوّز المَعَافِري قال: أنا أبو الفتحِ وأبو الليثِ نـــصرُ بـــن الحسن التُنْكَتِي المقيم بسمرقند قدم عليهم بَلَنسِيَةَ عام أربعةٍ وستين وأربعِمائة، قال: فحط المطر عنـــدنا بـــسمرقند في بعض الأعوام قال: فاستسقى الناس مرارًا فلم يُسقَوا، قال: فأتى رجل من الصالحين معروف بالصلاح مشهور به إلى قاضي سمرقند فقال له: إني قد رأيت رأيًا أعرضه عليـــك. قال: وما هو؟ قال: **أرى أن تخرجَ ويخرجَ الناسُ معكَ إلى قبرِ الإمامِ محمدِ بنِ إسماعيلَ البخاريِّ** رحمـــه اللهُ وقـــبرُه بخَرْتَنْكَ وتَستسقُوا عنده فعسى اللهُ أن يَسقِيَنا قال: فقـــال القاضي نِعْمَ ما رأيتَ، فخرج القاضي وخرج الناس معـــه واستسقى القاضي بالناس، **وبكى النـــاس عنـــد القـــبر وتشفعوا بصاحبه**، فأرسل اللهُ السماءَ بماءٍ عظيم غزيرٍ أقام الناسُ من أجله بخَرْتَنْك سبعة أيام أو نحوها لا يستطيع أحد الوصول إلى سَمَرْقَنْد من كَثرَةِ المطـــرِ وغزارتِـــه، وبـــين خَرْتَنْكَ وسمرقندَ ثلاثةُ أميالٍ أو نحوُها.انتهى بحروفه

قلت: إذا كان هذا في قبرِ البخاريِّ فما بالُك بقبر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أعظمِ بَرَكاتِ ربِّ العالمين، ومثل هذا متواترٌ بين الأمةِ سلَفًا وخلفًا ومَن شذَّ شذَّ في النار.

أما أبو عليٍّ الغسانيُّ فهو الحافظ الجَيّاني المشهور، وأبو الليث وأبو الفتح واحد وهو الإمام نصر وله كُنيَتان. والقصة رواها الذهبي في سير أعلام النبلاء والإمام السبكي في طبقاته لكن عن الحافظ الغسانيِّ أخبرنا أبو نصر ... القصة، وهو من رواية الأقران، قال ابن بشكوال: محمد بن حيدرة بن أحمد بن مفوز المعافري: من أهل شاطِبةَ يكنى أبا بكر، روى عن عمه أبي الحسن طاهر بن مفوّز، وأبي علي حسين بن محمد الغساني وأكثر عنهما.انتهى، وقد أخذا وأكثرا عن الحافظ ابن دِلهاث، وقال الذهبي في السِيَر في ترجمة ابن عبد البر: **روى عنه أبو الحسن بن مفوّز والحافظ أبو علي الغساني** وروى أبو الفتح نفسُه عن أبي الحسنِ طاهرِ بن مفوّز، والله تبارك وتعالى أعلم.

فماذا يقول المخالفون عن كلِّ المسلمين في هذه

القصةِ عالِمِهم ومقلِّدِهم وراويها ومستحسنِها وناسـخِها وناقلِها والساكتِ عنها بغيرِ عـذرٍ؟ هـل هـم كفـارٌ والمخالفونَ وحدَهم المسلمون، بل واللهِ دينُهم هو الجديدُ المبتَدَعُ المختَرَعُ مِن وساوسِ ابنِ تيميةَ والثُلّةِ التي شـذّت فأخذت بكلامه. (مَن سنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سـيِّئةً فعليـهِ وِزْرُها ووِزْرُ مَن عمِلَ بها مِن بَعدِهِ مِن غيرِ أن يَنقُصَ مِن أوزارِهم شيءٌ) رواه مسلم

وبقي الكلام على مسئلةِ استدلالِهم بأقوالِ الأطبـاءِ وتعليلِهم لذهابِ الخَدَر، محاولين ردَّها إلى تأثيراتٍ نفسيةٍ، فأقول: لا عبرةَ بالتعليلاتِ الطبيةِ في الشرع حَكَمًا علـى الأحكامِ، وكم علّةٍ أعيتِ الأطباءَ وفسَّروها على ما يرَونه، وتكونُ من بابِ العينِ شديدةِ الأذى ولا عـلاجَ لهـا إلا بالرقيةِ الشرعية.

هذا وقد نازَعَ النوويُّ مسئلةَ كراهةِ الوضوءِ بالمـاءِ المُشمَّسِ في بلدٍ حارٍّ خشيةَ أنْ يُورِثَ البرَصَ وهـو مـن

أمراضِ الجلد، بأنه لم يقم دليلٌ شرعيٌّ ثابتٌ على كراهــةِ مثلِ هذا الماءِ إنما هو من ناحيةِ الطب.

وعلى العكسِ فالطبُّ النبويُّ والذي جاء به الــشرعُ عمومًا كآيات الشفاء وغيرِها هي الحكَم، وفي الحــديث الصحيح: (جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي استُطْلِقَ بطنُه فقالَ: اسقهِ عسَلاً، فسقاه فقال إني سقيتُه فلم يزِدْه إلا استِطْلاقًا فقال: (صدق اللهُ وكــذبَ بطنُ أخيك) رواه أحمدُ والشيخانِ وغيرُهم.

هذا حَكَمٌ نأخذ به موقنين ونكــذِّبُ مــا خالفَــه جازِمين، وقد اعترض بعضُ الملاحدةِ على هذا الحــديث اتّباعًا لتحليلاتِهم الطبيةِ والعياذ بالله، فانظرْه في الفتح فقد ردَّه فأجاد.

فلِمَ لَمْ يأخذ هؤلاءِ بالتحليلات الطبية التي تقول بأن الأمراض تُعدي وهذا على خلاف الــدين حــديث: (لا عَدْوَى ولا طِيَرةَ). رواه الــشيخان وغيرُهمــا، إن أرادوا جعلَها حَدًّا فليأخذوا فيها طَرْدًا وعكسًا، أمّا أن يُعمِلــوا

هذه الحُجّةَ في حديث خَدَرِ الرجلِ فقط فمردودٌ عليهم وباطلٌ شاءُوا أم أَبَوا.

هذا عجيبٌ واللهِ، ولا أَراهُ إلا مكابَرَةً في المحسوسِ وإنكارُ المحسوسِ مِن عَمَى النفوس، نسأل الله السلامة والعافية في الدين والعقل.

وقد قال الشوكانيُّ في تحفةِ الذاكرينَ عن حديثِ طَنِين الأذُنِ بأنه عند الأطباءِ تصاعُدُ أبخِرَةٍ، فردَّ عليهم بقولِه: وكلامُ النبي صلى الله عليه وسلم أقدَمُ من كلامِ الأطباء.

نعم يجوزُ لمريضٍ أن يأخذَ بقولِ طبيبٍ ثقةٍ فيُستثنَى فيكونُ حُكمًا خاصًا بهذا المريض يدخل تحت قاعدة: (الضروراتُ تُبيحُ المحظوراتِ) تُقَدَّرُ بقدرِ الحاجةِ وتنتهي بانتهاءِ الحاجة، وليس هذا مما نحن فيه.

وهذا بابٌ خطيرٌ، وأهل السُنّةِ يقولون: (الحسَنُ ما حسَّنَه الشرعُ، والقبيحُ ما قبَّحَهُ الشرعُ) فلا عمل للعقلِ ولا للطبِّ بتحريمِ أو استقباحِ أمرٍ ثبتَ جوازُه في الشرع

أو دلَّ عليهِ الدليلُ، وكفى بالشرعِ رحيمًا حكيمًا، وكلُّ هذا مفصَّلٌ في مَظانِّه في كتبِ الفقهِ فاطلبْهُ هناك.

واقعٌ لا بُدَّ من بيانهِ بينَنا وبينَ المخالفين

بلَغتِ الوقاحةُ والغرورُ بمحمد خليل هـــراس مبلغًـــا عظيمًا حيثُ استهزَأَ بالإمام الترمذيِّ رضي الله عنه بعـــد تحسينِ حديثٍ فقال: وأي حُسْنٍ فيه يا علاّمةَ تِرْمِذ؟ وهل نصدِّقُك بعد هذا فيما تحسن أو تصحِّحُ من حديث؟

ولم يكتفِ بقلَّةِ الأدبِ هذه، بل تطاوَلَ على الإمـــامِ الحاكمِ صاحبِ المستدرَك فقال بعد تـــصحيحِ الحـــاكمِ لحديثٍ على شرطِ البخاريِّ ومسلمٍ ما نصُّه:

تأمَّلْ تبجُّحَ الحاكمِ وقولَه "صحيحٌ على شرطهما"، لا والله ما هو على شرطِهما، ولو رواه أحدُهما لسقَطَ كتابُه في الميزانِ كما سقط مستدرَكُك أيها الحاكم.

قلتُ: تبجَّحَ معناها هَذَى وفخِرَ إعجابًا، ولا يـــصحُّ حملُها على معنى الفرحِ إلا من طريقِ الاستخفافِ بـــدليلِ سِياق العبارة، نسأل الله أن يمُنَّ علينا بالأدب الجَمّ.

ثم نقل عنه محمد عمرو عبد اللطيف وهو من المعجبين بوقاحَتِه قولَه: وكان يسمي المستدرك: "**المستَتْرَك**" أي: الذي يستحق الترك.انتهى

لكنَّ العجيبَ أن محمد عمرو عبد اللطيف يُباشِرُهُ مُعَقِّبًا: فكان له تأثيرٌ كبيرٌ عليَّ في حُبِّ هذا العلم.انتهى

قلتُ: إن كان قلةُ الأدبِ والتطاولُ على العلماءِ حبَّبا إليكَ العلمَ، فعلى العلمِ السلامُ واللهُ يُغنينا عنك وعن علمِك إن صحَّ لك علمٌ، فإن كانَ قدوَتُك الألبانيُّ تلميذُ مكتبةِ دمشقَ ولا يُعرَفُ له شيخٌ فكيف بك أنت، ونحنُ لا نجيزُ عليكم اسمَ السلفيةِ مع الأدبْ فكيف مع قلةِ الأدبِ هذه.

ولم يَستحْيِ بعضُ مُحِبِّي هذا الأخيرِ أعني محمد عمرو عبد اللطيف عندما مات من قولِ: مات دارَقُطنيُّ عصرِه، مع علمِهِ بأنّه لا يحفظُ كتابًا واحدًا مسنَدًا بل ولا حديثًا واحدًا مُسندًا.

فلا واللهِ الذي بعثَ محمدًا صلى الله عليه وسلم بالحقّ ما بلَغَ علمُ هذا نُفاثَةَ سواكِ الدارَقُطنِيّ رضـي الله عنه.

فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، وعَزاؤنـا في لُجَّـةِ الجَهلِ هذه ما يُروى عن الإمامِ طاوسٍ أنه رؤيَ يبكي فقيل ما يُبكيك؟ فقال: على العلمِ والعلماء.

وإن كان هذا في عصرِ التابعينَ الأجِـلاّءِ بحـورِ العلمِ فما نحنُ فاعلونَ اليومَ بوجودِ هؤلاءِ؟

وهل يكونُ كذا حبُّ الحديثِ معشرَ المسلمينَ، ولا واللهِ ما شمَّ هذا القائلُ غبارَ نَعْـلِ الترمـذيِّ أو الحاكمِ رضي الله عنهما، وهذه عاقبةُ الغرورِ، وتَراهم مردِّدين بأعلى أصواتِهم "لحومُ العلماءِ مـسمومة"، فهل أحلَّ اللهُ لكم لحمَ الترمذيِّ والحاكمِ الإمـامَين الجليلَين خاصَّةً.

وأين هو الردُّ العِلميُّ في هذا الكلام؟ وإن كانوا

كما يدَّعُونَ زُورًا أنهم يحـــاربونَ البِـــدَع فلمـــاذا لم ينكروا على هذَينِ بدعَتَيهما في الاســـتهزاءِ بهـــذين الإمامَين الجليلَين؟

وعينُ الرِّضَا عن كلِّ عَيبٍ كَلِيلةٌ

ولكنَّ عينَ السُّخط تُبْدِي المساوِيَا

وغايةُ ما في الأمرِ ما ذكرَه العلماءُ من مباشرةِ الحاكمِ تحريرَ كتابِه لكنه تُوُفِّيَ قبل إنهاءِ تحريرِهِ فتجدُ التساهلَ في القِسمِ الأولِ أقلَّ بكثيرٍ من القسمِ الثاني الـــذي لم يَـــتمَّ تحريرُه، و لم يقل أحدٌ من العلماءِ مع جلالَتِهم "أيها الحاكمُ يا صاحبَ المستَتْرَك" لقد سقطَ مستدركُكَ.

وقد تكلَّمَ السيوطي في الدفاعِ عن الحـــاكمِ فأفـــادَ وأجاد فقد قال في البحر الذي زخر: فأقولُ واللهُ المستعان: **إن الحاكم مظلومٌ في كثيرٍ مِمّا نُسبَ إليه** منَ التـــساهلِ، وقد ذكرَ الحافظُ ابنُ حجرٍ في نُكَتِهِ في قسمِ الحسَنِ أنـــه اعتَبَر – أن تتبَّعَ وقارَنَ – كثيرًا من أحاديثِ الـــصحيحينِ فوجدَها لا يتمُّ الحكمُ عليها بالصحّةِ إلا بإدخالِها في قسمِ

الصحيحِ لغيرِهِ، ومن ذلك حديثُ أُبَيِّ بن العباس بن سهلِ بن سعد عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنه في ذكـــر خيل النبي صلى الله عليه وسلم وأبي هذا قد ضعفوه لسوءِ حفظِه، ولكن تابَعَه عليه أخوه عبدُ المهيمن بنُ العبـــاسِ، أخرجَه ابنُ ماجَهْ من طريقِه، وعبدُ المهيمن أيضًا ضعيفٌ، فاعتَضَد.

وانضاف إلى ذلك أنه ليس من أحاديث الأحكـــام، فلهذه الصورة المجموعية حكم البخـــاري بـــصحتِهِ، وفي صحيح البخاري أمثلة كثيرة قد ذكرت الكثير منـــها في مقدمة شرح البخاري، ويوجد في كتاب مـــسلم منـــها أضعاف ما في البخاري، هذا كـــلام ابـــن حجـــر، وإذا اعتبرت الأحاديث التي صححها الحاكم وتعقبوه بـــضعف راوٍ في سندِها وجدْتَها على هذه الشريطةِ لراويها متـــابعٌ، والحديثُ ليس من أحاديثِ الأحكامِ، فصحَّ بهذا الاعتبارِ أنه صحيحٌ على شرط البخاريِّ ومسلمٍ، لوجود الـــشرطِ الذي اعتمَداهُ في التصحيحِ في كثيرٍ من الأحاديثِ فيه، مع

استحضار ما تقدَّمَ من أنَّ الحاكمَ لم يـــشترِطْ عـــينَ رواةِ الشيخينِ بل مثلَهم.انتهى كلام السيوطي مختصَرًا

فانظُر إلى كلامِ أهلِ العلـــمِ وإلى مَـــن تـــصدَّر إلى التصحيحِ والتضعيفِ منهم كيف حالُه عِلمًا وخُلُقًا، وانظُر إلى مدى تحصيلِهم للعلمِ، نسألُ اللهَ السلامةَ في الـــدارَينِ وحفظَ الدِين وحُسْنَ طلَبِه والأدبَ مع أهلِ الفضلِ ءامين

تمَّ المقصودُ بعونِ الله وبقيَتْ نصيحةٌ أوجِّهُها لكـــل المخالفين عسى الله أن يهديَهم ويعرفوا أينَ هم ولو فيمـــا بينَهم فأقول:

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: حَقَّ على المحَـــدِّثِ أنْ يَتورَّعَ في ما يؤديهِ وأن يسألَ أهلَ المعرفةِ والوَرَعِ لِيُعِينوه على إيضاحِ مروِيّاتهِ ولا سبيلَ إلى أنْ يصيرَ العارفُ الذي يُزَكِّي نَقَلَةَ الأخبارِ ويجرحُهُم جِهْبِذًا إلا بإدمانِ الطلـــبِ والفحصِ عن هذا الشأنِ وكَثرةِ المذاكرةِ والسهرِ والتيَقُّظِ والفَهمِ مع التقوى والدينِ المتينِ والإنصافِ والتـــرددِ إلى مجالسِ العلماءِ والتحرّي والإتقانِ وإلاّ تفعل:

فَدَعْ عنكَ الكتابةَ لستَ مِنها

ولو سوَّدْتَ وجهَكَ بالمِدادِ

قال الله تعالى عز وجل: (فاسئلوا أهلَ الذِكْرِ إنْ كنتم لا تعلمون) فإنْ ءانَسْتَ يا هذا مِن نفسِكَ فَهمًا وصِدقًا ودِينًا ووَرَعًا وإلاّ فلا تَتَعَنَّ، وإنْ غلب عليكَ الهوى والعصبيةُ لرأيٍ ولمذهبٍ فبالله لا تتعبْ، وان عَرَفتَ أنَّكَ مُخَلِّطٌ مُخَبِّطٌ مُهمِلٌ لحدودِ اللهِ فأَرِحْنَا منك.انتهى

وقولُه "إلاّ تفعل" أي إنْ لا تفعل إن الشرطية ولا النافية كقولِه تعالى: (إلاّ تَنْصُرُوهُ فقَدْ نصَرَهُ الله)، أي إنْ لا تنصروه فقد نصره الله.

ثم قال الذهبيُّ فيها على رأس السبعمائة:

قلَّ من يعتني بالآثارِ ومعرفتِها في هذا الوقتِ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، أما المشرِقُ وأقاليمُه فَغُلِّقَ البابُ وانقطعَ الخطابُ، وأما المغربُ وما بقي من جزيرةِ الأندلس فنَدَرَ مَن يعتني بالروايةِ كما ينبغي **فضلا عن الدراية**.انتهى، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وللحافظِ السَخاوي في فتحِ المغيث كلامٌ أشدُّ من هذا ولا بأس بنقل بعضِه:

قال بعض أئمةِ الحديث في هذا المحلِّ للذي يُطلَقُ عليه اسمُ المحدِّثِ في عُرْفِ المحَدِّثِين أن يكونَ كتَبَ وقرأ وسمِعَ ووَعَى ورحَل إلى المدائن والقُرى وحَصَّلَ أُصُولاً وعلَّقَ فروعا من كُتُبِ المسانيدِ والعِلَلِ والتواريخِ التي تَقْرُبُ مِن ألفِ تصنيفٍ فإذا كان كذلك، فلا يُنكَرُ له ذلك.

وأما إذا كان على رأسه طَيْلَسان، وفي رجليهِ نعلان، وصَحِب أميرًا من أمراءِ الزمان، أو مَن تحلّى بلؤلؤٍ ومَرجان، أو بثيابٍ ذاتِ ألوان، فحصَّلَ تدريسَ حديثٍ بالإفْكِ والبُهتان، وجعَلَ نفسَه لُعبةً للصبيان، لا يفهم ما يُقْرَأُ عليه من جزءٍ ولا دِيوان، فهذا لا يُطلقُ عليهِ اسمُ مُحدِّثٍ بل ولا إنسان، وإنه مع الجهالةِ ءاكلُ حرام، **فإنِ استَحَلَّهُ خرَجَ مِن دينِ الإسلام**. انتهى

والظاهر أنها نِفْثَةُ مصدور، ورِمْيَةُ معذور، وبها يَتَسلى القائمُ في هذا الزمان، بتحقيقِ هذا الشأن، مع قِلّةِ الأعوان،

وكثرة الحسدِ والخُذْلان، والله المستعانُ وعليه التكلان.انتهى كلام السخاوي

قلت: أما قولُه "بل ولا إنسانٍ" فشديدةٌ، حتى وإن أراد أنّ هذه الأفعالَ لا تصدرُ من إنسانٍ يستعملُ عقلَهُ أو يخافُ الله، فهي شديدةٌ ولهذا اعتذر له السخاوي بأن هذا من شدة الجهلِ الذي يراه، وهذا كان في زمنهم فكيف بزمننا، نسأل الله السلامة.

أما تكفيرُه لمستحلِّهِ فصائبٌ في محلِّهِ، لأنّ من قال بأن إفتاءَهُ في الحديثِ تصحيحًا وتضعيفًا بغير علمٍ جائزٌ كفرَ لتكذيبِهِ الدين وتكذيبِهِ القرءانَ القائلَ: (ولا تَقُولوا لِما تَصِفُ ألسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هذا حلالٌ وهذا حرامٌ) ولأنّه في تضعيفِ الصحيحِ إبطالُ الحكمِ المتعلِّقِ به، وكذا تصحيحُ الضعيفِ فإنّهُ إثباتُ حُكمٍ في الدينِ ليس ثابتًا، فيكونُ إيجابَ ما لم يَجبْ وعدمَ إيجابِ الواجبِ، فكان قولُهُ حقًّا.

فائدة: كتابُ "الأدب" للإمامِ البخاري لم يُضِف إليه هو كلمة "المفرَد"، إنما سمّاه الناس هكذا تمييزا له عن "كتاب الأدب" في صحيحِه، فقالوا "الأدب المفرَد" أي الذي أفرَدَه الإمامُ بالتأليف، قال الكتاني في الرسالة المستطرفة: (الأدب المفرد) أي الذي أُفرِد بالتأليفِ احتِرازًا عن كتاب (الأدب) الذي هو من جملةِ (الجامعِ الصحيحِ للبخاري).انتهى

ويكفي ذكرُ ثلاثةِ أمثلةٍ: قال الذهبي في سِيَرِ أعلام النبلاء: قال أبو جعفرٍ محمدُ بن أبي حاتمٍ ورّاقُ البخاري: حدثني إسحاقَ وراقُ عبدِ الله بن عبد الرحمٰن، قال: سألني عبد الله عن كتاب "الأدب" من تصنيف محمد بن إسماعيل.انتهى

قلت: هذا نص صريح من ورّاقه وتلميذِه محمد ابن أبي حاتم، أما عبدُ الله فهو ابنُ عبدِ الرحمٰن الدارمي الإمام الحافظ صاحبُ السننِ وليس ذلك الدارميَ المشّبِهَ عثمانَ ابنَ سعيدٍ صاحبَ الرد على بِشْر المَرِيسِيّ، فذلك خبيثٌ

يعبُدُ صنَمًا والعياذ باللّٰهِ من كُفرِه ووثَنِيّتِه. ومحمدُ بـــن أبي حاتمٍ هذا أخذ عنه الفِرَبريُّ الإمامُ راوي صحيحِ البخاريِ المشهورُ الثقة.

وفي ذيل التقييد لأبي الطيب المكيِّ الفاسيّ: أحمد بن عبد الغني بن محمد الباجِسْرائي التاجر أبو المعالي.

روى عن أبي غالب محمد بن الحسين الباقلاني كتاب الأدب للبخاري.انتهى

وفي طبقاتِ السبكيّ نقلاً عن الحافظ المِزّي في أحـــد الرواةِ:

فإن يحيى بنَ مَعِينٍ وَثّقَهُ في روايةِ ابنِ أبي خَيْثَمةَ عنه، وأخرج له البخاريُّ حديثًا في كتاب الأدبِ له.انتهى

وفي تهذيب التهذيب: بلالُ بن أبي الدرداءِ الانصاريُّ أبو محمد الدمشقي. (روى له أبو داود) ولـــه ذكـــر في كتاب الأدب للبخاري.انتهى

فهذا يدل على أن كتاب الأدب هو "الأدب المفرد" لأنه ذكر أبا داودَ فقط ممن روى له من أصحابِ الكتـــب

الستة التي أوَّلُها البخاري، ومع ذلك تجدُه في الدرر الكامنة يُكثر من ذكر كلمة "الأدب المفرد"، فالأمر كما قلت لك وفقني الله وإياك.

فائدة: وردَ تسميةُ كتابِ الأدبِ المفرَدِ بأنه صحيح، وذلك في قول الإمامِ الدارِمِيِّ صاحبِ السُنَنِ، قال محمد بن أبي حاتم:

حدثني إسحاق ورّاقُ عبدِ الله بنِ عبدِ الرحمٰن - أي الدارمي- قال: سألني عبد الله عن كتاب "الأدب" من تصنيفِ محمدِ بنِ إسماعيلَ فقال: احمِلْه لأنظرَ فيه، فأخذ الكتاب مني وحبَسَه ثلاثةَ أشهرٍ، فلما أخذتُه منه قلت: هل رأيت فيه حشوا أو حديثًا ضعيفًا؟ فقال: **ابنُ إسماعيلَ لا يقرأُ على الناسِ إلا الحديثَ الصحيحَ**، وهل يُنكَر على محمد.انتهى

قلت وهذا من بابِ الإجمالِ والمبالغةِ في المدح والثناء وليس من باب الحكم على كلِّ مَرْوِيٍّ بنفسهِ فليس الأمر هكذا، فإن كان الصحيحُ نفسُه لم يسلَم من التتبُّع والنقدِ فما بالُك بما لم يَلتزِم فيه الصحةَ، ولكنْ هاتانِ إشارتانِ

نافعتان وهي قول المِزّي في نقل توثيق الراوي: أخرج لـــه البخاري في كتاب الأدب له، وقـــولُ الإمـــام الـــدارمي الحافظ.

فائدة: ما ورَدَ في هذا الكتاب من حكايـــة أقـــوال الرواةِ "ثنا" و "أنا" و"نا" فهي اختصارات كتابية لقـــولِهم "حدثنا" و"أخبرنا" و"أنبأنا" وهناك اختصارات غيرُها، أما عند اللفظ فيقولون "حدثنا" وهكذا.

مسئلة: العبدُ الضعيفُ يميلُ إلى اعتمادِ روايةِ الهيثمِ بنِ حنشٍ أكثرَ من روايةِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ سعدٍ مع ثبوتهمـــا، وذلك لثبوتِ ضبطِه التامِّ بالتتبُّعِ بعد توثيقِه.

واللهُ تبارك وتعالى أعلمُ وأحكمُ وله الحمدُ والمِنّـــةُ أنْ أعانني على إتمامِه بعد افتراقِ النيةِ والعملِ ســـنينَ وقـــد اجتمعا بفضلِه وكرَمِه.

والحمدُ للهِ على الإعانَه ۞ ولا إلهَ غيرُهُ سُبحانَه

خاتمةٌ

أقول طالبًا من الله التوفيق فيما تقدم:

كان الغرض من هذا الكتابِ المبـــاركِ إن شـــاء الله إثباتُ صحةِ الاحتجاجِ بحديثِ ابنِ عمرَ روايةً ودرايـــةً، والله من وراءِ القصد، واللهَ أسألُ أن يتقبلَ مني وأرجو أني كنت مخلصًا فيه ألّفته نصرةً للدين وكشفًا للغُمّة، رجاءَ أن يهديَ اللهُ به من ضَلّ أو ضُلّل من الأمة، وعِرفانًـــا مـــني بالجميلِ لمشايخِي أصحابِ الفضلِ الجزيل والقدرِ الجليل، كسَيِّدِي مُحَدِّثِ الدِّيَارِ الْمَغربيةِ عبدِ العزيزِ بنِ الـــصِّدِّيقِ الْغُمَارِيِّ وسَيِّدِي الذي كـــان مـــشهورًا في تحقيقاتِـــهِ، مستفيضًا عنه محاربةُ الضلالِ وكشفُ معضلاتِهِ العلاَّمَـــةِ عبدِ اللهِ الهرريِّ عليه رحَماتُ اللهِ، وسَيِّدِي مُفْتِي الـــدِّيارِ التونسيةِ شيخي ومولاي العالِمِ ابنِ العالم كمالِ الدين بنِ عبدِ العزيزِ جُعَيِّط وغيرهم.

وقد كنتُ واللهِ فيه أخًا ناصحًا وتجنّبتُ فيه ما أُراهُ مؤذيًا جارحًا، وسعيتُ بالحق السعيَ الحثيث، إلى نُصرةِ هذا الحديث، فما كان من صوابٍ فمنَ اللهِ وأحَمَدُ الله، وما كان من خطإٍ فهو منّي ومنَ الشيطانِ (**واللهُ خلقَكُم وما تَعمَلون**) وأستغفِرُ الله، ورَحِم اللهُ امرَءًا دلَّني على عيوبي وبيَّن لي بالحُسنى هفَواتي وذنوبي.

فانْظُرْ إليهِ بِعَيْنِ العَدْلِ واعتَزِلِ
مَيْلَ النُفوسِ إلى تَنقيصِ مُكتَمِلِ

وكتبَها الفقيرُ إلى رحمةِ الله الغنيّ الرءوف عبدُه المقصّرُ مجدي غسان معروف الحسينيُّ الأشعريُّ الشافعيُّ الرفاعيُّ غفر الله له ولمشايخه ومَن أحبَّ وعامله بلطفه ءامين بحقِّ سيّدِ المُكَمَّلِين محمدٍ عليه صلواتُ اللهِ وعلى جميعِ إخوانِهِ النبيّينَ وكان الفراغُ منها ليلةَ السابعِ من ربيعٍ الآخِرِ سنة 1430 من هجرةِ أحبِّ الأحبابِ إلى اللهِ عليه أزكى صلاةِ وسلامِ الله، وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين

فصلٌ في روايتي لهذا الحديث عن مشايخي الأعلام – وما هو واللهِ لأهليةٍ فيَّ أَراها – ولكنْ تبرّكًا بهم وبالسلسلةِ كلِّها وحفاظًا عليها من ضياع الأصول وللهِ درُّ القائل:

ومـــا لِـــيَ فيهِ سِـــوَى أنني
أراهُ هوًى صادفَ المقصَدا
وأرجو الثوابَ بكَتْبِ الصلاةِ
على السيِّدِ المصطفى أحمدا

فأقول: بسم الله والحمد لله وصلى الله وسلم علـــى سيّدي رسول الله:

أما **حديثُ عبدِ الرحمٰنِ بنِ سعدٍ** عندَ البخـــاريِّ في الأدبِ المفردِ فأرويهِ عن مشايخَ أُجِلُّهم، وفي قلبي الْمَرْوِيُّ عَنْهُم أَجَلُّهُم، فأقول وعنهم أرويه مع شيءٍ من التفصيل لا بأسَ به:

أخبرني به عاليًا شيخي وسيّدي مفتي الديارِ التونسيةِ العالمُ العلاّمةُ الفقيهُ المالكيُّ كمالُ الدينِ بنُ محمدٍ العزيـــزِ جعيّط أدام الله نفعَه قال أخبرني شـــيخي العـــالم المفـــتي

الصادق المحرزي عن أستاذ المحققين أبي حفص عمر ابن مفتي الديار التونسية عن الإمام محمد الشريف المفتي المالكي عن الشيخ عمر بن سودة الفاسي عن سيّدي محمد صالح البخاري عن شيخه سيّدي عمر بن عبد الكريم عن المعمّر محمد بن سِنّة الأزهري عن قطب الديار اليمانية أحمد بن السيّد عجيل عن مفتي مكة محمد النَهْرَواني (النهروالي) عن أبي الفتوح نورِ الدين محمد بن عبد الله الطاوسي عن الشيخ المعمّر بابا يوسف الهروي عن الشيخ المعمر محمد بن شاذَبَخْت الفرغاني عن أحمد أبدال السمرقندي عن أبي لقمان يحيى بن عمار الخُتَّلاني عن محمد ابن يوسف الفِرَبري عن الإمام محمد بن إسماعيل البخاري قال حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبي إسحاق – أي السبيعي – عن عبد الرحمٰن بن سعد قال: (**خَدِرَتْ رِجْلُ ابنِ عمرَ فقال له رَجلٌ اذكُرْ أحبَّ الناسِ إليك فقال "يا محمد"**).

وهذا بحمد الله إسنادٌ مشهورٌ بالْمُعَمَّرِين من أعلى أسانيد الدنيا وبابا يوسف الهروي مشهورٌ أنه عمَّر ثلاثَمائةٍ وسبعًا تقريبًا، ولي بحمد الله أعلى منه بدرجتين.

أما السيِّدُ الْعَلاَّمَةُ الهرريُّ فكذلك أنبأني به رضي الله عنه عن شيخه محمد بن علي الصدّيقي البكري المدني عن العلاّمة محمد بدر الدين البيباني الحسني عن والده جمالِ الدين يوسفَ بنِ بدرِ الدين المغربي عن الشيخِ عبدِ الله الشرقاويِّ عن شيخه الحِفني العلاّمةِ الفهّامةِ المشهور عن الشيخ عيد بن علي النُمْرُسيِّ – قال الشرقاويُّ في "شرح التجريد" بضم النون والراء بينهما ميم ساكنة – عن عبد الله بن سالم البِصري المكي عن الشيخ علي بن عبد القادر الطبري المكي الحُسَيني أخو السيّدة العالمة الصالحة قريش الطبرية عن والده عن جدِّه السيّد يحيى بن مكرم الطبري عن الحافظ السخاوي والحافظ ابن فهد المكي كلاهُما عن أمير المؤمنين في الحديث شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني عن الحافظ أبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن أحمد التَنُوخي عن مُسنِدِ الدنيا أحمد بن أبي طالب الحجّار

المعروفِ بابنِ الشِحْنَةِ، عن سراج الدين الحسين بن المبارك الزَبيدي – وهو شيخُ زينبَ بنتِ المَحَدِّثِ سُلَيْمانَ الإِسْعِرْدِيِّ شيخةِ الإمامِ المجتهدِ تقي الدينِ السبكيِّ – عن أبي الوقت السِجْزي – بكسرِ السين أكثرُ مِن فتحِها – عن أبي الحسن عبد الرحمٰنِ بنِ محمدٍ الداووديِّ الفقيهِ التقيِّ الوَرِع عن أبي محمدٍ حَمُّويَه السَرَخْسيِّ عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الفِرَبْرِيِّ عن شيخ الإسلام الإمام محمد بن إسماعيل البخاري به.

وكذا أرويه عن سيّدي العالم الأصولي المالكي محمد الشاذلي النَيْفَر عالم تونسَ رحمه الله عن مُسنِدِ عصرِه بلا منازع العلاّمة عبد الحي الكتاني صاحب فِهرِس الفهارس عن مشايخه الشهاب أحمد بن إسماعيل البرزنجي وأبي النصر الخطيب وعبد الجليل برادة، ثلاثتهم عن والد الأول السيد إسماعيل عن المحدّثِ الأصولي المُسندِ صالح بن محمد بن نوح الفُلاّني عن محمد بن سِنّة العمري عن الشريف محمد بن عبد الله عن عضُد الدين محمد بن أركماس الحنفي عن الإمام

الحافظ ابن حجر العسقلاني عن شرف الدين أبي بكر بن عبد العزيز بن جماعة بسماعه على جدّه شيخ الإسلام بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة قال أخبرنا به مكي بن مسلم بن عَلاّن عن الحافظ السِلَفيِّ قال أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الباقِلاّني قال أخبرنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي قال أخبرنا أبو نصرٍ النيازكي قال حدثنا أبو الخير العَبْقَسِي قال حدثنا البخاري به.

وأما حديثُهُ مِن غريبِ الحديثِ للإمامِ الجليلِ إبراهيمَ الحربِيِّ رضي الله عنه فعن شيخي محدِّث الديار المغربية عبدِ العزيزِ بنِ الصِدِّيق الحسنِيِّ الغُمَارِيِّ عن شَقيقِهِ الحافظِ أحمدَ بنِ الصدِّيقِ عن شيخِهِ أبي حفصٍ عمرَ بن حمدانَ المحرسي المدني قال: أنبأنا أبو النصرِ نصرُ اللهِ بنُ عبدِ القادرِ الخطيبُ الدمشقيُّ أنبأنا المُعَمَّرُ عبدُ اللهِ التليُّ أنبأنا الإمامُ عبدُ الغنِيِّ النابلسيُّ أنبأنا نجمُ الدينِ محمدُ بنُ بدرِ الدينِ محمدٌ الغزِّيُّ عن أبيهِ عن

شيخ الإسلامِ زكريا الأنصاريِّ عن العزِّ بنِ الفراتِ عن أبي الثناءِ محمودِ بن خليفةَ المنبِجيِّ عن الحافظ الدِّمياطيِّ عن أبي القاسمِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ مكيٍّ الطرابلسيِّ عنه

(ح) وعن البدرِ الغزِّي عن الإمامِ السيوطيِّ عن الشمسِ محمدِ بنِ أحمدَ القُمُّصِيِّ عن الشرفِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ الكُوَيكِ عن زينبَ بنتِ الكمالِ عن عبدِ الرحمٰنِ بنِ مكيٍّ **عن الحافظِ السِّلَفِيِّ** قال: أنبأنا يونسُ بنُ محمدِ بنِ مغيثٍ عن جدِّه مغيثِ بنِ يونسَ بنِ عبدِ اللهِ الصفَّارِ عن أبيهِ أنبأنا أبو يعقوبَ يوسفُ بنُ أحمدَ بنِ الدُّجَيلِ حدثنا محمدُ بنُ إسحاقَ الغزيُّ أنبأنا إبراهيمُ بنُ إسحاقَ الحربيُّ رضي الله عنه قال: **حدثنا عفّانُ "حدثنا شُعْبَةُ" عن أبي إسحاقَ السبيعي عمّن سمع ابنَ عمر قال خدِرَت رجلُه فقيلَ: اذْكُرْ أحبَّ الناسِ قال:** (**يا محمد**).

حدثنا أحمدُ بن يونسَ حدثنا زهيرٌ عن أبي إسحاق عن عبدِ الرحمٰن بنِ سعد: جئتُ ابنَ عمرَ فخدِرَت رجلُه. فقلت: ما لرِجْلِك؟ قال: اجتمع عصَبُها قلت:

(أُدْعُ) أحبَّ الناس إليك قال: (يا محمدُ، فبسطها).

أمّا **حديثُ الهيثمِ بنِ حنشٍ** عند ابنِ السنّي فـــأخبرني به شيخي العزيز محدِّثُ الديار المغربية عبدُ العزيـــز بـــنُ الصِدِّيق الغماري عن شيخه العلاّمة عبد الـــسلام غُنَـــيم الدِمياطي عن الشيخ مصطفى بن حنفي الذهبي عن العلاّمة الشهيرِ الأميرِ الكبيرِ عن العلاّمة السقّاط الفاســـي عـــن سيدي محمد الزُرقاني عن والده الشيخ عبد البـــاقي عـــن الشيخ عليٍّ الأجهوري عن الشيخ محمد بن أحمد الرملـــي عن شيخ الإسلام ابنِ حجرٍ العسقلاني عن شرف الـــدين أبي بكر بن عبد العزيز بن جماعة بسماعه على جدّه شيخ الإسلام بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة قال أخبرنا به مكي بن مسلم بن عَلاّن عن الحافظ السِلَفيِّ عـــن أبي محمد عبدِ الرحمٰن بن أحمد الدُوني عن القاضي أبي نـــصرٍ أحمد بن الحسين الكسّار عن أبي بكرٍ الـــدِينَوَري "ابـــن السُني" رضي الله تعالى عنه قال حدثنا محمد بن خالد بـــن محمد البرذعي ثنا حاجب بن سليمان ثنا محمد بن مصعب ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الهيثمِ بن حنش قال:

(كنا عندَ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضـــي الله عنـــهما فخَدِرَتْ رِجْلُهُ فقال له رَجُلٌ: اذكر أحـــبَّ النـــاسِ إليك، فقال: يا محمدُ صلى الله عليه وسلم. قال: فقام فكأنما نُشِط من عِقال) وبه إلى ابـــنِ الـــسني أروي الروايات الأخرى ولله الحمد والمِنّة.

ولي أسانيدُ أخرى عن كثيرينَ غيرِهم بحمـــدِ الله مشايخَ وأقرانٍ نفعَ الله بالجميعِ ءامين، وليس هذا محلَّ ذِكرِها.

وحُبًّا بالخيرِ لكلِّ مسلمٍ وتقليدًا لمـــشايخي أصـــحابِ الفضلِ وحفاظًا على السلسلةِ المباركةِ أقول:

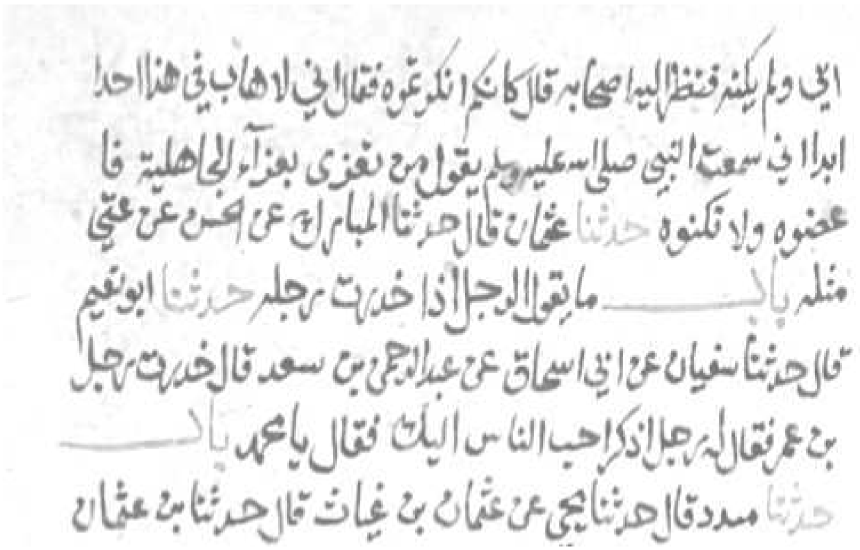
قد أجزتُ لكلِّ مَن كان على عقيدةِ أهـــلِ الـــسنةِ والجماعةِ عقيدةِ الأشاعرةِ والماتُريديةِ التي هي عقيدةُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وأكابرِ الأمةِ بعدَهُ في كلِّ عـــصرٍ روايةَ هذهِ الأحاديثِ وروايةَ الكتبِ الـــتي رَوَيـــتُ مِـــن طريقِها وسائرِ مصنَّفاتِ أصحابِها وكان أخَذَ كتابًـــا في مصطلَحِ الحديثِ كالبَيقُونيةِ أو ما قارَبَها ويَعرِفُ كيـــفَ

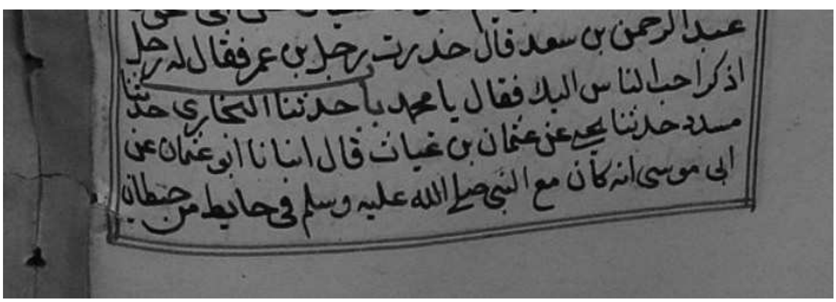
يَضبِطُ النَصَّ المرويَّ من حيثُ النَحْوُ أو نُسخَتُهُ مـــضبوطةٌ وأُوصي الجميعَ بما أَوصَى به كلُّ مشايخي نفـــع اللهُ بهـــم تقوى اللهِ والإخلاصِ والتواضعِ والتثبُّتِ في النقلِ وســـؤالِ أهلِ العلمِ عندَ الحاجَةِ وعدمِ المعرفةِ.

واللهُ مِن وراءِ القصدِ وصلى الله على ســـيِّدِنا محمـــدٍ الطاهرِ الأمينِ وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

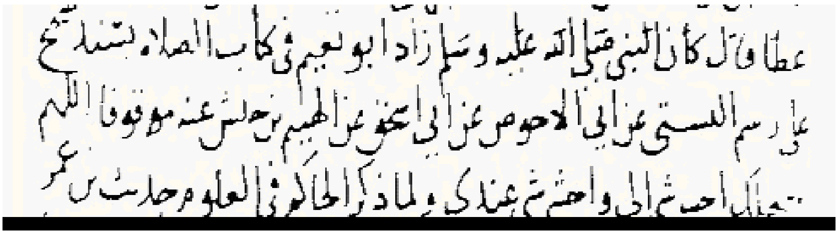
تمت

صورتان عن مخطوطتَين من "الأدب المفرد" للإمـــام البخاري رضي الله عنه وفيها إثبات "يا محمد" صـــلى الله عليه وسلم


اني ولم يكلمه فنظر اليه اصحابه قال كانكم انكرتموه فقال اني لا اهاب في هذا احدا
ابدا اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من تعزى بعزاء الجاهلية فا
عضوه ولا تكنوه حدثنا عثمان قال حدثنا ابن المبارك عن الحسن عن عتي
مثله باب ما يقول الرجل اذا خدرت رجله حدثنا ابو نعيم
قال حدثنا سفيان عن ابي اسحاق عن عبد الرحمن بن سعد قال خدرت رجل
ابن عمر فقال له رجل اذكر احب الناس اليك فقال يا محمد باب
حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن عثمان بن غياث قال حدثنا ابو عثمان

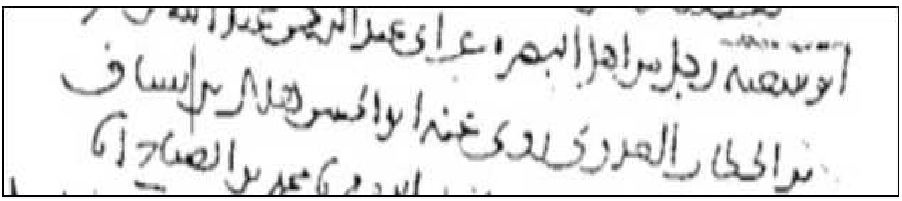

عبد الرحمن بن سعد قال خدرت رجل ابن عمر فقال له رجل
اذكر احب الناس اليك فقال يا محمد باب حدثنا البخاري حدثنا
مسدد حدثنا يحيى عن عثمان بن غياث قال انبانا ابو عثمان عن
ابي موسى انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في حايط من حيطان

صورةٌ من شرحِ الحافظِ مُغْلَطاي لسنن ابنِ ماجهْ وفيه كلمة (حنش) بغير نقط وانظُرِ الحروفَ المنقوطةَ حولها:



عطا قال كان النبي صلى الله عليه وسلم زاد أبو نعيم في كتاب الصلاة ...
على رسم المسنن عن أبي الأحوص عن أبي إسحق عن الهيثم بن حنش عنه موقوفا اللهم
... أحسن إلي وأحسن عندك ولماذا الحاكم في العلوم حديث بن عمر

صورةٌ عن مخطوطِ "الأسماء والكُنى" لأبي أحمـدَ الحـاكم يظهر فيها (أبو شعبة) وكيف صُحِّفَت (أبو سعيد)



أبو شعبة رجل من أهل البصرة روى عن ...

ويتلوه بعون الله **(نصبُ الأوتادِ في الدفاعِ عن الرفاعيّةِ والصوفيةِ الأسياد)**

وهو إبطالٌ لشبُهاتِ ابنِ تيميةَ والذهبيِّ ومن وافقَهما حولَ كراماتِ الرفاعيةِ خصوصًا والصوفيةِ بما يشمَلُ أولياءَ الصحابةِ وأولياءَ أهلِ البيتِ عمومًا نفعنا الله بهم ءامين، وفيه مناقشاتٌ نفيسةٌ لا يستغني عنها طالبُ حقّ بإذنِ الله.

فهارس

الموضوع **الصفحة**

تمّت

هذا الكتابُ ...

عُنِيَ عِنَايةً شديدةً باستيعاب أسانيد حديث ابنِ عمرَ أنه خَدِرَتْ رِجْلُهُ فقال: يا محمد. نداءَ استغاثة واستعانة.

وهذا الحديث أصلٌ واحدٌ منَ الأصول الكثيرة الصحيحة التي استدلَّ بها أهلُ السنة على جوازِ هذا الأمرِ الذي لَم يُعْرَفْ له مُخَالِفٌ قبلَ ابنِ تيمية ومَن قلَّدَهُ ممَّن جاءَ بعدَه.

ونحنُ نقولُ والقاعدةُ تقول: إن كنتَ ناقلاً فالصِّحَّةُ، أو مُدَّعِيًا فالدَّليل، فأثبتنا بالنقل صحة كلامنَا وأبطلنا بالدليل ما ادَّعَاهُ المخالفونَ من أصحاب الدعوة التكفيريةِ هَدَاهُمَ الله، فلا صحةَ عندهم على النقل، ولا دليل على ما يدعونَ، إنما هي تحريفاتٌ وشبُهاتٌ أبطلناها في هذا الكتاب بحمدِ الله وفضلِه عقلاً ونقلاً ومعنًى مِن جميع وجوهِ الرِّوايةِ والدِّرايةِ.

وهذه بدايةُ السلسلةِ وأولُ الغيثِ .... قطرة

مؤسسة الكتب الثقافية

الصنائع - بناية الإتحاد الوطني - الطابق السابع - شقة٨٧
تليفاكس : ٠٠٩٦١١٧٣٩٢٥٠
جوال : ٠٠٩٦١٣٨١٠٥٦١
جوال : ٠٠٩٦١٣٨٢٢٩٦٠
أونيسكو - بيروت : ١١٠٨٢٠١٠
رقم العلبة البريدية : ١١٤/٥١١٥
بيروت - لبنان

عند السفر :
جوال المملكة العربية السعودية : ٠٠٩٦٦٥٠١٨٤٠٠٤٦
جوال المملكة المغربية : ٠٠٢١٢٦١٩٣٣٢٣٩

cultural-books@hotmail.com
www.cultural-books.com